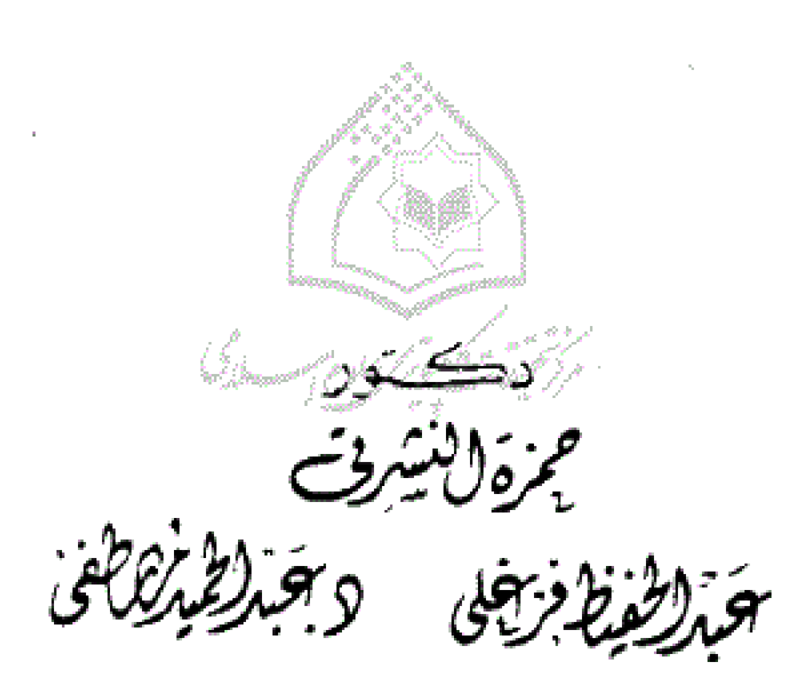
# سلسلة
# القصص القرآني

دكتور
حمزة النشرتي
عبد الحفيظ فرغلي  د. عبد الحميد مصطفى

## المجلد العاشر

# سلسلة
# القصص القرآنى




دكتور
حمزة النشرتي
عبد الحفيظ فرغلي    د. عبد الحميد مصطفى


## المجلد العاشر




النبي صلى الله عليه وسلم
في المدينة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة

- التاريخ الهجري .
- المؤاخاة "استقبال الأنصار للمهاجرين"
- بناء المسجد .
- المجتمع الإسلامي في المدينة "المهاجرون - الأنصار - اليهود - المنافقون".
- المعاهدة بين المسلمين و اليهود .
- إسلام بعض اليهود .
- الإذن بالقتال .
- مشروعية الجهاد .

**التاريخ الهجرى**

استقبلت المدينة المنورة النبى ﷺ أروع استقبال كماسبق أن أشرنا الى ذلك .

وكان الله قد أوحى إليه قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ (١)

فقد أخرج الترمذى فى كتاب تفسير القرآن عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة فأمر بالهجرة وأنزل عليه « وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا »(٢)

وذكر الواحدى فى أسباب النزول أن هذه الآية نزلت حين أراد كفار قريش أن يوثقوا النبى ـ ﷺ ـ ويخرجوه من مكة ـ فأمر الله نبيه أن يخرج مهاجرا إلى المدينة . .

وتبدلت أحوال المدينة بحلول النبى ـ ﷺ ـ فيها ، وسرت فيها روح جديدة ، فقد مستها بركته ـ ﷺ ـ وسرى فيها شعاع هديه مسرى الماء فى العود فأنبته الله نباتا حسنا ، فأزهر وأثمر ، وأظل وأغدق .

---

( ١ ) الإسراء ٨٠

( ٢ ) أخرجه الترمذى ـ الحديث رقم ٣١٣٩ حـ ٥ صـ ٣٠٤ ودلائل النبوة حـ ٢ صـ ٥١٦

وأول ثمرة ظهرت فى المدينة بعد حلول النبى - ﷺ - فيها هو ذلك التآخى الكريم بين المهاجرين والأنصار وسيأتى حديث عن ذلك .

وقد سبق أن بينا أن هجرة المصطفى - ﷺ - كانت فى ربيع الأول بعد بعثته بثلاث عشرة سنة .

فعن محمد بن إسحاق قال : قدم رسول الله - ﷺ - المدينة يوم الاثنين ، فمنهم من يقول لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول ، والحديث المعروف أنه قدم لاثنتى عشرة ليلة ، خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين .

ويؤيد هذا الخبر مارواه ابن عاصم بن عدى عن أبيه قال : قدم رسول الله - ﷺ - المدينة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول فأقام بالمدينة عشر سنين .[٣]

ويذكرنا هذا بضرورة التحدث عن التاريخ الهجرى وكيف بدأ . . والمتواتر أن الذى بدأ بذلك عمر - رضى الله عنه - وأن هذا العمل من أوّليّاته التى لم يسبق إليها .

وإن كان القسطلانى قد أشار فى المواهب اللدنية[٤] إلى أن النبى - ﷺ - قد أمر وهو بقباء بالتاريخ .

ولكن المشهور أن عمر هو الذى فعل ذلك .

ولفظة التاريخ من أرخ - بالهمزة - تقول : أرّخت الكتاب يوم كذا ، والواو فيه لغة . وقد أخذ العرب التأريخ من أهل الكتاب . وتأريخ

---

( ٣ ) دلائل النبوة للبيهقى جـ ٢ صـ ٥١١

( ٤ ) المواهب اللدنية جـ ١ صـ ٣٥٢

المسلمين أخذوه من هجرة سيدنا رسول الله - ﷺ - وقد كتب فى خلافة عمر - رضى الله عنه - وأصبح تاريخا إلى اليوم وإلى ماشاء الله . .[٥]

ويقولون فى سبب ذلك إنه قد ورد له كتاب مكتوب فيه اسم شهر من الشهور ، فقال : أى شهر هذا ؟ أهو الذى مضى أم هو الذى آت ؟

ودعا إلى أن يكون حدث الهجرة هو مرجع التاريخ الاسلامى . . وكان فى اختياره التأريخ بالهجرة حكيما كعادته . لأنه حادث لم يختلف فى تحديد زمنه أحد من المسلمين كما اختلفوا فى غيره من الأحداث .

قال الزرقانى : أخرج أبو نعيم بن دكين فى تاريخه ومن طريقه الحاكم عن الشعبى أن أبا موسى - الأشعرى - كتب إلى عمر أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ ، فجمع عمر الناس ، فقال بعضهم : أرخ بالمبعث ، وبعضهم قال : أرخ بالهجرة .

فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها ، وبالمحرم لأنه منصرف الناس من حجهم .

فاتفقوا على ذلك . . . وكان ذلك سنة سبع عشرة ، ورواه ابن أبى خيثمة عن ابن سيرين[٦] . وقال بعضهم : ان ذلك كان فى سنة ست عشرة .

وهذا يوضح لنا سبب احتفال الناس بالهجرة فى أول محرم ، مع أن الهجرة تمت فى ربيع الأول كما علمنا . .

إن الهجرة حدث له دلالته التى لاتخفى ومن أجل ذلك اختاره المسلمون بمبادرة من عمر - رضى الله عنه - ليكون مبدأ تاريخهم ، واختاروا المحرم

---

(٥) لسان العرب جـ١ صـ٥٨

(٦) شرح المواهب اللدنية جـ١ صـ٣٥٢

ليكون أول سنتهم الهجرية . وقد اختاروا ذلك الشهر لأنه الذى ابتدأ العزم فيه على الهجرة ، فقد تمت بيعة العقبة فى ذى الحجة ، وهى مقدمة الهجرة ، وأول هلال استهل بعد ذى الحجة كان هلال المحرم . . . وللسهيلى رأى آخر فى سبب اختيار الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامى . قال : إن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله ـ تعالى ـ

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (٧)

لأن المعلوم أنه ليس أول الأيام مطلقاً ، فتعين أنه أضيف إلى شىء مضمر ، وهو أول الزمن الذى عز فيه الاسلام ، وعَبَدَ النبىُّ ـ ﷺ ـ ربَّه آمنا ، وابتدأ فيه بناء المسجد ، فوافق رأى الصحابة ابتداء التاريخ من ذلك اليوم ، وفهمنا من فعلهم أن قوله ـ تعالى ـ « من أول يوم » أنه أول التاريخ الاسلامى . . ولكن العلماء ردُّوا هذا الفهم لما فيه من تكلف . .

وقال المسعودى فى مروج الذهب : وتاريخ العرب من أول السنة التى هاجر فيها النبى ـ ﷺ ـ من مكة إلى المدينة ، وكان أولها يوم الخميس .

واستطرد إلى ذكر تواريخ الأمم الأخرى فقال : وتاريخ الفرس من أول السنة التى ملك فيها . يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز . . وكان أولها يوم الثلاثاء .

---

(٧) التوبة ١٠٨

وتاريخ الروم والسريانيين من أول السنة التى ملك فيها الاسكندر ، وكان أولها يوم الإثنين(٨)

لقد تواضعت الأمم منذ أقدم العصور على أن يكون مبدأ التاريخ حدثا مهما فى حياتها لاتختلف عليه . وقد ظلت البشرية تؤرخ بالطوفان حينا . وبغيره أحيانا ، وحين جاء أبرهة إلى مكة بأفياله ، وأهلك الله ـ تعالى ـ الفيل ، ظل العرب يؤرخون بذلك الحادث كما كانوا يؤرخون قبله بموت قصى بن كلاب .

وكانت للأمم الأخرى أحداث مهمة يؤرخون بها . كما رأينا من أمر الفرس والروم من تأريخهم بسلطنة عظمائهم الذين كانت لهم مكانة فى تاريخهم .

قال المقريزى : اعلم انه لما كانت الحوادث لابد من ضبطها ، وكان لايضبط مابين العصور وبين أزمنة الحوادث إلا بالتاريخ المكتوب المحدد الذى لاتنكره الجماعة أو أكثرها ـ وجب وضع التاريخ . . وذلك أن التاريخ المجمع عليه لايكون الا من حادث عظيم يملأ ذكره الأسماع . . فلهذا كان لابد ان يكون بدء التاريخ حدثا عظيما . .

ومن الاحداث المهمة التى أرخ بها الناس منذ القدم : بدء الخليقة وابتداء النسل من آدم . ثم الطوفان ، كما أرَّخوا ببختنصر ، وبالاسكندر ، كما أرَّخ النصارى بولادة المسيح ـ عليه السلام ـ وهكذا .

---

(٨) مروج الذهب جـ١ صـ٤٣٢

ولاخلاف فى أن شهور العام اثنا عشر شهرا ـ كما قال الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٩)

ولكن الخلاف فى كيفية حساب هذه الشهور ، فهناك أمم تجرى فى حساب هذه الشهور على حسب حركة الشمس ، وهناك أمم تجرى فى حساب شهورها على حسب حركة القمر .

والعرب من الأمم التى تسير فى حساب شهورها على حسب حركة القمر وظهور الهلال ، وربما أدى اختلاف المطالع إلى اختلاف فى تحديد بدء الشهر العربى فى بعض الأقطار العربية . مما حدا ببعض العلماء الى التفكير فى الأخذ بالحساب الفلكى الدقيق فى تحديد بدء الشهور مع عدم إغفال الرؤية الموثقة للهلال .

والآخذون بالحساب الشمسى يقدرون السنة بثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم تقريبا ، وهم يتجاوزون عن هذا الربع فى ثلاث سنوات ويجبرونه فى السنة الرابعة إلى يوم كامل .. فيكون العام عندهم ثلاثمائة وخمسة وستين

---

( ٩ ) التوبة ٣٦

يوما لمدة ثلاث سنوات . . ثم ثلاثمائة وستة وستين يوما فى السنة الرابعة ، وهكذا . ويسمى هذا العام الرابع عاما كبيسا لانكباس الأرباع فيه .

أما السنة العربية فهى ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وبعض يوم . . وكان العرب فى الجاهلية ينظرون الى فضل مابين سنتهم وسنة غيرهم وهو عشرة أيام وبعض يوم،فيلحقون بها شهرا كلما تم منها مايستوفى أيام شهر . . وكان هذا نوعا من النسىء الذى أبطله الاسلام . . كما كانوا إذا أرادوا القتال فى الأشهر الحرم قاتلوا فيها ، وحرموا شهورا أخرى بدلا منها وقد اعتبر الإسلام ذلك كفراً بل زيادة فى الكفر قال تعالى ـ

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (١٠)

وكان يتولى ذلك العمل النَّسأة من بنى كنانة وهم المعروفون بالقلامس(١١) ـ وأول من قام بالنسىء من هؤلاء الكنانيين هو حذيفة بن عبد فقيم ، وآخر من فعله أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع . .

وأخذ العرب أيضا الكبس عن اليهود حتى توافق سنتهم السنة العبرية ، فكانوا يكبسون فى كل أربع وعشرين سنة تسعة أشهر حتى تبقى أشهر السنة ثابتة مع الأزمنة على حالة واحدة لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم .

---

( ١٠ ) التوبة ٣٧

( ١١ ) القلامس جمع قلمس وهو البحر الغزير ، وهو اسم شخص من بنى كنانة ينتسب إليه من يقومون بهذا النسىء

وبقى الأمر على ذلك حتى حج النبى - ﷺ - حجة الوداع فى العام العاشر من الهجرة ، وخطب خطبته المشهورة التى قال فيها : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض - فبطل ذلك النسىء ، وزالت شهور العرب عما كانت عليه ، وصارت أسماؤها غير دالة على معانيها »[١٢]

### تعليل أسماء الشهور العربية

وانما صارت غير دالة على معانيها لأنهم كانوا قد سموها بأسماء ترتبط بالطبيعة ، فلما أبطِل الكبس والنسىء ، دارت الشهور مع الأيام ففك الارتباط وذهب التلازم . فيما عدا المحرم . الذى بقى اسمه على حاله أى مرتبطا بمعناه ، لأن اسمه اشتق من تحريم القتال فيه وكذلك رجب وذو القعدة وذو الحجة لاشتقاق أسمائها من معان وأعمال ترتبط بها . . أما صفر فقد سمى بذلك لعلاقته بالاسواق التى كانت باليمن واسمها الصُفرية ، وكانوا يمتارون منها ، ومن تخلف عنها هلك جوعا قال النابغة الذبيانى :

إنى نهيت بنى ذبيان عن أفق .:. وعن ترفههم فى كل أصفار

وقيل : إنما سمى صفر بذلك لأن المدن كانت تصفر - أى تخلو - من أهلها لخروجهم الى الحرب بعد انتهاء محرم .

أما الربيعان فسميا بذلك لارتباع الناس والدواب فيهما ، فإن قيل ، ان الدواب قد ترتبع فى غير ذلك الوقت ، قيل : قد لزمها الاسم فى ذلك الوقت واستمر تعريفها بذلك مع انتقال الزمان واختلافه .

(١٢) خطط المقريزى جـ١ صـ٤٩٠

أما جمادى وجمادى فسميا بذلك لجمود الماء فيهما ، لأنهما كان يجيئان فى شدة البرد ، وقد لزمهما الاسم مع مرور الزمان وتغير الأحوال .

وسمى رجب بذلك الاسم لأنهم كانوا يعظمونه ويهابونه ، والمرجب هو المعظم ، وتقول : رجبتُ الشيء اذا خفته .

وشعبان سمى بذلك لتشعب الناس وراء المياه وطلب الغارات فيه .

ورمضان سمى بذلك لشدة حر الرمضاء فى ذلك الوقت الذى سُمّى فيه هذا الشهر . .

أما شوال فقد سمى بذلك لأن الإبل كانت تشول بأذنابها فى ذلك الوقت الذى سمى فيه وذلك من شهوة الضراب . . . . . . .

وذو القعدة سمى بذلك لقعودهم فيه عن الحرب

وذو الحجة لأن الحج كان فيه . . (١٣)

فأنت ترى أن أغلب هذه الشهور اشتقت أسماؤها من طبيعة الأرض والجو . التى كانت تلازم أيام الشهور وقت أن كانوا ينسئون فلا تتغير الشهور بدورانها . فلما أبطل الاسلام النسيء ، دارت الشهور مع القمر ، فأصبح رمضان مثلا يأتى شتاء وصيفا وربيعا وخريفا ، ولم يلتزم الحر الذى اشتق منه اسمه . وكذلك الربيعان لم يصبحا ملتزمين بفصل الربيع ، كما ان الجماديان لم يعودا ملتزمين بفصل الشتاء . فمن هنا صارت أسماء الشهور العربية غير دالة على معانيها .

أسماء الأيام :

أما الأيام ، فقد أطلق العرب عليها أسماءها المعروفة ، وهى : الأحد ـ

---

(١٣) راجع مروج الذهب للمسعودى حـ١ صـ٤٣٦

وقد سمي بذلك لأنه أول يوم خلقه الله من الزمان . وبذلك نطقت التوراة ، والاثنين لأنه ثان ، والثلاثاء لأنه ثالث والأربعاء لأنه رابع ، والخميس لأنه خامس ، والجمعة لأن الخلق اجتمعوا فيه ، والسبت لأن الخلق انقطع فيه . .(١٤)

وكانت للأيام تسمية أخرى عندهم ، فقد سموا الأحد : أول ، والاثنين : أهون ، والثلاثاء : جبار . . والاربعاء : دبار والخميس : مؤنس ، والجمعة : عروبة ، والسبت : شبار . . .(١٥)

ونعود بعد ذلك الى أهم الأسس التي وضعها النبي - صلى الله عليه وسلم - لبدء بناء المجتمع الاسلامي في المدينة المنورة ومن ذلك . .

المؤاخاة :

فقد آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين والأنصار . وقد سبق ذلك مؤاخاة أخرى كانت بين المهاجرين أنفسهم ، وقد أشرنا اليها قبل ذلك . . وكان الاسلام قد محا مابين الأنصار أنفسهم من عداوة كانت راسخة فيما بينهم جرت بسببها الدماء غزيرة ، وأشعلت حروبا متعددة كان آخرها يوم « بعاث » المشهور .

وبعاث - كغراب - تقرأ بالعين وبالغين ، موضع بالمدينة أو بالقرب منها ، وقد حدثت فيه موقعة بين الأوس والخزرج قبل الهجرة بنحو خمس سنين . وكان سبب هذه الحرب أن الأوس طلبت الى بني قريظة وبني النضير أن يحالفوهم على الخزرج . فبعث الخزرج الى اليهود يهددونهم ان هم

(١٤) مروج الذهب جـ ١ صـ ٤٣٩
(١٥) المرجع السابق

حالفوا الأوس فلم يسع اليهود الا أن ينزلوا على رغبة الخزرج وأكدوا ذلك بتسليمهم أربعين غلاما ليكونوا رهائن تحت أيدى الخزرج ان هم نقضوا العهد وحالفوا الأوس ، وقد افتخر أحد شعراء الخزرج بذلك فقال :

فَذَلُّوا لرهن عندنا فى حبائنا ∴ مصانعة يخشون منا القوارعا
وذاك بأنا حين نلقى عدونا ∴ نصول بضرب يترك العز خاشعا

وكان للشعر صولته ودولته ، فلما ذاع هذا الشعر غضب بنو قريظة والنضير غضبا شديدا . ونقضوا عهدهم مع الخزرج ، وحالفوا الأوس على الخزرج ، فقتل بعض الخزرجيين رهائنه التى تحت يديه من غلمان اليهود .

فاجتمعت الأوس ، ومعها بنو قريظة والنضير وقبائل أخرى يهودية على حرب الخزرج ، والتقوا ببعاث ، وكان على الأوس قائدهم المشهور « حُضَيْر الكتائب » ، وكان على الخزرج قائدهم « عمرو بن النعمان البياضى » نسبة الى قبيلة بياضة .

ودارت رحى الحرب عنيفة قاسية ، فانهزم الأوس ، وبرك حُضَيْر قائدهم على الأرض . وعمد الى حيلة ، يسترجع بها قومه ، فطعن قدمه بسنان رمحه ، وصاح : واعقراه ، والله لاأعود حتى أقتل ، فان شئتم أن تسلمونى فافعلوا .

فعطف عليه قومه ، وعادوا الى القتال بشدة ، ورمى أحدهم عمرو بن النعمان قائد الخزرج بسهم فأصابه ثم قتله ودارت الدائرة على الخزرج فانهزموا وولوا الأدبار . وصاح صائح يقول : يامعشر الأوس أحسنوا ولاتهلكوا إخوانكم ، فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم ، وانما سلبهم اليهود .

وحملت الأوس قائدها حضيرا جريحا ، ثم مات متأثرا بجراحه ، ورثاه خفاف بن ندبة بقوله :

أتاني حديث فكذبته ∴ وقيل خليلك فى المرمس
فياعين بكّى حضير الندى ∴ حضير الكتائب والمجلس

وكان خفاف بن ندبة هذا صديقا ونديما لحضير ، فتأثر لمقتله تأثرا شديدا وظل يرثيه حياته ، ومما قاله فيه أيضا :

لو أن المنايا حِدْنَ عن ذى مهابة لَهِبْن حضيراً يوم أغلق واقما
أطاف به حتى اذا الليل جنَّ تبوأ منه منزلا متناعما

ويقال : ان الذى نهى الأوس عن الاثخان فِى الخزرج مابلغهم من أن عبد الله بن أبى بن سلول وهو من سادة الخزرج قال لقومه بعد أن نهاهم عن قتال الأوس فلم يستجيبوا : والله إنى أرى قوما لاينتهون أو يهلكوا عامتهم ، وإنى لأخاف إن قاتلوكم أن ينصروا عليكم لبغيكم عليهم ، فقاتلوا قومكم كما كنتم تقاتلونهم . فاذا ولوا فخلوا عنهم . فاذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خلوا عنكم ..

فكأن هذا الكلام الصادر من عبد الله بن أبىّ كان له صداه فيما بعد حين دارت الدائرة على الخزرج ..[١٦]

وتركت هذه المعركة الأخيرة أثرها فى نفوس كل من الأوس والخزرج ، فمازال الخزرج يتحينون الفرصة للانتقام ،ومازال الأوس يعدون العدة

---

( ١٦ ) راجع مهذب الأغانى حـ ١ صـ ١٣٠ ـ الأدب الجاهلى عبد الجواد رمضان صـ ٤٢ ـ الأدب الجاهلى لمحمد هاشم عطيه صـ ٥٥

للقاء ، حتى وفدت وفود منهم الى مكة تطلب الحلف والنصرة من قريش ومازال اليهود يغذون هذه الفتنة ويشعلون فيها النار حتى تزداد الهوة اتساعا بين الأوس والخزرج - وهم المستفيدون من وراء ذلك كله ، بما يروجون من أسلحة هم صانعوها وتجارها ، ومن نفوذ صنعوه لأنفسهم بالتفرقة بين هؤلاء وهؤلاء وقديما جاء المثل الذى توارثوه ثم ورّثوه أحفادهم : فرق تسد . . وكان اليهود يفاخرون بأنهم أهل العلم بالكتاب الذى نزل على موسى - عليه السلام - وفيه بشارة بالنبى الأمى الذى سيبعث فى آخر الزمان من أمة العرب ، وكانوا يقولون إنهم سيتبعونه ويقاتلون تحت رايته هؤلاء العرب فيقتلونهم قتل عاد وارم . ولكنهم كانوا أول المكذبين بهذا النبى حين بعثه الله ، وقد فضح الله ادعاءاتهم وكذّب أباطيلهم بقوله - تعالى - :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (١٧)

ذكر ابن كثير فى تفسير هذه الآية مارواه محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة الانصارى عن أشياخ منهم قال : قالوا فينا والله وفيهم - يعنى فى الأنصار واليهود الذين كانوا جيرانهم - نزلت هذه الآية . قالوا : كنا قد علوناهم دهرا فى الجاهلية . ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب ، فكانوا يقولون : إن نبيا يبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه نقتلكم معه قتل عاد وارم ، فلما بعث الله رسوله من قريش كفروا به . .

---

(١٧) البقرة ٨٩

وقد قال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور : يامعشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته .

فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير : ماجاءنا بشىء نعرفه ، وماهو بالذى كنا نذكر لكم . فأنزل الله هذه الآية[18]

لقد محا الله العداوة بين الأوس والخزرج بالاسلام ، ومسح النبى - صلى الله عليه وسلم - بيده الرحيمة المباركة على قلوبهم فأذهب مافيها من حقد وموجدة ، وأفرغ الله فيها الرحمة والحب والاخاء والتسامى ، حتى لقد أصبح هَمُّ كل امرىء أن يكفر عما جنت يداه فى الجاهلية من آثام ، ومن بينها المشاركة فى تلك الحروب الأثمة التى غذتها العصبية وأشعلها بين ذوى القرابة والرحم أعداء الانسانية منذ القدم .

وأظل الاسلام برايته الجميع ، وأمن الأنصار على أنفسهم فى مدينتهم فلم يعودوا يخشون الثارات والانتقام كما كانوا من قبل ، ولم تعد تشغلهم الاستعدادات الحربية وجمع الاسلحة للمعارك القادمة بل عاد يشغلهم شىء آخر جديد ، هو ذكر الله واستغفاره وحفظ مانزل وماينزل من آيات القرآن الكريم . .

### رابطة الاسلام أقوى رابطة

وأصبحت هناك علاقة جديدة تربط بين المسلمين أقوى من رابطة القرابة والدم التى كانت تربط بين الأفراد ، هى رابطة الأخوة الاسلامية ، التى جمع النبى - صلى الله عليه وسلم - بها بين الأنصار والمهاجرين فى صورة من

---

(١٨) تفسير ابن كثير حـ١ صـ١٧٨ ط دار الشعب

التلاحم القوى الرائع ، الذى غذى لحمته الحب والإيثار ومن قبل ذلك الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر .

قال ابن إسحاق فيما يرويه ابن هشام فى سيرته : آخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال : تآخوا فى الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال : هذا أخى ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الذى ليس له نظير من العباد ، وعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أخوين .

وكان جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين ـ وكان جعفر غائبا يومئذ بأرض الحبشة ، ولكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخى بينه وبين معاذ على الرغم من ذلك .

وكان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ وخارجه بن زهير الأنصارى أخوين،وكان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه وعتبان بن مالك الأنصارى أخوين ، وكان أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين وكان الزبير بن العوام وسلامة بن سلامة أخوين ، وكان عثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخوين ، وكان طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين

وكان سعيد بن زيد ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ وأبى بن كعب أخوين وكان مصعب بن عمير وأبو أيوب الأنصارى وهو خالد بن زيد ـ الذى نزل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دارهّ أخوين . . .

وهكذا آخى النبى - صلى الله عليه وسلم - بين كل اثنين ، أخوة خاصة ، شدت من أزر الأخوة العامة التى دعا الاسلام إليها وأشاد بها وألح فى إقامتها بين المسلمين ، بما غرسه من مبادىء وأخلاق وفضائل ، أذهبت الحقد والعداء ، وقوت روابط المودة والإخاء ، وقد جاء فى القرآن الكريم ما يؤكد أن هذه الألفة التى تمت بين المسلمين لم تكن من صنع أحد من البشر ، بل كانت منحة إلهية وهبها الله المسلمين لتكون نبراسا لهم فى طريقهم إلى الله ، وهم يبنون على ضوئها مجتمعهم المثالى الخالد قال - تعالى - :

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾ (١٩)

وما زال القرآن يذكر المسلمين ليتذكروا ويعرفوا حق هذه النعمة التى أنعم الله بها عليهم وهى نعمة التآلف والتوافق بعد أن كانوا متعادين متخاصمين .. قال تعالى :

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ

---

(١٩) الانفال ٦٢ ، ٦٣

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ (٢٠)

حقا ، فمن كان يصدق أن هؤلاء القوم المتنافرين الذين تشتعل الحروب بينهم لأتفه الأسباب وتظل مشتعلة بينهم سنين طويلة ، تأكل الأخضر واليابس ، وتأتى على الأموال والأنفس والثمرات ـ من كان يصدق أن يصبح هؤلاء إخوة متآلفين متحابين يؤثر كل منهم أخاه المسلم على نفسه وولده وذوى قرباه ؟

لقد كان العدوان طبيعة فى نفوسهم ـ فى الجاهلية ـ دعت إليه الحمية والأنفة والرغبة فى الغلبة ، والبيئة القاحلة التى يعيش أبناؤها على الرعى وتتبع مساقط المياه ومنابت الكلأ ، لقد تأصلت فى نفوسهم طبائع البدو من الاغارة وحب الغزو والميل إلى الانتقام والأخذ بالثأر . . . كان العربى حين يفتح عينيه لايرى إلا تألق الأسنة ، ولا يسمع الا صهيل الخيل وزئير الوحش ، ولم يكن لهم حمى يلجئون إليه الا ظهور خيلهم ومقابض سيوفهم فرسخت فيهم صفات الفروسية وقوة المراس وكثر الفتك والنهب . وتنازعوا على المرعى ، وتدافعوا على الماء ، واحتكموا فى خلافاتهم دائما فى النهاية إلى السيف ، وانتشرت بسبب ذلك العداوة ، بينهم واعتبروا الظلم من الصفات الحسنة التى قال فيها حكيم العرب زهير بن أبى سلمى :

ومن لايظلم الناس يُظلم

---

(٢٠) آل عمران ١٠٣ : ١٠٥

وحتى تبعه فى ذلك شاعر آخر اعتبر أن الظلم هو الطبيعة الغالبة ، وعدم الظلم لايكون إلا لعلة . . .

.. وقال فى ذلك :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

لقد نبعت حكمة من بينهم تقول : انصر أخاك ظالما أو مظلوما ـ وترجم هذه الحكمة بعض شعرائهم بقوله :

قوم إذا الشر أبدى ناجزيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا
لايسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

وقد هذب الإسلام هذه الحكمة حيث سأل المسلمون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يا رسول الله ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما ؟ . . قال صلى الله عليه وسلم : بمنعه عن ظلمه . .

لقد استشرى العداء بينهم حتى ذهب ضحيته أقرب المقربين إليهم . . . . .

هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم تبدلت أحوالهم فى سرعة خاطفة بسبب ذلك الدين الحنيف الذى طهر نفوسهم وقلوبهم ، وأنشأهم إنشاء جديدا على الهدى والإيمان ، وصبغهم صبغة نورية قدسية جعلتهم ينأون عن هذه الزخارف الباطلة ، والاهتمامات الهابطة ، لقد صهرهم الإخاء الذى أشاعه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينهم فى بوتقة التفانى فى الله والاقبال عليه والحب له ، فأصبح كل منهم يؤثر أخاه ابتغاء رضوان الله ، ويضحى بكل ما يملك فى سبيل الله طمعا فى ثواب الله ورغبة فى جنة عرضها السموات

والأرض أعدت للمتقين . . . ولقد زكى الله المهاجرين والأنصار - زكى المهاجرين لقناعتهم وزهدهم ونأيهم بجانبهم عن العروض التى قدمها لهم إخوانهم الأنصار ، وزكى الأنصار لإيثارهم الكريم ، وأريحيتهم النادرة ، وحسن استقبالهم لإخوانهم المهاجرين ، وإفساحهم لهم قلوبهم ودورهم والإلحاح الصادق فى تقديم كل عون لهم ، وقد قال القرآن الكريم فى ذلك :

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٢١)

وكل من سار على دربهم له نصيب من ذلك الإطراء الطيب والثناء الجميل من رب العزة قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (٢٢)

---

(٢١) الحشر ٨ ، ٩

(٢٢) الحشر ١٠

لقد جاءت هذه الآيات الكريمة وسام شرف لهذه الفئات الثلاث من المسلمين ، فئة المهاجرين الذين باعوا دنياهم بآخرتهم ، وخرجوا من ديارهم وضحوا بأموالهم حفاظا على دينهم وفرارا به من قبضة الكفر والوثنية .

وفئة الأنصار الذين مدُّوا أيديهم إلى هذا الدين وسماحته ، وأحسنوا استقبال هؤلاء المهاجرين فى مدينتهم .

وفئة المؤمنين الذين جاءوا بعد هؤلاء يسيرون على منهجهم ويحرصون على التمسك بآدابهم وأخلاقهم فى إيثار الدين على الدنيا ، وفى حب الصالحين وإكرامهم .

ذكر ابن كثير فى تفسيره ، قال : روى الإمام أحمد فى مسنده حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ، ولا أحسن بذلا فى كثير ، لقد كفونا المئونة وأشركونا فى المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله .

قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم .

أمثلة نادرة من الإيثار

وقصص الإيثار كثيرة منها ، ما رواه أبو هريرة قال : قالت الأنصار للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل .

قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا

وقال المهاجرون : نكفيكم المئونة ونشرككم فى الثمرة ؟

فلما أبى النبى - صلى الله عليه وسلم - قالت الأنصار : سمعنا وأطعنا .

وحدث عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن أنس قال : كنا جلوسا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة .

فطلع رجل من الأنصار تقطر لحيته من وضوئه ، قد حمل نعليه بيده الشمال .

فلما كان الغد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى .

فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل مقالته أيضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى .

فلما قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمر فقال له : إنى لا حَيْتُ - أى نازعت - أبى فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا ، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت .

قال : نعم

قال أنس : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه كان إذا تقلب أو استيقظ - على فراشه ذكر الله وكبر ، حتى يقوم لصلاة الفجر .

قال عبد الله : غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرا .

فلما مضت الثلاث ليال ، وكدت أحتقر عمله قلت : يا عبد الله ، لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر ، ولكنى سمعت رسول الله - صلى الله

عليه وسلم ـ يقول عنك ثلاث مرات : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فطلعت أنت فى المرات الثلاث ، فأردت أن آوى اليك لأنظر ما عملك فأقتدى به ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟

قال : ما هو إلا ما رأيت .

فلما وليت دعانى فقال : ما هو الا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه .

قال عبد الله : هذه التى بلغت بك ، وهى التى لاتطاق(٢٣)

إن نظافة القلوب من الحقد والأثرة والموجدة هى سمة الأنصار التى امتدحهم الله من أجلها . . .

وقد ظهر ذلك واضحا فى تلك القصة التى حكاها عبد الله بن عمر رضى الله عنه .

وامتدحوا كذلك من أجل إيثارهم إخوانهم على أنفسهم . قال القرطبى : كان المهاجرون فى دور الأنصار ، فلما غنم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أموال بنى النضير دعا الأنصار وشكرهم على ما صنعوا مع المهاجرين فى إنزالهم إياهم فى منازلهم ، وإشراكهم فى أموالهم ، ثم قال : إن أحببتم قسمت ما أفاء الله به علىّ من بنى النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم ، وان أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم .

---

(٢٣) تفسير ابن كثير جـ ٨ صـ ٩٥

فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : بل تعطيه المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا ، ونادت الأنصار : رضينا وسلمنا يا رسول الله ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار .

وأعطى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المهاجرين ولم يعط من الأنصار إلا ثلاثة نفر(٢٤)

لقد كان إيثارهم مثلا أعلى وقمة شماء يندر الوصول اليها ........

حدث الرواة عن سعد بن الربيع ـ وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد آخى بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ـ أنه قال لعبد الرحمن : ناصفنى مالى ومنزلى أقسمه بينى وبينك فرفض عبد الرحمن بن عوف ذلك وقال له : بارك الله لك فى مالك وأهلك ، دلنى على السوق(٢٥)

فدله سعد عليه ، فباع عبد الرحمن واشترى واكتسب حتى أصبح من أكبر أثرياء المسلمين .

وكان سعد صادقا فى عرضه ، لم يقل ما قاله مجاملة لعبد الرحمن ، ولكنه كان صورة نموذجية للبر والإيثار والإخلاص . وقد ظهر صدقه وإخلاصه فى موقعة أحد ، فقد قاتل قتالا مجيدا حتى أصيب بجراحات عدة ، وأخذ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسأل عنه ويحاول أن يتعرف أخباره وقال : من يأتينى بخبر سعد بن الربيع ؟

وما ذلك الا لحب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ له وحرصه على سلامته .

---

( ٢٤ ) تفسير القرطبى حـ ٩ صـ ٦٥٠٢ ط دار الشعب ـ تفسير سورة الحشر
( ٢٥ ) أسد الغابة حـ ٢ صـ ٣٤٨

فقال رجل : أنا يا رسول الله ، فذهب يطوف فى القتلى بحثا عن سعد .

وكان سعد مثقلا بجراحاته ، ولم يعرفه الرجل ، ولكن سعدا عرفه فناداه وقال له : ما شأنك ؟

فقال الرجل ـ بعد أن عرفه ـ : بعثنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأعرف ما حدث لك : فقال له : اذهب فأقرئه منى السلام ، وأخبره أنى قد طعنت اثنتى عشرة طعنة . . . وأخبر قومك أنهم لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأحد منهم حى .

وكان هذا الرجل الذى ذهب ليعرف خبر سعد هو أُبَىّ بن كعب . . . . . وقيل إن سعدا قال له : قل لقومك : يقول لكم سعد بن الربيع : الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة العقبة ، فوالله ما لكم عذر عند الله إن خلص إلى نبيكم أحد من الأعداء وفيكم عين تطرف .

قال أُبَىّ : فلم أبرح حتى مات ، فرجعت إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته ، فقال : رحمه الله ، نصح لله ولرسوله حيا وميتا[٢٦]

فهذا الخبر يشهد بصدقه وإخلاصه ، ويدل على أنه آثر رضوان الله على الدنيا بما فيها وآثر حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حياة الأنصار جميعهم ، وهذا منتهى الصدق والإيثار .

ومن القصص التى يذكرها القرطبى فى تفسيره ما رواه الترمذى عن أبى هريرة قال : جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : إنى مجهود وجائع ،

---

( ٢٦ ) المرجع السابق

فأرسل - ﷺ - إلى بعض نسائه ، فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء .

ثم أرسل إلى الأخرى فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء .

فقال : من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله ؟

فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى بيته ، فقال لامرأته : هل عندك شيء ؟

قالت : لا إلا قوت صبيانى .

قال : فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج وأريه أنا نأكل ، قال : فقعدوا وأكل الضيف . .

فلما أصبح غدا الرجل على النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال له النبى - عليه الصلاة والسلام : قد عجب الله - عز وجل - من صنيعكما بضيفكما الليلة - .

وفى هذا نزلت الآية الكريمة :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »

وقيل إن هذه الآية نزلت فى أبى طلحة ، وقيل فى ثابت بن قيس ورجل من الأنصار نزل به ثابت يقال له أبو المتوكل ، ولم يكن عنده شيء إلا قوته وقوت صبيانه ، فآثر به ضيفه .

---

(٢٧ الأنفال ٧٥

وروى أن رجلا من الأنصار أهدى إليه رأس شاة ، فقال : إن أخى فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا ، فبعثه إليهم ورأى الآخر أن غيره أحوج إليه منه فأرسله إليه . . . فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ثم عاد إلى الأول .

وقال الزهرى راويا عن أنس : لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء ، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار ، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام . . .

لقد كان الإيثار سمة أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جميعا ، لم يكن أحد منهم يضن بشيء أو يمسك شيئا ، وكانت الدنيا لاتطغيهم أو تخطف أبصارهم كما حدث فيما بعد . .

ذكروا أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بعد أن فتحت الممالك وكثرت الأموال ، أخذ أربعمائة دينار فجعلها فى صرة ، ثم قال لغلامه : اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح ، ثم امكث ساعة فى البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها ، فذهب بها الغلام إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه فى بعض حاجتك .

فقال أبو عبيدة : وصله الله ورحمه ، ثم استدعى جاريته فقال لها : اذهبى بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، حتى نفدت الدنانير . . .

فرجع الغلام إلى عمر ، فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل ، وقال : اذهب بهذا الى معاذ بن جبل وانتظر معه ساعة فى البيت حتى تنظر

ماذا يصنع ، فذهب بها إليه ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه فى بعض حاجتك .

فقال : رحمه الله ووصله ، واستدعى جاريته وقال لها : اذهبى إلى بيت فلان بكذا ، وبيت فلان بكذا . فاطلعت امرأة معاذ فقالت : ونحن والله مساكين فأعطنا . ولم يبق فى الصرة إلا ديناران ، فأعطاهما إياها .

فرجع الغلام إلى عمر ، فأخبره بذلك فسر عمر ، وقال : إنهم إخوة بعضهم من بعض . . . .

على مثل هذا الإيثار الحميد عامل الأنصار إخوانهم المهاجرين ، بل وصل الأمر إلى حد أنهم كانوا يفدونهم بأنفسهم وأرواحهم . . وأى إيثار أبلغ من ذلك ؟

كانت المؤاخاة التى عقدها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين المهاجرين والأنصار هى الأساس المتين الذى أرسى عليه النبى قواعد المجتمع الاسلامى الجديد فى يثرب ، التى تغير اسمها بعد الهجرة ، فأصبحت المدينة المنورة . .

**التوارث بالاخوة**

ولقذ بلغت هذه الإخوة حدها الأوفى ، حتى لقد كان الأخوان يتوارثان بناء على تلك الأخوة ، وظل هذا المبدأ معمولا به حتى نزل قوله ـ تعالى :

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ

﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ۝٦﴾ (٢٨)

كان المسلمون يتوارثون فيما بينهم - قبل نزول هذه الآيات - بقانون الإخاء والهجرة .

لقد نسخت هاتان الآيتان التوارث الذى كان بين المسلمين بحكم الإخاء الذى انعقد بينهم . وذلك بعد أن توطد الدين ، وذهبت الوحشة التى كانت فى النفوس بسبب ترك المهاجرين أرضهم وديارهم .

روى هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير فى قوله - تعالى - :

« وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض »

قال : وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا ، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان ، فآخيناهم فأورثونا وأورثناهم ، فآخى أبو بكر خارجة بن زيد وآخيت أنا كعب بن مالك ،

فجئت فوجدت السلاح قد أثقله ، فوالله لئن مات عن الدنيا ما ورثه غيرى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فرجعنا إلى مواريثنا .

هكذا ورد الخبر فى القرطبى . ولكن ابن الأثير فى أسد الغابة وابن هشام ، ذكرا أن كعبا آخى النبى - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين طلحة بن عبيد الله . لا بينه وبين الزبير .

والذى يعنينا هنا ما جاء فى شأن الأخوة التى أحلت الميراث فترة من الفترات لأنها حلت محل القرابة والرحم .

---

( ٢٨ ) الأحزاب ٦

لقد ظهرت أهمية هذه القاعدة الوطيدة التى أرسى عليها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بناء المجتمع فى المدينة . . . ذلك أن أى دولة لايمكن أن تنهض وتقوم الا على أساس من وحدة الأمة وتساندها ، ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخى والمحبة المتبادلة ، فكل جماعة لا تؤلف بينها آصرة المودة والتآخى الحقيقية لايمكن أن تتحد حول مبدأ ما ، وما لم يكن الاتحاد حقيقة قائمة فى الأمة أو الجماعة فلا يمكن أن تتألف منها دولة .

على أن التآخى أيضا لابد أن يكون مسبوقا بعقيدة يتم اللقاء عليها والإيمان بها ، فالتآخى بين شخصين يؤمن كل منهما بفكرة أو عقيدة مخالفة للأخرى خرافة ووهم ، خصوصا إذا كانت تلك الفكرة أو العقيدة تحمل صاحبها على سلوك معين فى الحياة العملية .

ومن أجل ذلك فقد جعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أساس الأخوة التى جمع عليها أفئدة أصحابه العقيدة الاسلامية التى جاءهم بها من عند الله تعالى ، والتى تضع الناس كلهم فى مصاف العبودية الخالصة لله تعالى دون الاعتبار لأى فارق إلا فارق التقوى والعمل الصالح ، إذ ليس من الممكن أن يسود الإخاء والتعاون والإيثار بين أناس فرقت بينهم العقائد والأفكار المختلفة ، فأصبح كل منهم مِلْكا لأنانيته وأهوائه . . إن الأساس الذى يفصل بين المجتمع المترابط المتآلف ، وبين جماعة من الناس تنتشر فى مكان واحد ، أو مساحة من الأرض ـ إنما هو مبدأ التعاون والتناصر فيما بين أفراد هذا المجتمع فى كل نواحى الحياة ومقوماتها ، فان كان هذا التعاون والتناصر قائما على أساس من العدل والمساواة فيما بينهم ، فذلك هو المجتمع

العادل السليم ، وإن كان ذلك قائما على الجور والظلم فذلك هو المجتمع الظالم المنحرف .

وإذا كان المجتمع السليم يقوم على أساس العدالة فى الاستفادة من أسباب الحياة والرزق فما الذى يضمن سلامة هذه العدالة وتطبيقها على خير وجه ؟

إن الضمان الطبيعى لذلك هو التآخى والتآلف ، يليهما بعد ذلك ضمان السلطة والقانون .

فمهما أرادت السلطة أن تحقق مبادىء العدالة بين الأفراد فلن تستطيع تحقيقها إلا إذا قامت على أساس من التآخى والحب والقيم الدينية والأخلاقية السليمة بل إن العدالة فى الاستفادة من أسباب الحياة والثروة والرزق تصبح مصدر أحقاد وضغائن إذا فقدت التآخى والحب . .

ومن أجل ذلك جعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حقيقة التآخى بين الأنصار والمهاجرين أساسا لمبادىء العدالة الاجتماعية ، التى قام عليها أعظم وأروع نظام اجتماعى فى العالم .

وقد تدرجت مبادىء هذه العدالة فيما بعد فى شكل أحكام وقوانين شرعية ملزمة ، ولكنها تأسست على تلك الأرضية الأولى ، وهى أرضية الأخوة الاسلامية .

ولم يكن مبدأ التآخى مجرد شعار فى كلمة كانت تجرى على الألسنة وإنما كانت المؤاخاة حقيقة عملية تتصل بواقع الحياة ، وبكل أوجه العلاقات القائمة بين الأنصار والمهاجرين .

ولذلك جعل النبى - صلى الله عليه وسلم - الأخوة مسئولية حقيقية تشيع بين هؤلاء الإخوة تُؤَدّى على خير وجه . حتى وصلت إلى حد التوارث بناء على تلك الأخوة وظل كذلك حتى نسخ

أما حكمة نسخه فهى أن نظام الميراث الذى استقر أخيرا إنما هو نفسه قائم على أخوة الاسلام بين المتوارثين ، بعد أن انتشر الاسلام ، وساد العربَ جميعا واعتنقه الناس طائعين مختارين ، فمن قواعد الميراث أنه لاتوارث مع اختلاف الدين . .

لقد وضعت الفترة الأولى من الهجرة كلا من الأنصار والمهاجِرين أمام مسئولية خاصة من التعاونْ والتناصر بسبب مفارقة المهاجرين أوطانهم وأهليهم وأموالهم . فكان التآخى ضمانا لتحقيق هذه المسئولية ، وأصبحت علاقته أقوى من علاقة النسب .

فلما استقر أمر المهاجرين فى المدينة وتمكن الاسلام ، وأصبحت الروح الإسلامية هى العصب الطبيعى للمجتمع الجديد أصبح من المناسب انتزاع القالب الذى كان قد صُبَّ فيه نظام العلاقة بين المهاجرين والأنصار إثر التقائهم فى المدينة فى البداية ، إذ لا يخشى على هذا النظام بعد اليوم من التفكك فى ظل الأخوة الإسلامية العامة . .(٢٩)

المدينة الجديدة

سبق القول أن المدينة المنورة كان اسمها يثرب . وقد ورد هذا الاسم كذلك فى قوله - تعالى

---

(٢٩) راجع فقه السيرة د . محمد سعيد رمضان البوطى صـ ١٥٦

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ (٣٠)

وسميت يثرب بهذا الاسم لأن الرجل الذى نزل فيها من العماليق اسمه يثرب بن عميل بن مهلائيل بن عملاق ، وقيل : إن نسبه ينتهى إلى سام بن نوح - عليه السلام - ذكر ذلك السهيل ونقله عنه القرطبى فى تفسيره . قال : وبنو عميل هم الذين سكنوا الجحفة فأجحفت بهم السيول فيها فمن أجل ذلك سميت الجحفة .

وقد وردت كلمة « يثرب » فى القرآن مرة واحدة فى الآية التى ذكرناها . . . وقال ابن منظور فى لسان العرب : روى عن النبى - ﷺ - أنه نهى أن يقال للمدينة يثرب ، وسماها طيبة ، كأنه كره الثرب لأنه فساد فى كلام العرب ، وقال ابن الأثير : غير النبى - ﷺ - اسم يثرب وسماها طيبة وطابة كراهية التثريب وهو اللوم والتعيير .

ولكن المدينة ورد ذكرها فى القرآن الكريم عدة مرات - منها قوله - تعالى :

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾ (٣١)

---

( ٣٠ ) الأحزاب ١٣

( ٣١ ) الأحزاب ٦٠

وقوله تعالى

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ
وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (٣٢)

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ
ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ
وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ
ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ
صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (٣٣)

ووردت الاشارة إليها بكلمة الدار فى قوله - تعالى -

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ
فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٣٤)

---

(٣٢) المنافقون ٨
(٣٣) التوبة ١٢٠
(٣٤) الحشر ٩

ذلك لأنهم أصبحوا يطلقون عليها دار الهجرة .

وبانتقال النبى - ﷺ - إلى يثرب تطورت تطورا كبيرا ، وأصبحت نموذجاً للمدينة الإسلامية التى احتذت المدن الاسلامية بعد ذلك حذوها فى الإنشاء والتعمير وحسن التنظيم . .

وشمل التجديد كل شىء فيها حتى اسمها الذى تبدل ، فأصبح طَيْبَة أو طابة أو المدينة المنورة بعد أن كان اسمها يثرب .

فقد حدث فيها تغيير واضح سعى إلى تحقيقه النبى - ﷺ - وأساس هذا التغيير الدعوة الى الاسلام . . . . ذلك الدين الذى بدأت فى ضوء قيمه وتعاليمه عملية تهيئة المجتمع الإسلامى الجديد لحياة حضارية تلازمت تماما مع اهتمامه - ﷺ - بالكيان المادى للمدينة فأدى ذلك تدريجيا إلى تكامل المراكز الحضارية الاسلامية .

وكانت خطة الرسول - كما يقول الدكتور محمد عبدالستار عثمان - واضحة منذ البداية ، فدعا إلى تذويب القبلية بدعوته إلى التآخى فى الإسلام - وقد أشرنا إلى ذلك - وأكد فى الوقت نفسه على رابطة ذوى الأرحام ، وهى تنظيم يجمع عددا من البطون والعشائر فى قبيلة واحدة تحت راية واحدة فى محيط رابطة القرابة ، وفى إطار أوسع . . .

أكد الرسول - ﷺ - على أن رابطة الإسلام العامة هى الأساس بين أبناء المجتمع الإسلامى . .(٣٥)

---

(٣٥) المدينة الاسلامية صـ٥١ د. محمد عبد الستار عالم المعرفة الكويت

وقد أدى ذلك إلى خلق مجتمع واحد متهاسك بعيد عن النزعة القبلية التى كانت سائدة قبل ذلك ، وارتبط هذا المجتمع برابطة جديدة هى رابطة الدين القويم .

واتجه النبى ـ ﷺ ـ بعد ذلك إلى إلغاء العصبية القبلية وإحلال عصبية الوطن والأرض محلها وذلك بإبراز أهمية الوطن والأرض وتنمية الشعور بالانتهاء لها وإنشاء تسميات جديدة بدل التسمية القبلية التى كانت سائدة ، فأصبحت التسمية الجديدة مثلا : أهل قباء . أهل المدينة ، بدلا من التسمية بالقبائل والبطون والعشائر .

وقد تنبه اليهود لخطورة هذا التطور الجديد الذى سوف يذهب بنفوذهم فى المدينة ، فحاولوا تفتيت هذه الوحدة القوية التى تمت بين المسلمين على اختلاف فئاتهم وقبائلهم .. ولكن جهودهم فى ذلك باءت بالفشل .

وشمل التطور ألوانا من التعمير ، بدأ بانشاء المسجد ـ الذى سوف نتحدث عنه ـ والأسواق والمساكن وغيرها .. على نظام جديد لم يكن موجودا قبل ذلك .

فقد كانت المدينة قبل الهجرة عبارة عن سهل فسيح تحيط به الحرات من جهاته الأربع .. والحرات جمع حرة ، وهى أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار ... ويتميز هذا السهل بالخصوبة وكثرة المياه ، وكانت المساكن مقسمة إلى مناطق سكنية منفصلة ـ محلات ـ تسكنها البطون والقبائل اليهودية والعربية .

وكل مَحلَّة تضم إلى جانب منازلها وحقولها حصونا منيعة يطلق عليها الآطام بلغ عددها حوالى ستين أُطُماً . ونتج عن ذلك تفرق المحلات السكنية وتشتتها ـ كما نتج عنها كثرة الأسواق لأن كل محلة لها سوقها ، ولكن السوق كان يقع على طرف المحلة ، ربما كان ذلك لأسباب دفاعية أو اجتماعية ونتج عن ذلك أيضا أن يكون لكل قبيلة فى محلة منتدى خاص بها ، كان يطلق عليه اسم السقيفة ، وفيها يجتمعون لأمورهم الهامة ومصالحهم الضرورية ومشاوراتهم العاجلة ، ومن أمثال ذلك سقيفة بنى ساعدة التى شهدت فيما بعد مبايعة الخليفة الأول أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ولم يكن للمدينة قبل مجىء الرسول إليها رئيس يرجعون اليه جميعا ، بل كان لكل قبيلة رئيس ، فللأوس رئيسهم ، وللخزرج رئيسهم ، وكذلك الأمر بالنسبة لليهود على اختلاف طوائفهم .

فلما هاجر النبى ـ ﷺ ـ الى المدينة تغير الوضع . وأصبح هو أمام الجماعة وقائدها الذى يجمع شتاتها ويوحد كيانها ويجعل منها مركزا حضاريا متميزا .

وأصبحت المدينة المنورة مركز الدولة الإسلامية الناشئة التى منها تصدر الأحكام والمراسيم والتشريعات . وهذه الأحكام والتشريعات إما أن ينزل بها القرآن الكريم على النبى ـ ﷺ ـ أو تأتى من توجيهات الرسول وهو القائد الأعلى للدولة الناشئة .... جمع له الله بين النبوة والقيادة .

وأصبحت المدينة ذات مركز مرموق تستقبل الوفود وتصدر منها المكاتبات والرسل إلى شتى الجهات فى داخل الجزيرة العربية وخارجها .

وخططت المدينة تخطيطا جديدا بدأ ببناء المسجد الجامع الذى أصبح يتوسطها ، ولم يكن للمدينة عهد به قبل ذلك ، بل لم يكن هناك مسجد آخر فى أى مدينة سوى مكة المكرمة التى شرفها الله بالكعبة منذ عهد ابراهيم عليه السلام . والقدس التى بنى فيها سليمان ـ عليه السلام ـ بيت المقدس .

وألحق النبى ـ ﷺ ـ بالمسجد حجراته التى نزلت فيها زوجاته فيما بعد .

وانتشرت حول المسجد مساكن الصحابة من المهاجرين والأنصار . وتجمعت بذلك أبنية المسلمين بعد أن كانت موزعة مفرقة . . كانت حول المسجد أرض فضاء وهبها الأنصار للنبى ـ ﷺ ـ ، فوهبها بدوره للمهاجرين يبنون عليها دورهم .

وكانت هناك أرض موات لا يصل إليها الماء شغلها النبى ﷺ بالبنايات السكنية الجديدة ، حتى أصبحت المدينة بناء معماريا واحدا بعد أن كانت أبنية متفرقة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وكان النبى ـ ﷺ ـ مسئولا عن توزيع الأرض وتوطين الناس ، . . . قال ياقوت الحموى ـ فيما ينقله صاحب كتاب المدينة الاسلامية ـ : « لما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ من مكة إلى المدينة مهاجرا أقطع الناس الدور والرباع ، فخط لبنى زهرة من ناحية مؤخرة المسجد ، وجعل لعبدالرحمن بن عوف الحصن المعروف به ، وجعل لعبدالله وعتبة ابنى مسعود الهذليين الخطة المشهورة بهما عند المسجد ، وأقطع الزبير بن العوام بقيعا واسعا ، وجعل لطلحة بن عبيد الله موضع دوره ، ولأبى بكر رضى الله عنه ـ موضع داره

عند المسجد ، وأقطع كلا من عثمان بن عفان والمقداد وعبيد الله ، والطفيل وغيرهم موضع دورهم ، وكان كل عمل يقوم به الرسول ـ ﷺ ـ نابعا فى الأساس من روح الإخاء والتآلف التى سادت بين الأنصار والمهاجرين وكانت الأرض التى أقطعها للمهاجرين لبناء دورهم من الأرض الفضاء التى لا تدخل تحت ملكية أحد فى الغالب،وما كان منها من الخطط المملوكة فإن الأنصار وهبوه إياه »(٣٦)

وعلى الرغم من أن قرابة الدين كانت هى أقوى القرابات ، إلا أن قرابة الرحم لم تُغفل . فمتى اجتمعت صلة الرحم مع صلة الدين كان ذلك أقوى للرابطة وأوثق للعلاقة وأدوم للمحبة وأقرب للتعاون ،

ولذلك فقد كانت دور ذوى الرحم متقاربة ، وقد راعى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى توزيع الخطط الهدف الأساسى وهو تجميع كل قبيلة فى خطة خاصة بها ثم ترك حرية تقسيم الخطة للقبيلة حسب ظروفها وامكاناتها . كما اختلفت المساحات الموزعة بين المسلمين ، فلم تكن كلها فى حجم واحد ، وقد أعطى الزبير ـ كما أعطى غيره أيضا ـ أرضا فى موات البقيع ، فكانت أسماء ـ رضى الله عنها ـ وهى زوجة الزبير ـ تقول : كنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه إياها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على رأسى وهى منى على ثلثى فرسخ .

وكان مسجد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المسجد الجامع ، ومع ذلك فقد كانت هناك مساجد أخرى فى مختلف البقاع . كما كانت هناك

---

( ٣٦ ) المدينة الاسلامية صـ ٥٤

أرض فضاء مخصصة لصلاة العيدين ، أطلق عليها مصلى العيد . . .

وتوحدت السوق فى ظل الاسلام ، فبعد أن كان لكل محلة سوقها قبل الهجرة أنشأ النبى - صلى الله عليه وسلم - للمدينة سوقا واحدة ، وأراد النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يجعلها أولا فى الأرض التى أقطعها الزبير فى البقيع ، ولكن اليهود اعترضوا ، فنقلها الى موضع آخر .

وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - يتعهد السوق من حين لآخر ، فقد روى زامل بن عمرو عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ خرج الى صلاة العيد وعن يمينه أبى بن كعب وعن يساره عمر - أو قال ابن عمر - فلما فرغ مر بدار أبى كبير واللحامون بفنائها - أى بائعو اللحم - فقال : بيعوا كيف شئتم ولاتخلطوا ميتة بمذبوحة ، ولاتحتكروا ، ولاتناجشوا(٣٧) ولاتغشوا السلع ، ولايبع حاضر لباد ، ولايبع الرجل على بيع أخيه ، ولايخطب على خطبة أخيه ، ولاتسأل المرأة طلاق أختها لتكفىء اناءها .(٣٨)

ومراقبة الأسواق تنظيم حضارى تدعو اليه الضرورة وتنادى به حاجة الجماهير التى تتطلع الى من ينقذها من غش التجار ومغالاتهم .

والى المسجد امتدت طرق وشوارع من مختلف الجهات والتكوينات المعمارية . .

---

( ٣٧ ) التناجش : مدح السلعة لترويجها ، أو يزيد أحد ثمنها وهو لايريد شراءها ليقع فيها غيره

( ٣٨ ) النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مرآة أصحابه لعبد الحفيظ فرغلى ص ٢٣٤ والمقصود من قوله : تكفىء إناءها : من كفأت القدر كناية عن إمالة الضرة حق صاحبتها من زوجها لنفسها إذا سألت طلاقها

ذكرت المصادر التاريخية : ان هناك طريقا كان يمتد من المسجد ويتجه غربا حتى يصل الى جبل سلع ، وكان هناك طريق آخر يمتد جنوبا الى قباء ، وطريق آخر يمتد شمالا من قباء الى البقيع . لقد روعى أن يكون المسجد فى مكان يسهل الوصول اليه من مختلف الجهات ، بواسطة الطرق والشوارع المتعددة ، وقد اتجهت المدن التى بنيت بعد ذلك فى الاسلام هذا الاتجاه . . . وتعدد الطرق المؤدية الى المسجد مهدت السبيل أمام النبى - صلى الله عليه وسلم - ليذهب الى المصلى فى العيد من طريق ويعود من آخر ، وأصبح ذلك سنة يتأسى بها المسلمون فيما بعد .

وكان على أطراف المدينة معسكرات أقيمت للدفاع والتدريب فى الوقت نفسه . ومن هذه المعسكرات معسكر الجرف على بعد ثلاثة أميال شمال المدينة ، وهو المعسكر الذى كان فيه أسامة حين خرج بسريته الى ملاقاة الروم ، وقد جهزه النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مرضه الأخير ، وأنفذه أبو بكر - رضى الله عنه - بعده .

ولم يغفل النبى - صلى الله عليه وسلم - مراكز العلاج التى تقوم بدور حيوى بالنسبة للمرضى والجرحى . وقد أسست هذه المراكز بعد العودة من الخندق ، وكان مركز العلاج الأول فى المسجد ، وكان نواة شجعت المسلمين فيما بعد على تطوير هذه الخدمة وتنظيمها حتى تؤدى دورها كاملا .

وكان لدور الضيافة مكان ملحوظ ، فقد بدأت بمكان أعده النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مسجده يأوى اليه أهل الصفة .

ومن دور الضيافة التى أنشئت دار تسمى دار الضيفان أو دار الأضياف ، وكانت فى دار عبد الرحمن بن عوف .

وكانت هناك دار ضيافة أخرى فى بيت رملة بنت الحارث الأنصارية نزل بها وفود غسان وبنى ثعلبة وعبد القيس وفزارة وحنيفة .

وفى هذه الدار حَبَس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجال بنى قريظة قبل أن ينفذ فيهم الحكم الذى حكم به الرجل الذى اختاروه هم بأنفسهم ـ وذلك جزاء خيانتهم وغدرهم .. ويفهم من هذا جواز اتخاذ مكان يحبس فيه المذنبون .

أما نظافة المدينة فكانت محل اعتبار ، إذ حددت أماكن لقضاء الحاجة أطلق عليها اسم : المناصع . بالاضافة الى بيوت الخلاء الملحقة بالبيوت ، ودعا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى النظافة باعتبارها من أسس الايمان وهى شرط فى أداء فريضة الصلاة .

والدعوة الى إماطة الأذى من الطريق ضرورة ألزم بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسلمين واعتبرها من شعب الايمان ..

هذه صورة موجزة للمدينة المنورة التى أشرق فيها نور الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبدل حالها ، ورفع شأنها ، وأعلى مكانتها ، وجعلها حرما آمنا تضاهى فى ذلك أختها العزيزة مكة المكرمة ..

وقد أشارت الى تحريم المدينة بعض الآثار منها ماورد عن أبى هريرة ـ رضى

الله عنه ـ قال : حرم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مابين لابتى المدينة[39]

قال أبو هريرة : فلو وجدت الظباء ترتع بين لابتيها ماذعرتها . وجعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حمى .[40]

وقد أوضح الأمام مالك مساحة حزم المدينة حولها فقال : روى جابر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرم المدينة بريدا من نواحيها .

والبريد مسافة طولها ستة عشر فرسخا ، والفرسخ ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع .

وكما جاء فى مكة أن شجرها لايعضد ولايخبط فكذلك الشأن فى المدينة . وللمدينة أسماء أشرنا الى بعضها . ومنها طيبة بسكون الياء وبتشديدها مع كسرها ، وطابة والمطيبة والمحببة . .

لقد أحب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة حبا شديدا وكان حين خرج من مكة حزينا على فراقها لأنها وطنه وفيها بيت الله الحرام . وقال فى ذلك . لولا أن أهلك قد أخرجونى منك ماخرجت . ولكنه طلب من الله أن يحبب اليه المدينة فاستجاب الله دعاءه . فأحبها حبا شديدا . وأحب أهلها الذين آووه ونصروه . .

---

( ٣٩ ) لابتى : مثنى لابة وهى أرض ذات حجارة سوداء ، والمدينة بين لابتين شرقية وغربية
( ٤٠ ) أخرجه مسلم فى باب الحج ـ الحديث رقم ١٠٠٠ ـ وفى كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد صـ ٢٢٦

وورد فى فضل المدينة قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن الايمان ليأزر الى المدينة كما تأزر الحية الى جحرها .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لاتقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها . وقيل : ان ذلك حدث فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

### النبى يتألف قلوب من لم يؤمن من أهل المدينة

ظل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دار أبى أيوب الأنصارى أياما قبل أن يبنى المسجد ويبنى به دوره

وكان فى خلال هذه الأيام لايكف عن الدعوة الى الله ، يلقى الناس فى دار أبى أيوب أو يزورهم فى منازلهم . وعلى الرغم من انتشار الاسلام فى المدينة فقد بقى قوم لم يسلموا . منهم عبد الله بن أبى بن سلول وكان زعيم الخزرج . . وقد أراد النبى ﷺ أن يدعوه إلى الإسلام بعد أن قال له بعض المسلمين : يارسول الله لو أتيت عبد الله بن أبىّ متألفا له ليكون ذلك سببا لإسلام من تخلف من قومه ؟

فانطلق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وركب حمارا ، والمسلمون يمشون معه . فلما أتاه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له : اليك عنى ، وقال كلاما يتأذى منه رسول الله ـ ﷺ ـ . . فبرز رجل من الأنصار ورد على ابن أبىّ بن سلول دفاعا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فغضب لعبد الله بن أبى بن سلول رجل من قومه ، ثم غضب لكل واحد منهما أصحابه

وتشابك القوم فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدى وكان بعض رجال من المسلمين من قوم ابن أبى قد انحازوا له عصبية فنزل قوله تعالى :

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٤١)

وقد أورد هذه الرواية البخارى ، وأورد أيضا أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر على ابن أبىّ بن سلول وهو فى جماعة فقال ابن أبىّ بن سلول : لقد عثا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد ـ يقصد رسول الله ﷺ فسمعها ابن عبدالله بن أبىّ ـ وكان مؤمنا صادق الايمان ، فاستأذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يأتيه برأسه . فقال له : ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا ، ولكن بر أباك .

وكان عبد الله بن أبى بن سلول جميل الصورة حسن المنطق وهو المعنى بقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٤٢)

---

(٤١) الحجرات ٩ ، ١٠
(٤٢) المنافقون ٤

والذى حدا بعبد الله بن أبي أن يتخذ هذا الموقف العدائى عن الاسلام أن قومه كانوا قد أوشكوا أن يتوجوه ملكا عليهم . ثم عدلوا عن ذلك حين انتشر الاسلام بينهم .

أورد الزهرى عن عروة بن أسامة بن زيد ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ركب حمارا على إكاف ، وأردف أسامة وراءه وانطلق لزيارة سعد بن عبادة فى بنى الحارث بن الخزرج وكان مريضا وذلك قبل وقعة بدر ، فمر رسول الله بمجلس فيه عبد الله بن أبيٍّ بن سلول فاذا فى المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود ، وفى المسلمين عبد الله بن رواحة ، فثار غبار من مشى الحمار فغضب ابن أبى وقال : لاتغبروا علينا فى مجالسنا . فسلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليهم ، ثم نزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن . فقال ابن أبى : أيها الرجل : إنا لانرضى بماتقول فلاتؤذنا به فى مجالسنا ، ارجع الى رحلك ، فمن جاءك فاقصص عليه .

فقال عبد الله بن رواحة : بلى يارسول الله اقصص علينا فإنا نحب ذلك .

واشتد الكلام بين المسلمين والمشركين واليهود حتى كادوا يتبادرون .

فلم يزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهم حتى سكنوا . ثم ركب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دابته حتى دخل على سعد بن عبادة .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ياسعد ، ألم تسمع ماقال ابن أبى ـ قال : كذا وكذا .

فقال سعد بن عبادة : يارسول الله ، اعف عنه واصفح ، فوالله الذى

أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى أنزل عليك فى الوقت الذى كان الناس من قومه قد اصطلحوا على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة ويصبح ملكا فلما رُدَّ بالحق الذى أعطاك الله شرق ، فذلك الذى فعل به مارأيت . فعفا عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [٤٣]

ولكن انظر الى إيمان ابنه ـ رضى الله عنه ـ الذى هم بأن يقتل أباه حبا فى دين الله ودفاعا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهكذا الايمان حين تخالط بشاشته القلوب تهون بجانبه كل علاقة ماعدا علاقة القرب من الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ



(٤٣) السيرة الحلبية جـ٢ صـ٢٥٠

## « المسجد النبوى الشريف »

### بناء المسجد

أول مسجد أسس فى الاسلام هو مسجد قباء ، ويليه مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المدينة ..

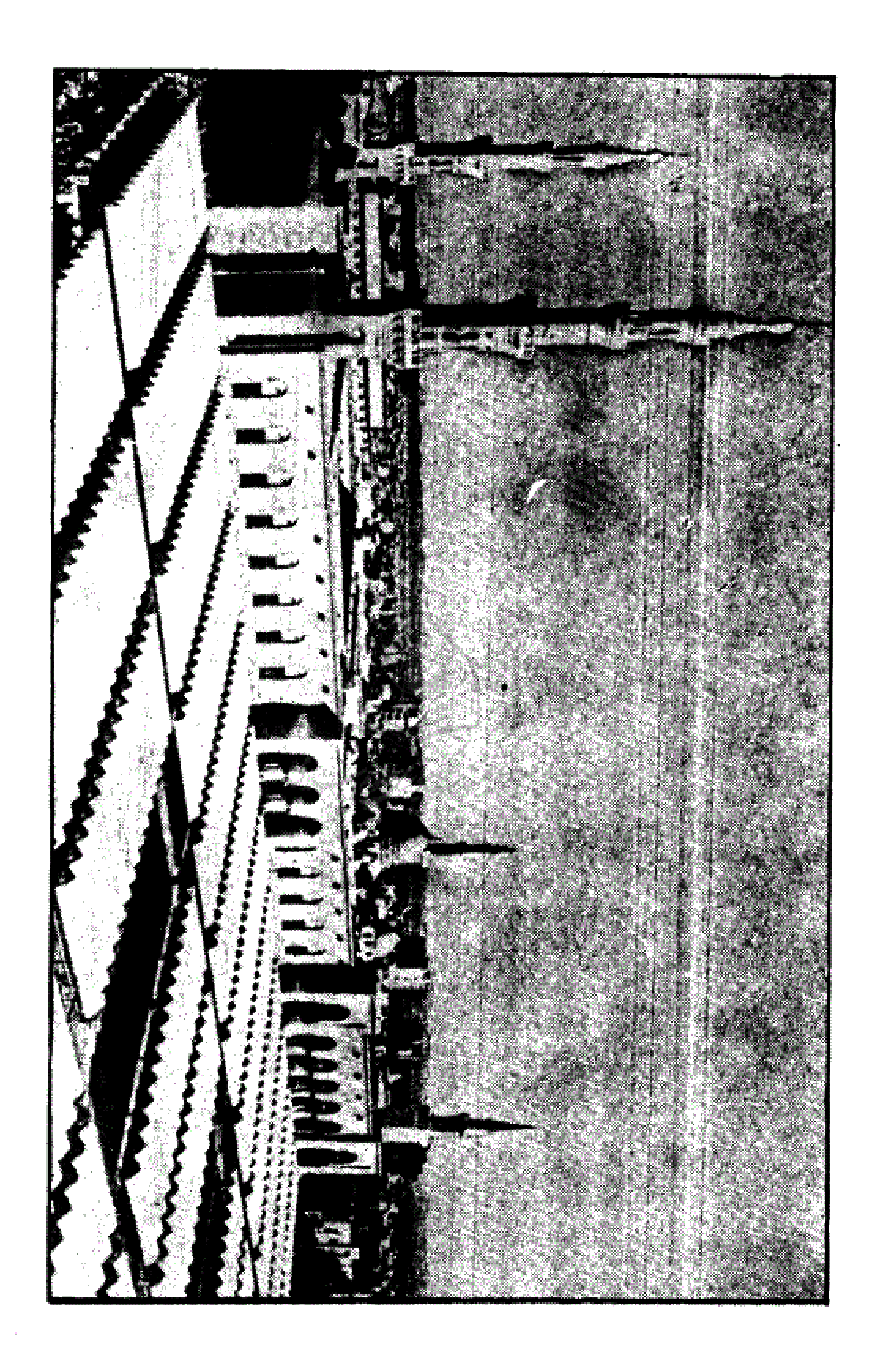
ولنبدأ بالحديث عن مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

### مكان المسجد :

بنى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المكان الذى بركت فيه ناقته ، وكان هذا المكان يستخدمه أبو أمامة أسعد بن زرارة رضى الله عنه ـ لتجفيف التمر .

وفى هذا المكان كان مبرك الناقة أمام منزل أبى أيوب الأنصارى . وكان مبركها بإلهام من الله لها ، بعد أن قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : خلوا زمامها فانها مأمورة ..


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی





سأل النبى - صلى الله عليه وسلم - أسعد بن زرارة أن يبيعه هذا المكان ، فقال له : إنه ليتيمين هما سهل وسهيل وهما ابنا عمرو الأنصارى من بنى النجار

وكان هذان اليتيمان فى حجر أسعد بن زرارة . .

وعرض أبو أيوب الأنصارى على النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يشترى هو تلك الأرض ويدفع لليتيمين قيمتها ، ثم يهبها لرسول الله - فأبى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصر على أن يدفع هو الثمن . فاشتراها بعشرة دنانير وقيل : إن سهلا وسهيلا أصحاب الأرض ذهبا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقالا له : نهب لك المكان يارسول الله

فأبى أن يقبله منهما هبة ، فرضيا أن يبتاعه منهما بعشرة دنانير ، فأمر أبا بكر أن يعطيهما ما طلبا .

وهذا يفيد أنهما كانا قد شبا وبلغا حد التصرف بدون وصى - فيكون وصفهما باليتم باعتبار ماكان .

العمل فى تشييد المسجد

وأمر النبى - ﷺ - بتطهير المكان مما كان فيه ، فقد كانت فيه أشجار ونخيل . . فقطعت الأشجار ، وسويت الأرض وسُيِّرت المياه ثم بدأت مرحلة البناء . .

وكان النبى ﷺ يعمل مع أصحابه بيده وقد تواترت الأخبار بذلك . وهذا يبين فضل هذا المسجد النبوى الكريم . فقد جاء أنه - صلى الله عليه

وسلم ـ كان ينقل الطوب ويحمل الحجارة وكان يتمثل بقول القبائل :

هـذا الحِمال لا حمـال خيبر          هـذا أبـرُّ ربَّنـا وأطـهر

يقصد أن هذا المحمول من الحجر أبر وأطهر ياربنا مما يُحمل من خيبر من التمر وليس هناك ما يمنع من أن يتمثل الرسول بالشعر فى المواقف المختلفة لأن المنفى عن الرسول هو القصد إلى الشعر وتعلمه ، وهذا هو الذى نفاه القرآن عنه ـ قال تعالى

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ (٤٤)

أما التمثل به فلم يُنف عنه ، وقد روى أنه كان يتمثل يوم قتل بدر بقول الشاعر :

نفـلق هـاما من رجـال أعزة          عـلينا وهـم كانـوا أعـق وألامـا

جاء فى الكشاف : وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر ، ولكن لا دليل على منعهم من التمثل به . .

ولكن الراجح أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان حين يتمثل بالشعر لا يقيمه وزنا . فقد تمثل بقول الشاعر :

« كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا »

على هذا الوجه :

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا

---

( ٤٤ ) يس ٦٩

وكان النبى ﷺ يعجبه الشعر الجيد ويستنشد أصحابه ـ وكان يحث حسان بن ثابت على قول الشعر دفاعا عن الإسلام وردًا على الكفار .

وكان يستنشد الخنساء ويقول لها : هيه ياخناس . .

قال ابن هشام : عمل رسول الله ـ ﷺ ـ فى المسجد بيده ليرغب المسلمين فى العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، وقال قائلهم

لئن قعدنا والنبى يعمل      لذاك منا العمل المضلل

وكانوا يرددون قول الرسول ـ ﷺ ـ اللهمَ إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

قال ابن هشام : هذا كلام ، وليس برجز :

عمار يجتهد فى بناء المسجد

واجتهد المسلموم جميعا فى بناء المسجد ، وكان أشدهم اجتهادا عمار بن ياسر ـ رضى الله عنه ـ كانوا يثقلونه بالطوب اللبن يحمله على ظهره ـ فقال : يارسول الله أتعبونى يحملوننى مالا يحملون .

قالت أم مسلمة ـ وكانت من السابقات إلى الهجرة ولم تكن قد تزوجت النبى ـ ﷺ ـ بعد . . رأيت النبى ـ ﷺ ـ ينفض شعر رأس عمار بيده ، وكان رجِلا جعِدا . . . . . ومسح النبى ـ ﷺ ـ ظهره وقال : ياعمار للناس أجرولك أجران . . . .

وكان على بن أبى طالب يرتجزُ فى أثناء بناء المسجد النبوى الشريف ويقول :

لا يستوى من يعمر المساجدا ٭ يدأب فيه قائماً وقاعدا

ومن يُرى عن الغبار حائدا

ويقال عن عمار بن ياسر : إنه أول من بنى المساجد ، ذلك أنه هو الذى أشار على النبى - ﷺ - أن يبنى مسجد قباء ، وجمع الحجارة له ، فلما أسسه النبى ﷺ أتم بنيانه عمار . .

### تطور البناء

كانت مساحة المسجد الذى بناه النبى - ﷺ - سبعين ذراعا فى ستين ذراعا ، وبنيت جدرانه باللبن ، وسُقف جزء منه بسعف النخل والطين ، وترك الجزء الآخر مكشوفا ، وكان له ثلاثة أبواب هى : باب جبريل وباب النساء وباب الرحمة ، ومازالت هذه الأبواب تعرف باسمها حتى اليوم .

وكانت قبلته من اللِّبِن ، ويقال : من حجارة منضودة بعضها على بعض . أما أعمدته فمن جذوع النخل .

وبنيت الحجرات التى اتخذها الرسول - ﷺ - سكنا له مع المسجد ومعنى ذلك أن المبنى - كما يقول الأستاذ صالح لمعى مصطفى - أقيم كمسجد ومنزل فى آن واحد .

ذلك أن حجرات الرسول - ﷺ - ألحقت بالمسجد ، وكان ذلك أرفق به وبالمسلمين . وقد كانت الوفود تفد إليه من كافة الأنحاء فيجدونه فى المسجد وينزلون أحيانا فى المسجد وإن كانت هناك دور ضيافة أخرى أشرنا إليها فيما سبق إلا أن استقبالاته ﷺ لهذه الوفود كانت تتم فى المسجد الذى تقام فيه الشعائر ، وكان لابد أن تكون حجراته التى يقيم فيها قريبة أيضا من المسجد ليستطيع تلبية حاجة المسلمين فى كل وقت دون مشقة .

إن الدين الإسلامى قد شمل بتعاليمه كل أنماط الحياة . . . شمل الشئون الدينية والصحية والاقتصادية وكافة الأمور المعيشية ، فلا عجب أن يكون المبنى الذى أقامه الرسول - ﷺ - قد أدى كل هذه الوظائف ، إنه حقا مجتمع بسيط متواضع يمثل حقيقة الحياة المتواضعة التى عاشها المسلمون الأوائل . .

**هل ورد ذكر للمسجد النبوى فى القرآن ؟**

يقول البعض : إن المسجد النبوى لم يرد ذكره فى القرآن الكريم كما ورد ذكر البيت الحرام ومسجد قباء والمسجد الأقصى .

وليس فى ذلك ما يغض من شأن المسجد النبوى . بل إن هناك من يقول إن قوله ـ تعالى ـ

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [٤٥]

يقصد به المسجد النبوى كما يقصد به مسجد قباء

وقد ذكر القرطبى فى تفسيره عن أبى سعيد الخدرى قال : تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد قباء ، وقال آخر : هو مسجد النبى ـ ﷺ ـ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : هو مسجدى هذا .

وإذا كان المشهور عند العلماء أن الآية نزلت فى مسجد قباء فإن ذلك لا يمنع انطباقها أيضاً على مسجد النبى ـ ﷺ ـ فهو قد أسس على التقوى قطعا من أول يوم كذلك .

وقد ورد فى فضل هذا المسجد آثار نبوية شريفة منها : « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » . . [٤٧]

**فترة إنشاء المسجد ، ووصفه**

يقدر المؤرخون المدة التى أقيم فيها المسجد بسبعة أشهر ، كان النبىُّ

---

( ٤٥ ) المدينة المنورة ، تطورها العمران وتراثها المعمارى صـ٥٣

( ٤٦ ) التوبة ١٠٨

( ٤٧ ) رواه مسلم

ـ ﷺ ـ وسلم يقيم فى أثنائها فى بيت أبى أيوب الأنصارى المواجه للمسجد النبوى الشريف . . . وذلك من شهر ربيع الأول حتى شوال ، ويوافق شوال هذا ابريل سنة ٦٢٣م

أما مساحته فيقدرها المؤرخون بأنها مستطيل . عرضه ستون ذراعا أى حوالى ثلاثين مترا ، وطوله من الشمال الى الجنوب سبعون ذراعا أى حوالى خمسة وثلاثين مترا .

ولم تكن حوائط المسجد متعامدة على بعضها تماما وقد تم تأسيس المسجد على الحجر بعمق ثلاثة أذرع تعلوه الحوائط اللبنية وكان عرض الجدار ذراعى ونصف ذراع .

ولما اشتد الحر ظلل المسجد ، فعملت له سوارى من جذوع النخيل ثم وضعت عليها جسور خشبية غطيت بالجريد والخوص ، ثم غطى هذا السطح بالطين بعد ذلك حتى لا تتسرب مياه المطر فوق المصلين

وكانت قبلة المسجد إلى جهة بيت المقدس ، وكانت به من جهته القبلية ثلاثة أروقة ، بكل رواق ستة أعمدة من جذوع النخل .

وكانت بمؤخرة المسجد من الجهة الجنوبية صُفَّة هى عبارة عن ظلة يأوى إليها المهاجرون الذين لا دار لهم ولا مأوى والذين يطلق عليهم أهل الصفة .

وكان ارتفاع سقف المسجد ثلاثة أذرع ونصف ، وعمل باب فى مؤخرة المسجد وباب فى الحائط الغربى يسمى باب الرحمة

وكان فى البداية يعرف بباب السوق ، لأنه يؤدى إلى السوق غرب المدينة ـ ثم عدل عن هذه التسمية إلى باب الرحمة . . .

وسبب هذه التسمية الأخيرة ـ كما جاء فى صحيح البخارى ـ أن رجلا دخل المسجد طالبا من الرسول ـ ﷺ ـ الدعاء بإرسال المطر ، فدعا الرسول

ـ ﷺ ـ فأمطرت السماء سبعة أيام ، ثم دخل الرجل فى الجمعة الثانية طالبا الدعاء برفع المطر خشية الغرق ، فدعا النبى ـ ﷺ ـ قائلا اللهم حوالينا ولا علينا ، فانقشعت السحب واعتبر هذا رحمة بالعباد ، فأطلق على الباب الذى دخل منه الرجل باب الرحمة .

كما أطلق عليه أيضا باب النبى ، لأن النبى ـ ﷺ ـ كان يستعمله فى الدخول والخروج .

وكان بالحائط الشرقى باب آخر أطلق عليه باب عثمان ، ثم عرف بعد ذلك بباب جبريل ،

وكانت عضادتا كل باب من الحجر .

أما سور المسجد فقد كان ارتفاعه سبعة أذرع ونصف وقد ذكرت بعض المصادر أن حائط القبلة قبل تحولها إلى الكعبة كانت من جذوع النخل المصفوف بعضها بجانب بعض

وبعد تحول القبلة من القدس إلى الكعبة المشرفة وكان ذلك فى يوم الثلاثاء الموافق ١٥ من شعبان سنة ٢هـ ـ ١١ يناير سنة ٦٢٤م أغلق باب المسجد المقام فى الحائط الجنوبى ، وحل محله باب فى الحائط الشمالى وأقيمت ثلاثة أروقة جهة الجنوب على غرار الأروقة التى بالجهة الشمالية . .

وظل المسجد فى عهد الرسول ـ ﷺ ـ كما هو . وإن كان قد اضطر إلى توسعته بعد عودته من خيبر فى محرم سنة سبع ، وأصبحت سعته ٩٠ × ١٠٠ ذراع ، وأصبح له ثلاثة أروقة لجهة القبلة بكل صف منها تسعة أعمدة . . . . .

وقد حصب المسجد ـ أى فرش بالحصباء ـ فى عهد النبى ـ ﷺ ـ وإن كان بعضهم يرجع ذلك إلى أيام عمر ـ رضى الله عنه . . وسبب وضع الحصباء ابتلال المسجد بالمطر ، فجعل كل رجل يأتى بالحصى فى ثوبه فيبسطه ويصلى عليه . فقال النبى ـ ﷺ ـ : ما أحسن هذا البساط . ولم يكن للمسجد مئذنة ولا محراب مجوف .

وكان بلال ـ رضى الله عنه ـ حين يؤذن ، يصعد فوق بيت لأسرة من بنى النجار هو أعلى بيت حول المسجد ويؤذن .

ويعضهم يقول : إنه كان يصعد عن طريق أقتاب إلى دعامة مربعة فى دار عبدالله بن عمر فى جنوب المسجد ويرفع الأذان من فوقها .

منبر المسجد :

وكان النبى ـ ﷺ ـ يخطب إلى جذع فى المسجد ، حتى صنع له منبر من خشب الأثل يتكون من درجتين ومقعد ويرجح أن يكون ذلك فى العام الثامن أو التاسع من الهجرة ، وكان عرض المنبر ذراعا وطوله ذراعان وارتفاعه كذلك ، وقيل : إن الذى تولى صنعه رجل يسمى ـ باقوم ـ الذى قام ببناء الكعبة قبل هذا الزمن بربع قرن تقريبا . وقيل : إن الذى صنعه غلام للعباس بن عبدالمطلب وصاحب الفكرة هو تميم الدارى ، فقد قال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا أعمل لك منبرا كالذى رأيت بالشام . . .

ولم يكن المسجد يضاء بالقناديل ، الا بعد أن أشار تميم الدارى بذلك . كانوا يستضيئون بسعف النخيل يشعلونه فإذا نفد أشعلوا غيره . فأضاء تميم الدارى المسجد بقناديل الزيت فَسُرَّ منه النبى ـ ﷺ ـ ودعا له ـ

## من تميم الداري ؟

تميم هذا هو أوس بن خارجة بن خزيمة كنيته أبو رقية ، هى ابنته لم يكن له غيرها .

كان نصرانيا ، وأسلم سنة سبع وقيل سنة تسع من الهجرة ، وحسن إسلامه ، وكان كثير التهجد قام ليلة يركع ويسجد ويبكى وهو يتلو قوله تعالى

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٤٨)

وذلك حتى أصبح كان هو أول من أسرج السراج فى المسجد(٤٩) وذلك أنه لما قدم المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا ، وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد وأوقدت .

فقال له رسول الله ﷺ - : نورت مسجدنا نور الله عليك(٥٠)

وجاء فى أسد الغابة عن سراج أبى مجاهد اليمنى قال : قدمنا على رسول الله ﷺ - ونحن خمسة غلمان لتميم الدارى فأمر تميم أن يسرج فى مسجد رسول الله ﷺ - قنديل بزيت ، وكانوا لايسرجون فيه إلا بسعف النخل .

فقال رسول الله ﷺ - من أسرج مسجدنا ؟

فقال تميم : غلامى هذا .

---

( ٤٨ ) الجاثية ٢١

( ٤٩ ) أسد الغابة لابن الأثير ج ١ ص ٢٥٦

( ٥٠ ) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٧٨

فقال : ما اسمه ؟

فقال : فتح

فقال النبى - ﷺ - : بل اسمه سراج .

قال : فسماني رسول الله - ﷺ - سراجا . (٥١)

وفى هذا المسجد المتواضع الذى أقامه النبى - ﷺ - تخرج الصحابة الأجلاء الذى ملأوا الدنيا علما ونورا وحضارة . .

**فلم تكن مهمة المسجد مقصورة على أداء الصلاة ، بل تعدى المسجد ذلك** الدور فكانت تعقد فيه حلقات العلم والذكر ، كما كان مركزا للدعوة إلى الجهاد ومأوى للعباد ودارا للضيافة ، وساحة للقضاء ، كان يتسع لكل أغراض الحياة . .

وأضفى وجود النبى - ﷺ - على هذا المسجد روحا جديدة ، فكانت توجيهاته وتعليماته نورا يهدى ، وزادا يقوى ، وطاقة جديدة تزداد مع الأيام تألقا ويستمد منها المسلمون حاجتهم وقوتهم . .

---

(٥١) أسد الغابة ج ٢ ص ٣٣٨

# أول مسجد فى الإسلام

- تجديد المسجد النبوى فى العصر الأموى .
- معنى المحراب .
- تجديد المسجد فى العصر العباسى .
- السلطان الظاهر بيبرس يعمر المسجد النبوى .
- المسجد فى عهد العثمانيين .
- حفظ الله للقبر الشريف .
- المسجد فى عهد آل سعود .
- مسجد قباء .
- أول مسجد أسس على التقوى .
- فضل مسجد قباء .
- مسجد الجمعة .
- المساجد السبعة .
- مسجد القبلتين .



## توسعات المسجد وتجديداته

ظل المسجد على حاله فى عهد أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ دون زيادة ، إلا أنه قام بتجديد أعمدة النخيل التى كانت قد تلفت

وحين ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ أجرى فى المسجد عمارة كبيرة عام ١٧ هـ فقد قام بتوسعته حتى أصبح عرضه ١١٠ ذراعا وأصبح طوله ١٤٠ ذراعا . وأضيفت الصفة إلى المسجد

وقد استخدم فى الانشاء الجديد أعمدة من جذوع النخيل والطوب اللبن للأسوار ، وبلغ ارتفاع السقف ١١ ذراعا ، وبنى أساسه بالحجارة ، وتم تحصيب المسجد بحصباء من وادى العقيق ، كما أدخلت المصابيح الكبيرة إلى المسجد ، وأصبح للمسجد ستة أبواب منها باب النساء ، وباب السلام وكان يطلق عليه أولا باب مروان نسبة الى مروان بن الحكم .

ولم تكن بالمسجد أية زخارف ، بل حذر عمر من ذلك وقال لمن عهد إليه بأمر المسجد : أكن الناس من المطر ، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس .

وقد يكون عمر ـ رضى الله عنه ـ قد قال ذلك تقليلاً للنفقات ، فقد كان المسلمون فى ذلك الوقت فى حاجة إلى الكثير من المال لأغراض الجهاد فى سبيل الله . . .

وفى عهد عثمان رضى الله عنه ـ أصبحت الحاجة ملحة فى العام السادس من ولايته إلى توسعة المسجد ، وبخاصة بعد أصبحت الأعمدة فى حاجة إلى التغيير .

وبدأ العمل فى ربيع الأول عام ٢٩ هـ ، واستمر عشرة شهور حتى انتهى فى أول المحرم سنة ٣٠ هـ يوافق سبتمبر ٦٥٠ م

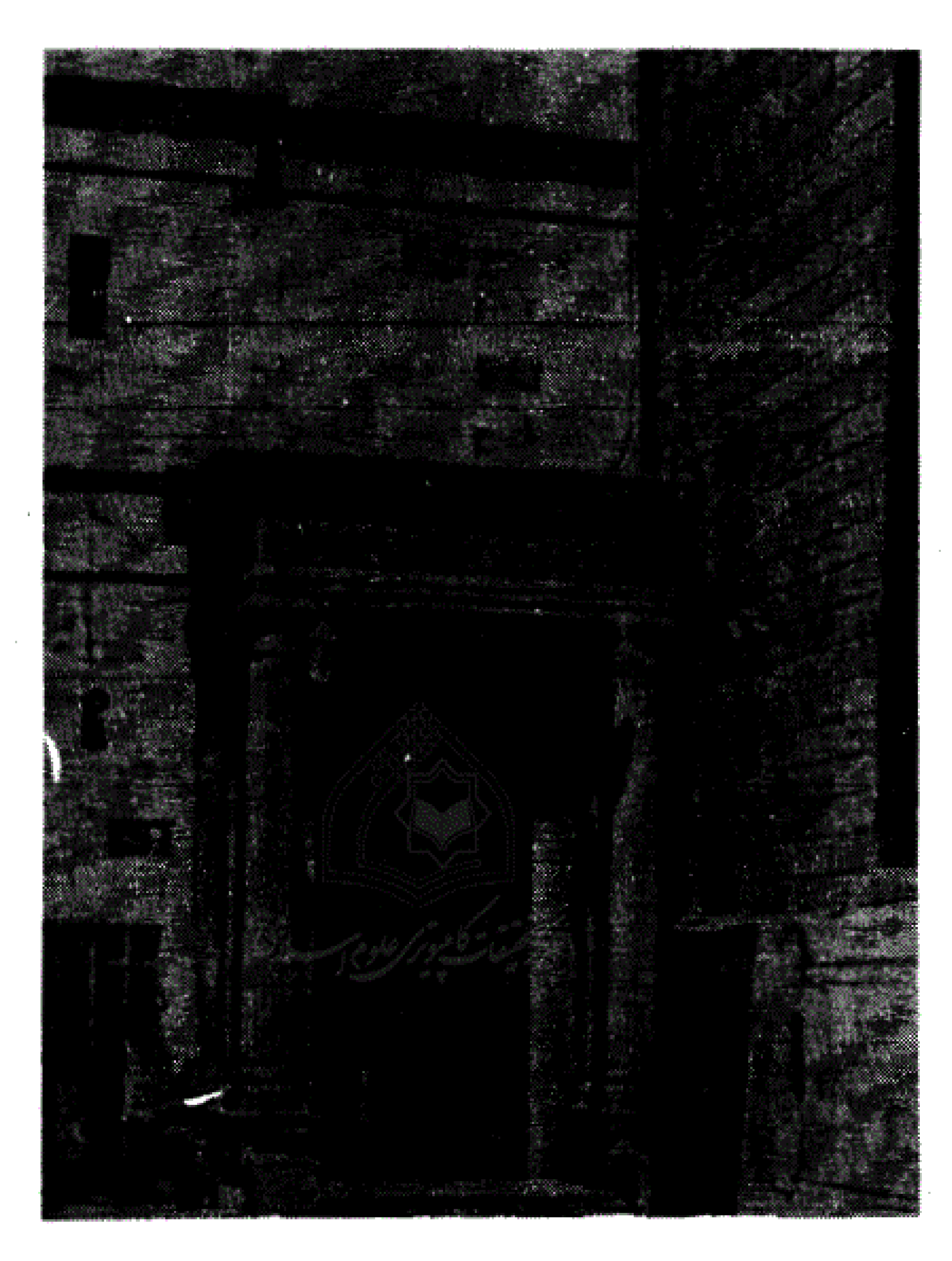
أصبح طول المسجد ١٦٠ ذراعا ، وعرضه ١١٨ ذراعا وذلك بإضافة رواق إلى الأروقة الأربعة . .

وفى هذه التوسعة والتجديد ، تم بناء المسجد بالحجر بدل الطوب اللبن ، كانت الحجارة منقوشة ، وأصبحت الأعمدة من الحجر المنحوت ، ووضع بها قطع من الحديد مغطاة بالرصاص المصهور لتثبيت حجارة الأعمدة مع بعضها . ووضعت الأعمدة الحجرية مكان الأعمدة القديمة .

أما السقف فقد عمل من الخشب الساج محمولا على جسور خشبية ترتكز على الأعمدة وأضيفت إلى الجدران طبقة من الجص ، وعملت بالحائط الشرقى والغربى فتحات « نوافذ » كانت فى الجزء العلوى من الحائط

وكان المشرف على البناء هو زيد بن ثابت رضى الله عنه ـ واحتفظ للمسجد بأبوابه الستة التى كانت فى عهد عمر ـ رضى الله عنه .

وأقام مقصورة حول منطقة المحراب من الطوب اللبن ، وعمل بها فتحات ينظر منها الناس إلى الإمام ، وكان الهدف من ذلك حماية الإمام بعد حادث اغتيال عمر بن الخطاب رضى الله عنه .



المسجد في عصر الخليفة عثمان بن عفان


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## المسجد فى العَصرْ الأموى

حين تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة ، أمر عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - الملقب بخامس الخلفاء الراشدين بإعادة بناء المسجد النبوى على طراز حديث ، مع توسعته بإدخال حجرات أمهات المؤمنين إليه .

وقد ذكر الطبرى أن هدم المسجد بدأ فى صفر سنة ٨٨ هـ - يناير ٧٠٧ م بواسطة عمال من المدينة المنورة .

أما عمال البناء فقد أرسلهم الوليد فى ربيع أول سنة ٨٨ هـ - فبراير ٧٠٧ م وظل العمل قائما فى بناء المسجد وتوسعته حوالى ثلاث سنوات ، فقد انتهى عام ٩١ هـ ، وقد حج الوليد فى هذا العام وافتتح المسجد رسميا

وقد استعان الوليد على تجميل المسجد وتعميره بعمال من الخارج ، فقد أرسل الى ملك الروم يقول له : إنا نريد أن نعمر مسجد نبينا الأعظم - ﷺ - فأعنا فيه بعمال وفسيفساء ، فبعث إليه الملك بأحمال من الفسيفساء وبضعة وعشرين عاملا ، وقيل ان العمال كانوا من الروم وعدتهم ٤٠ عاملا ، ومن القبط

وذكر الطبرى أيضا قال : حضر رسول الوليد بكتاب منه إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بإدخال حجرات أزواج رسول الله - ﷺ - فى المسجد ، وأن يشترى مما وراءه ونواصيه حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع ، ويقول له : قدم القبلة إن قدرت .

وقد تم التجديد بصورة كبيرة فى هذا العصر فكان المسجد آية فى الجمال والأناقة وأصبحت صفته كما ذكرها ابن عبد ربه فى العقد الفريد :[٥٢]

قال تحت عنوان « صفة مسجد النبى - ﷺ - : أروقته فى قبلته معترضته من الشرق إلى الغرب ، فى كل صف من صفوف عمدها ١٧ عمودا ، بين كل عمودين فجوة كبيرة واسعة ، والعمد فى الأروقة القبلية بيض مجصصة مرتفعة طويلة - وسائر عمد المسجد رخام ، والعمد المجصصة على قواعد عظيمة مربعة ورءوسها مذهبة عليها نجف - جسور - منقوشة مذهبة ، ثم السموات - السقف - على النجف ، وهى مذهبة أيضا ، وقبالة المحراب بلاط مذهب شقت به البلاطات من الصحن إلى أن ينتهى إلى البلاط الذى بالمحراب ولايشقه ، وفى البلاط الذى يلى المحراب تذهيب كثير ، وفى وسطه سماء - سقف - كالترس المقدر مجوف كالمحار مذهب[٥٣] .

وبالنسبة للتكسية - الطلاء - فقد أفاد ابن عبد ربه بأنه قد أخذ وجه السور القبلى من داخل المسجد بإزار رخام من أساسه إلى قدر القامة منه[٥٤] ولف على الإزار بطوق رخام فى غلظ الإصبع - ٢ سم - ، ثم فوقه إزار دونه فى العرض - أقل من ١,٧٥ مترا - مخلق بالخلوق[٥٥] ثم فوقه إزار مثل الأول - مقداره ١,٧٥ مترا - فيه أربعة عشر بابا - يقصد شباكا - فى صف من الشرق إلى الغرب منقشة مذهبة ، ثم فوقه إزار رخام أيضا فيه صفة

---

(٥٢) العقد الفريد ج ٣

(٥٣) يصف السقف بأنه قبة قليلة العمق

(٥٤) يقدر هذا بـ ١,٧٥ متراً

سماوية - أى مدهون بلون لازوردى وهو لون السماء - فيها خمسة سطور مكتوبة بالذهب بكتاب ثخين - غليظ - قدر إصبع - ٢ سم - والمكتوب سُوَرٌ من قِصار القرآن ، وهى سور الفاتحة ، والشمس ، والليل ، والضحى ، والشرح ، والتين ، والعلق ، والقدر ، والبينة ، والزلزلة ، والعاديات ، حتى الناس .

ثم فوقه إزار رخام مثل الأول الأسفل - ١,٧٥ مترا - فيه ترسة من ذهب منقوشة ، وبين كل ترسين منها عمود أخضر فى حافاته قضيبان من ذهب ، ثم من فوقه رخامات ضيقة منقوشة عرضها مثل عظم الذراع - ٢٥ سم - لها قضبان وأوراق من ذهب ناتئة غليظة - هى عبارة عن زخارف نباتية .

أما المحراب فقد وصفه ابن عبد ربه بقوله : وقبو المحراب مقوس جدا ، وفيه دارات - حنيات - بعضها مذهب وبعضها خمرى أسود ، ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مخلق بالخلوق ، فيه الوتد الذى كان النبى - ﷺ - يتوكأ عليه فى المحراب الأول عند قيامه من السجود ، وعن يمين المحراب باب يدخل منه الإمام ويخرج ، وعن يساره باب صغير وقد سد بعوارض من حديد ، وبين هذين البابين والمحراب ممشى مسطح لطيف .

والحيطان وصفها ابن عبد ربه فقال : حيطان المسجد كلها من داخله مرخمة بالرخام والفسيفساء أولها وآخرها .......

---

( ٥٥ ) مطلى بعجينة ذات رائحة لونها أحمر

## صفة القبر النبوى فى المسجد

بنيت حوائط الغرفة النبوية ـ ونعلم جميعا أنها كانت غرفة ـ أم المؤمنين ـ عائشة رضى الله عنها ـ وقد توفى النبى ـ ﷺ ـ فيها ، ودفن حيث توفى . . وكانت ملحقة بالمسجد النبوى كغيرها من حجرات زوجاته . وبدفن النبى ـ ﷺ ـ فيها أصبحت قبراً دفن فيه إلى جانب النبى ـ ﷺ ـ صاحباه أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ

وقد بنيت حوائط الغرفة النبوية نفسها بالحجارة المنحوتة البازلتية ولم يعمل بها أبواب ، وعمل حولها « الحظار المزور » بشكل غرفة ذات خمسة أضلاع غير متساوية .

وكانت الحوائط الخارجية المذكورة لاتصل الى سقف المسجد ، ولكن على مسافة منه بحوالى ذراعين . .

وأضيف الى المسجد فى عهد الأمويين المئذنة والمحراب المجوف . .

## معنى المحراب

والمحراب فى اللغة صدر المنزل وأرفع مكان فى الدار وجمعه : محاريب ، ويطلق أيضا على الغرفة . . . .

وقد ورد ذكر المحراب فى القرآن الكريم فى مواضع منها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ

هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ (٥٦)

وفى قوله تعالى

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٥٧)

وفى قوله تعالى

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ (٥٨)

وفى قوله تعالى

وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ (٥٩)

والمحراب فى الآية الأخيرة يعنى الغرفة التى هى أرفع مكان فى الدار ، أو أرفع مكان فى المسجد .

قال ابن منظور : وفى الحديث ان النبى - ﷺ - بعث عروة بن مسعود - رضى الله عنه - إلى قومه بالطائف فأتاهم ودخل محراباً له ، فأشرف عليهم عند الفجر ثم أذن للصلاة .

---

( ٥٦ ) آل عمران ٣٧

( ٥٧ ) آل عمران ٣٩

( ٥٨ ) مريم ١١

( ٥٩ ) ص ٢١

قال : وهذا يعنى أنه دخل غرفة يُرتقى إليها .

والمحاريب صدور المجالس ، ومنه سمى محراب المسجد ، والمحراب القبلة ، ومحراب المسجد صدره وأشرف موضع فيه . . .[٦٠]

وقد وردت كلمة محاريب فى القرآن الكريم فى قوله تعالى

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[٦١]

وتحديد القبلة أمر مشروع ، واستعمله النبى - ﷺ - فى مواضع متفرقة . فقد استعمل الحربة والعَنَزَةَ فى تحديد اتجاه القبلة فى أثناء الصلاة فى الفضاء .

وتجويفها الذى تم فى عهد الوليد بن عبد الملك ، لايزيد على كونه إضافة تجميلية الى المسجد ، فضلا عن أنه يعكس صدى الصوت ليسمع فى أقصى المسجد فى وقت لم تكن مكبرات الصوت قد اخترعت بعد شأنه شأن المشكاة التى تعكس الضوء فيقوى .

لقد كان هدف الوليد إبراز مسجد الرسول - ﷺ - فى صورة رائعة من الجمال تليق - بمنزلة النبى الأعظم - كما قال لملك الروم . . . واستقدم من أجل ذلك العمال المهرة من الخارج ، الذين لديهم خبرة معمارية متقدمة .

---

( ٦٠ ) لسان العرب ج ٢ ص ٨١٧

( ٦١ ) سبأ ١٣

ومن المتيقن أن كلمة محراب الواردة فى القرآن بمعنى المصلى لاتعنى ذلك المنحنى الذى يكون فى صدر المسجد فى اتجاه القبلة ـ وعمل هذا المنحنى ليس من الأمر المحتوم فى المساجد ، وأى اشارة فى الجدار نحو القبلة تغنى عنه ، ولكنه بمرور الوقت أصبح من مستلزمات التشييد فى المساجد الذى يكون حكمه حكم الاضافات التى جدت من تسليح وقباب وزخرفة ومنارات وبسط وغير ذلك . ينطبق على هذه الاضافات ما ينطبق عليه . فحكمه حكم المنارات العالية ومكبرات الصوت المختلفة والبسط المزركشة وغيرها مماهو طريف وبديع فى المساجد ؟

لقد كان مسجد الرسول ـ ﷺ ـ مفروشا بالحصباء وظل كذلك حتى العصر الأموى ، ولانجد منكرا الآن على فرش المساجد بأغلى أنواع « السجاد والموكيت » . .

فينبغى النظر الى تجويف المحراب من هذه الوجهة ، وأنه عمل يقصد به تحسين المسجد وتجميله ، وتحديد مكان القبلة تحديدا دقيقا .

على أن هذا التعمير الجديد للمسجد فى عهد الأمويين قد تم على الرغم من معارضة بعض العلماء والفقهاء من أهل المدينة فى ذلك الوقت . . فقد ذكر الرواة أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، حينما ورد اليه خطاب الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بشأن تجديد المسجد وتوسعته ، جمع الفقهاء وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فشق عليهم ذلك ، وقالوا : هذه حجرات زوجات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قصيرة السقوف وسقوفها من جريد النخل وحيطانها من الطوب اللبن ، وتركها على

حالها لُولى لينظر إليها الحجاج والزوار فيعتبروا ، ويكون ذلك أدعى الى الزهد فى الدنيا ، فلايعمرون فيها إلا بقدر الحاجة ، فكتب عمر الى الوليد برأى الفقهاء فاستشار الوليد بعض ذوى الرأى والعلم ، فلم يروا فى ذلك مايخالف الدين فأرسل اليه يأمره بالهدم وبناء المسجد »[٦٢]

ومن الحسن أنْ التجديد أضاف الى المسجد أربع منارات فى أركانه الأربعة ، وكان العمل قد استمر فى ذلك ثلاث سنوات ، وكانت احدى المنارات تطل على دار مروان ـ بن الحكم ـ وهى مقر الامارة إذ ذاك ـ فلما حج سليمان بن عبد الملك . أمر بهدم تلك المنارة ، فهدمت ، وبقى المسجد بثلاث منارات حتى عام ٧١٦ هـ حين أمر السلطان محمد بن قلاوون حاكم مصر فى ذلك الوقت بانشاء منارة رابعة .

## التجديد فى العصر العباسى

فى أيام الخليفة المهدى الذى تولى الخلافة عام ١٥٨ هـ أضاف الى المسجد النبوى مائة ذراع من جهته الشمالية وكان ذلك فى عام ١٦٦ هـ ، وشملت التجديدات الأروقة والأعمدة والأبواب . .

فقد فتح فى الجدران ٢٤ بابا منها ثمانية بالحائط الغربى ناحية السوق . .

وثمانية بالحائط الشرقى

وأربعة بالحائط الشمالى

(٦٢) من مقال للاستاذ عبد الستار محمد فيض مجلة الوعى الاسلامى عدد ربيع الأول ١٤٠٨ھ

وأربعة بحائط القبلة ، وباب يدخل منه الأمراء ناحية دار مروان ، وباب يسار القبلة يدخل منه الى المقصورة ، وباب يمين القبلة ، ويطلق عليه باب بيت القناديل ، وباب فى قبلة المسجد يخرج منه السلطان الى المقصورة .

وتحولت خوخة عمر بحائط القبلة يسار المحراب الى شباك ، وذلك بعد عمل مقصورة جديدة من الخشب .

وهدم المهدى المقصورة الأموية وخفض منسوب أرضيتها الى منسوب أرضية المسجد .

لقد بدأت عمارة المهدى سنة ١٦٢ هـ واستمرت ثلاث سنوات حيث انتهت عام ١٦٥ هـ وزخرف المسجد بالفسيفساء .. ثم قامت بعد ذلك عدة إصلاحات متوالية فى عهد العباسيين .

**وصف ابن بطوطة للمسجد**

وفى عام ٧٢٥ هـ قام محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم المشهور بابن بطوطة برحلته العجيبة التى دون مشاهداته خلالها فى كتابه المشهور رحلة ابن بطوطة المسماة « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » وزار المدينة المنورة ووصف المسجد النبوى وصفا دقيقاً رائعا ، وكان مماقاله فى ذلك : ـ دخلنا الحرم الشريف ، وانتهينا الى المسجد الكريم فوقفنا بباب السلام مسلمين ، وصلينا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر الكريم ، واستلمنا القطعة الباقية من الجذع الذى حن لرسول الله ـ ﷺ ـ وهى ملصقة بعمود قائم بين القبر والمنبر عن يمين مستقبل القبلة ، وأدينا حق

السلام على سيد الأولين والآخرين وشفيع العصاة والمذنبين ، الرسول النبى الهاشمى محمد - ﷺ - . . . . .

ثم أدينا حق السلام على صاحبيه أبى بكر الصديق ، وأبى حفص عمر الفاروق ، رضى الله عنهما -

وانصرفنا الى رحلنا مسرورين بهذه النعمة العظمى ، مستبشرين بنيل هذه المنة الكبرى ، حامدين الله تعالى على البلوغ الى معاهد رسوله الشريفة ومشاهده العظيمة المنيفة داعين ألا يجعل ذلك آخر عهدنا بها ، وأن يجعلنا ممن قبلت زيارته ، وكتبت فى سبيل الله سفرته . وبعد هذه المقدمة بدأ فى وصف المسجد فقال :

المسجد المعظم مستطيل ، تحف به من جهاته الأربع بلاطات دائرة به . . ويدور بالمسجد الشريف شارع مبلط بالحجر المنحوت . والروضة المقدسة - صلوات الله وسلامه على ساكنها فى الجهة القبلية ممايلى الشرق من المسجد الكريم وشكلها عجيب لايتأتى وصفه ، وهى مدورة بالرخام البديع النحت ، الرائق النعت ، تفوح منها رائحة المسك والطيب مع طول الأزمان .

وفى الصفحة القبلية منها مسمار فضة هو قبالة الوجه الكريم ، فيسلمون وينصرفون يمينا إلى وجه أبى بكر الصديق .

ورأس أبى بكر - رضى الله عنه - عند قدمى رسول الله - ﷺ - ثم ينصرفون الى عمر بن الخطاب ، ورأس عمر عند كتفى أبى بكر - رضى الله

عنها ـ وفى الجوف من الروضة المقدسة ـ زادها الله طيبا ـ حوض صغير مرخم فى قبلته شكل محراب . . .

ثم تحدث ابن بطوطة عن ابتداء بناء هذ المسجد ، وعن انه كان بناءً بسيطاً متواضعاً لم يسقف حتى أمطرت السماء فسقفوه تسقيفا بسيطا بقدر مايمنع المطر عن المصلين . .

إن ذلك يدل على أن الاقبال على الله هو الأهم ، والمظاهر لاتعنى المقبل على الله ، ومن أجل ذلك جعلت الأرض مسجدا وطهورا ، وفى أى مكان أدركت المسلم الصلاة فليصل . .

وقد أشار النبى ـ ﷺ ـ إلى ضرورة الزيادة فى المسجد ، وعلى ذلك اعتمد عمر بن الخطاب حين زاد وقال : لولا أنى سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : ينبغى أن نزيد فى المسجد ـ مازدت فيه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قصة للعبرة .

ومما يؤثر وينبغى أن يعيه الناس ويتذكره المسلمون ليتعظوا بمافيه من مثل تلك القصة التى ذكرها ابن بطوطة فى أثناء حديثه عن زيادة عمر فى مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ

قال : أراد عمر أن يُدْخِل فى المسجد موضعا كان للعباس عم رسول الله ـ ﷺ ـ وأراد عمر أن يدخل هذا الموضع فى المسجد

فنازعه العباس ، وحَكَّماَ بينهما أبىُ بن كعب فأتيا داره ، فلم يأذن لهما إلا بعد ساعة ، ثم دخلا إليه . . .

فذهب عمر ليتكلم فقال له أُبَيّ : دع أبا الفضل يتكلم أولاً لمكانه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فقال العباس : خطة خطها لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبنيتها معه ، وأراد إدخالها فى المسجد .

فقال أبى : إن عندى من هذا علما . . .

سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : أراد داود ـ عليه السلام ـ أن يبنى بيت الله المقدس ، وكان بجواره بيت ليتيمين ، فراودهما على البيع فأبيا ، ثم راودهما فطلبا ثمنا باهظا . . فاستعظم داود الثمن ، فأوحى الله إليه : إن كنت تعطى من شيء هو لك فأنت أعلم ، وإن كنت تعطيهما من رزقنا فأعطهما حتى يرضيا ، وإن أغنى البيوت عن مظلمة بيت هو لله ، وقد حرمت عليك بناءه .

قال : يارب ، فأعطه سليمان .

فأعطاه سليمان ـ عليه السلام ـ

فقال عمر : من لى بأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ذلك ؟

فخرج أبىّ إلى قوم من الأنصار فأثبتوا له ذلك .

فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : أما انى لو لم أجد غيرك أخذت بقولك ، ولكنى أحببت أن أتثبت .

ثم قال للعباس ـ رضى الله عنه ـ : والله لا يؤخذ شيء إلا برضاك وبالثمن الذى تريد .

فقال : أما إذا أثبت لى فهى صدقة لله .

فهدمها عمر وأدخلها فى المسجد ..

فانظر إلى تورع الخلفاء وتواضعهم ، وإلى إقرارهم بالحق وعدم إعراضهم عنه وانظر الى عدم تملق العلماء للخلفاء ومناصحتهم لهم ، وقبول الخلفاء لما يقولون برضا وسخاء نفس ..

وتحدث ابن بطوطة عن منبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر أنه مصنوع من طرفاء الغابة وقيل من الأثل ، وكان من ثلاث درجات يجلس ﷺ على أعلاهن ، ويضع رجليه الشريفتين على أوسطهن .

فلما تولى أبوبكر جلس على الدرجة الوسطى وجعل رجليه على أولى الدرجات ولما تولى عمر جلس على الدرجة الأولى ووضع رجليه على الأرض ..

وفعل ذلك عثمان رضى الله عنه صدرا من خلافته ولما صار الأمر الى معاوية زاد فى المنبر ست درجات من أسفله فأصبح تسع درجات ...

## السلطان الظاهر يعمر المسجد

ذكر الرواة أن حريقا قد حدث بالمسجد النبوى بسبب ترك أحد الخدم موقد المصباح مشتعلا فى المسجد وقد سارع السلطان الظاهر بيبرس سلطان مصر بإرسال حملة من الصناع ومعها كل ما يحتاج إليه التعمير والتجديد والبناء من مواد وآلات وكان ذلك سنة ٦٦٠هـ فأعيد المسجد كما كان قبل الحريق ، ولم يطرأ على عمارة المسجد بعد ذلك أى تعديل حتى سنة ٨٧٣هـ وكانت الخلافة العباسية قد سقطت ، وأصبحت مصر مسئولة مسئولية كاملة

عن رعاية هذه الأماكن المقدسة ، وغيرها من معالم الأمة الإسلامية ونهضتها وتراثها وعلومها ، فشمرت عن ساعد الجد فى تلك الأمور ، وفى مقدمة ذلك كله أنها تصدت للعدوان التترى البربرى فأودت به فى معركة فاصلة فى عين حالوت ، بقيادة سيف الدين قطر .

ثم أنهت وجوده نهائيا بقيادة الظاهر بيبرس فى موقعة البيرة ثم الأبلستين سنة ٦٧٥هـ[٦٣]

ولا ينبغى إغفال ما قامت به الخلافة العباسية قبل سقوطها من إصلاحات توقفت بسبب انهيارها ، ولا ماقام به ملك اليمن المظفر شمس الدين يوسف من مشاركة فى إصلاح المسجد . ولا ما قام به سيف الدين قطر . الذى تولى السلطة فى مصر قبل الظاهر بيبرس البندقدارى . .

إلا أن الجهد الأكبر فى الإصلاح والترميم والتعمير والتجديد كان على يد هذا السلطان الأخير ـ رحمه الله .

وقد أرسل هذا السلطان منبرا جديدا وأقام مقصورة من الخشب بها ثلاثة أبواب وضعت حول القبر الشريف وما يعرف ببيت فاطمة ثم أقيمت قبة لأول مرة على القبر النبوى الشريف وذلك فى عهد السلطان قلاوون سنة ٦٧٨هـ

وفى الحق أن السلطان قلاوون تابع المسيرة بعد الملك الظاهر فقام بالعديد من الإصلاحات . . .

---

(٦٣) مصر العربية فى مجال التاريخ لعبد الحفيظ فرغلى ص ٩٦

ثم توالت الإصلاحات بعد ذلك فى العصر المملوكى وبخاصة بعد الحريق الثانى الذى أصاب المسجد .

الحريق الثانى

كان الملك قايتباى ملك مصر قد قام بتجديد المسجد النبوى وأعاد إليه بهاءه ورونقه ، وكان ذلك بدءا من عام ٨٧٣هـ ، وقد قيل إن تكاليف البناء قد بلغت ستين ألف دينار . . .

ومازال المسجد يشهد بعض آثار قايتباى ممثلة فى المنبر وإحدى المآذن .

ويبدو أن الملك الأشرف قايتباى - وكان مولعا بالبناء والانشاء - تدل على ذلك آثاره المختلفة فى شتى البقاع - وكان سعيدا بما قدمه للمسجد النبوى ، وعبر عن سعادته بزيارة المدينة المنورة وزيارة الروضة الشريفة والمسجد النبوى . وذلك قبل حجه عام ٨٨٤هـ .

ولكن سعادته هذه أجهضت بحريق حدث فى المسجد النبوى مرة أخرى عام ٨٨٦هـ وأصاب هذا الحريق المسجد بأضرار بالغة . ولم يسلم من الحريق سوى القبة الداخلية على القبر الشريف والتى أقيمت فى عمارة قايتباى السابقة للمسجد . . واحترق المنبر وسقطت أكثر عقود المسجد وأعمدته ، وما بقى منها أصبح آيلا للسقوط .

ولكن العمل على إعادة التعمير بدأ على الفور ، فأرسلت من مصر مجموعتان من العمال ، الأولى تقدر بمائة صانع من البنائين والنجارين والدهانين وغيرهم من الحرفيين .

والثانية تتكون من ثلثمائة صانع ،
ومع هذه الأعداد أرسلت الآلات والمواد اللازمة

وتم الاصلاح والتعمير والتجديد بصورة رائعة جميلة تليق بجلال هذا المسجد ومكانته فى نفوس المسلمين .

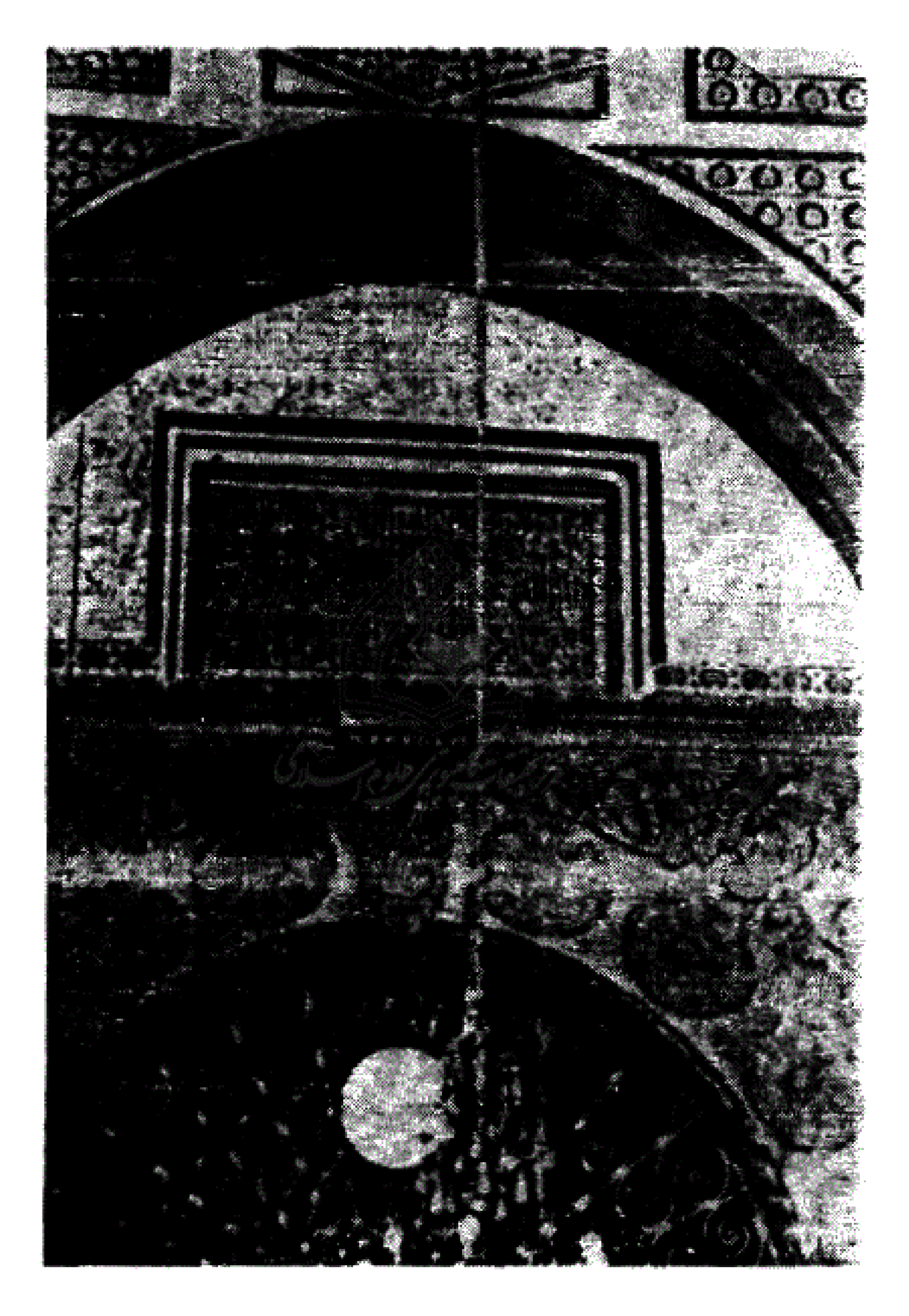
## المسجد فى عهد العثمانيين

حين آلت الخلافة إلى العثمانيين أولوا المسجد النبوى عنايتهم ، ففى القرن العاشر الهجرى عمره السلطان سليم الثانى ، وفى القرن الثالث عشر بنى السلطان محمود الثانى القبة الخضراء .

وفى عهد السلطان عبدالمجيد الأول فى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر لوحظ أن المسجد بحاجة إلى العمارة بعد أن انقضت على عمارته أربعة قرون لم تحدث فى أثنائها عمارة هامة له ، فأمر السلطان بتجديد المسجد النبوى تجديدا شاملا دون تعطيل الشعائر الدينية فيه .

وقد سجلت تلك العمارة من روعة الفن الإسلامى ما يزال حتى اليوم بهجة للأنظار .

وقد كتبت على جدران المسجد فى الداخل سورة الفتح ، وأسماء الله الحسنى ، وقصيدة البردة ، وأسماء النبى - ﷺ - بخط بالغ الروعة والدقة والإتقان



المسجد النبوي : باب السلام ـ نص تاريخي للسلطان قايتباي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## حفظ الله للقبر الشريف

لقد رأينا من خلال ما قدمنا أن المسجد قد تعرض على مدى العصور لأحداث بعضها بفعل الزمن وبعضها بسبب الاهمال . . . وكل ذلك يشهد بأن هذا المكان كغيره من الأمكنة التى تتناولها يد الحدثان ، إلا أن الله ميزه بميزة ـ هى نسبته إلى خير الخلق ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه أحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال ، وهو يمثل بالنسبة للمسلمين منزلة كبرى فى نفوسهم ، واليه تشتاق أفئدتهم وتهفو أرواحهم .

ولكن المسجد على كثرة ما مر به من أحداث لم يتعرض القبر الشريف بداخله لأى حادث من تلك الحوادث التى أتلفت المسجد وحطمته . وذاك أن الله ـ سبحانه ـ قد حفظ مثوى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصانه من كل حدث تعرض له المسجد .

وفى كتاب لبيك اللهم لبيك للأستاذ محمد كامل حتة ذكرت قصة عجيبة رأينا أن نقدمها للقراء للانتفاع بما فيها من عبرة ، وليعرفوا قدر نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند ربه :

قال الكاتب : قال لى صاحبى : هل أتاك نبأ العمارة التى أحدثها نور الدين بن زنكى فى الحجرة النبوية ؟

قلت : نعم .. وخيرا فعل .

ولهذه العمارة قصة تروى ، فقد كان نور الدين مشغولا بحرب الصليبيين فى أواسط القرن السادس للهجرة .

---

( ٦٤ ) لبيك اللهم لبيك ـ محمد كامل حتة ص ٨٢ ط دار الشعب

وإنه لفى ذات ليلة إذ رأى فى منامه رؤيا ـ رأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشير إلى رجلين أشقرين وهو يقول له : أنجدنى ، أنقذنى من هذين .

رأى هذه الرؤيا ثلاث مرات فى ليلته تلك .

فأرسل فى طلب وزيره جمال الدين الموصلى ، وكان معروفا بالتقوى والصلاح ، وقص عليه رؤياه .

قال الوزير : وما قعودك ؟ هذا أمر حدث فى مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس له غيرك ، فاخرج الآن الى مدينة الرسول واكتم أمرك .

وما طلعت الشمس حتى كان نور الدين محمود فى طريقه الى المدينة هو ووزيره ومعهما ألف راحلة .

حتى إذا بلغها بعد مسيرة ستة عشر يوما قصد الى المسجد ، وصلى فى الروضة ، ثم جلس لا يدرى ماذا يفعل .

واستدعى أهل المدينة فوزع عليهم ما كانت تحمل القوافل من أموال وأرزاق .

ثم قال : أبقى أحد لم يأخذ حظه ؟

قالوا : لم يبق الا رجلان من أهل الأندلس صالحان غنيان ، لا يأخذان من أحد شيئا ، ويكثران الصدقة على المحتاجين .

قال نور الدين : إلىَّ بهما .

وجيء بالرجلين ، فرأى فيهما شبها من ذينك اللذين رآهما فى المنام ، ولكنهما كانا فى حديثهما مثالا للتقوى والصلاح ، وان أهل المدينة ليشهدون بأنهما يصومان دائما ، ويلازمان الصلاة فى الروضة ، ويكثران من زيارة الحجرة النبوية والبقيع وبقية المشاهد الأخرى ، ولا يردان لسائل حاجة .

على أن ذلك لم يبدد ما وقر فى نفس نور الدين من وساوس وشكوك ، فقصد الى دراهما بجوار المسجد فرأى فيها مالا كثيرا ، وأخذ يجوس خلال الدار ، ثم رفع حصيرا فى احدى غرفها فاذا تحته سرداب يتجه صوب الحجرة النبوية .

واضطربت المدينة حين بلغها النبأ ، والناس بين مصدق ومكذب ، ولكن الرجلين بعد أخذهما بالشدة وتخويفهما اعترفا لنور الدين بالسر الخطير .

لقد أوفدهما الصليبيون فى زى حجاج المغاربة ، وأمدوهما بأموال طائلة للاحتيال ومحاولة سرقة جثمان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو تخريب قبره ، فأمر نور الدين بضرب عنقيهما . ثم عمد الى الحجرة النبوية الشريفة فحفر حولها خندقا عظيما حتى بلغ منابع المياه ، ثم صب الرصاص حتى ملأ الخندق ، وصار منه سور متين لا تنفذ منه يد آثمة ، ولا تنال منه يد الزمان .

### المسجد فى عهد آل سعود

ومما يسجل بالفخر والثناء لأولياء الأمر فى السعودية ماقدموه للأماكن

المقدسة فى بلادهم من أياد مشكورة ، تُقَابَلُ مِنَ المسلمين فى كل مكان بالتقدير والعرفان .

فالمسجد الحالى بشكله الفنى الجميل الرائع يرجع الى العمارة الكبيرة التى قام بها هؤلاء الملوك السعوديون فى النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى .

فقد قام الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٩٥٥ م باضافة ٦٠٢٤ مترا مربعا إلى المسجد النبوى فأصبحت مساحته الكلية بعد الاضافات المتعاقبة ١٦٣٢٦ مترا مربعا .

وتم الجزء الأول من البناء عام ١٩٥٥ م بتكلفة قدرها خمسون مليونا من الريالات السعودية ، أى ما يزيد على أحد عشر مليونا من الدولارات .

وبلغ عدد الأعمدة التى أنشئت فى العمارة الجديدة ، ٢٣٢ عمودا ، كما أقيمت على مداخله الأمامية مئذنتان ، ارتفاع كل منهما سبعون مترا ، بالاضافة إلى مئذنة قايتباى والمئذنة المجيدية .

أما توسعة الملك فهد الجارية الآن فهى فريدة فى نوعها ، ومشروعه الذى يقوم به يعتبر من المشروعات العملاقة التى تستهدف أكبر توسعة للمسجد النبوى الشريف ، وانها لتلبى احتياجات العصر الحاضر كاملة وتستوعب أى زيادات فى المستقبل القريب الى عدة قرون من الزمن .

وذلك على ضوء حسابات دقيقة لاحتياجات الحاضر والمستقبل بحيث لا يحتاج المسجد الى أية توسعة أو زيادة طوال مدة لا تقل عن قرنين أو ثلاثة قرون من الزمن .

لقد رأى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد أن تكون التوسعة كاملة وشاملة بحيث تليق بالمركز المرموق للمسجد النبوى الشريف من ناحية ،

وتجعله أساسا للتطوير الحضارى الذى تشهده المدينة المنورة من ناحية أخرى .

وسيحاط المسجد الشريف بساحات من جهاته الثلاث بعروض تتراوح بين مائة ومائة وخمسين مترا ، أما الجهة الشرقية من الحرم فسيكتفى بالشارع الحالى الذى يفصلها عن المبانى والبقيع لتعذر إزالة اى جزء من البقيع .

وتبلغ المساحة الحالية للمسجد ١٦٥٠٠ متر مربع ، وتستوعبُ ثمانية وعشرين ألف مصل ، وسوف تضاف اليها عبر مشروع الملك فهد اثنتان وثمانون الف متر مربع للدور الأرضى لتصبح المساحة الكلية للمسجد ثمانية وتسعين وخمسمائة ألف متر مربع تستوعب مائة وأربعين ألف مصل تقريبا . مع الاستفادة بسطح المسجد للصلاة بمساحة مقدارها سبعة وستون الف متر مربع تستوعب تسعين ألف مصل وبذلك يمكن للمسجد فى دوريه الأرضى والعلوى استيعاب أكثر من ربع مليون مصل .

وتضمن هذا المشروع زيادة ست مآذن أخر إلى المسجد لتصبح المآذن عشرا موزعة على مختلف الجهات .

وستصبح مداخل الحرم النبوى سبعة وعشرين مدخلا وعدد الأبواب اثنين وثمانين بابا . كما سيضاف الى الأعمدة الحالية ألفان وخمسمائة عمود ويتضمن المشروع انشاء ثمانية عشر سلما متحركا تؤدى الى سطح المسجد المخصص للصلاة . هذا الى جانب المرافق التى تتطلبها الحاجة . . . . فالمشروع يتضمن انشاء خمسمائة وستين نافورة مياه للشرب وألف وأربعمائة مرحاض . . الى غير ذلك من منشآت تساعد الزائرين على اتمام زيارتهم فى يسر وسهولة وانشراح صدر وراحة كاملة .

انه مجهود ضخم يحتاج الى امكانات مالية كبيرة وأعداد فنية كثيرة ومعدات حديثة وفوق كل ذلك همة عالية وعزيمة قوية وتطلع للكمال المنشود . .

وان العمل الجاد فى هذا المشروع قائم والحمد لله ، يلمسه كل زائر للحرم النبوى الشريف ، وتشاهده الملايين التى تؤدى فريضة الحج والعمرة كل عام ، ولا يسع أى حاج أو معتمر الا ان يرفع أكف الضراعة مبتهلا الى الله أن يكتب لهذا المشروع الكمال وفق الخطة المرسومة وان يكتب للقائمين على أمره التوفيق والسعادة والمثوبة الكاملة من الله .

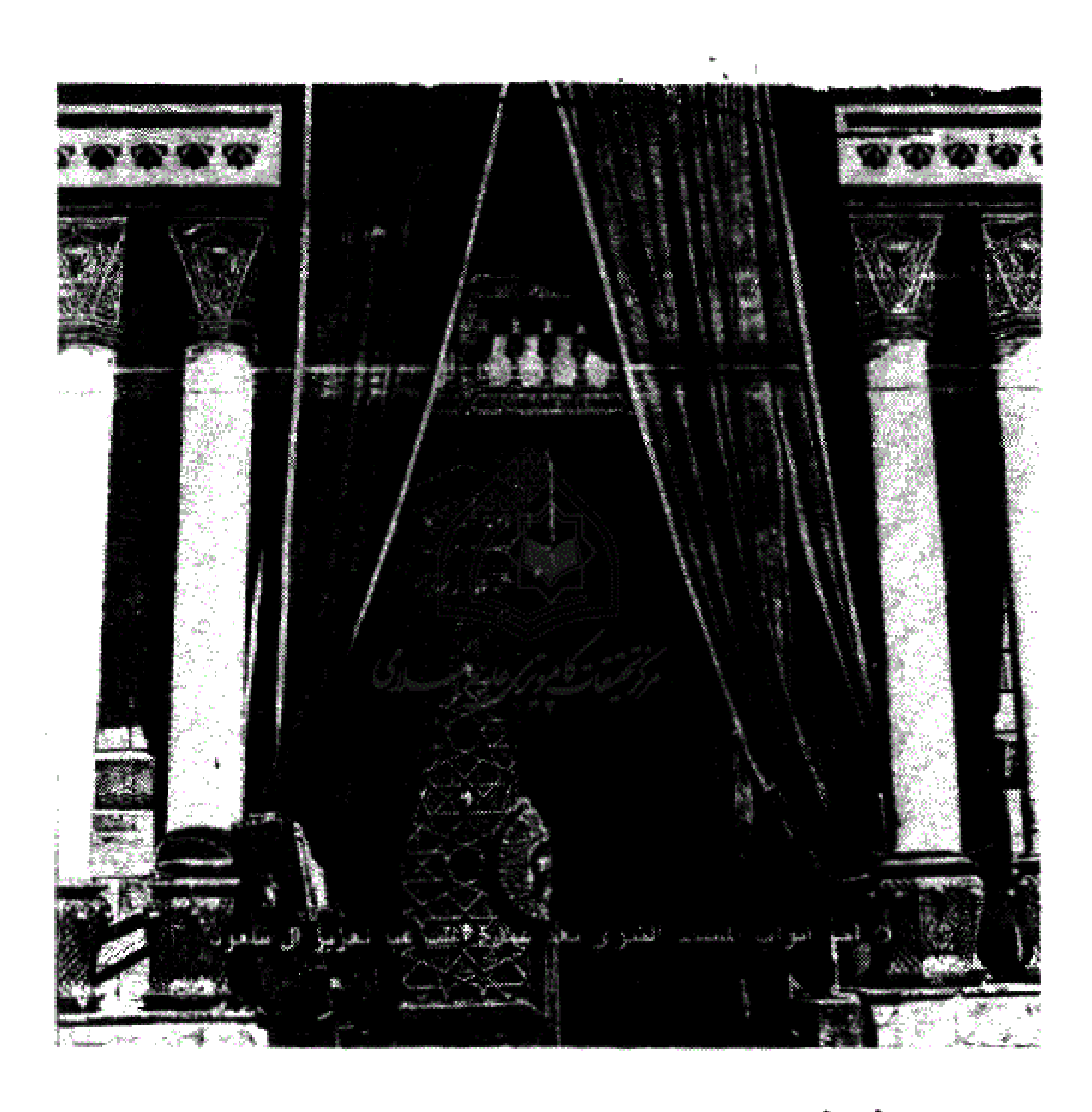
فهو وحده القادر على منح الأعمال الكبيرة المثوبة الكبيرة الجزيلة .

وبعد هذا العرض للمسجد النبوى والتطورات التى طرأت عليه عبر العصور نختتم ذلك بهذه الأبيات التى أثبتتها يد خطاط ماهر قريبا من حائط المئذنة التى ترجع الى العهد العثمانى :

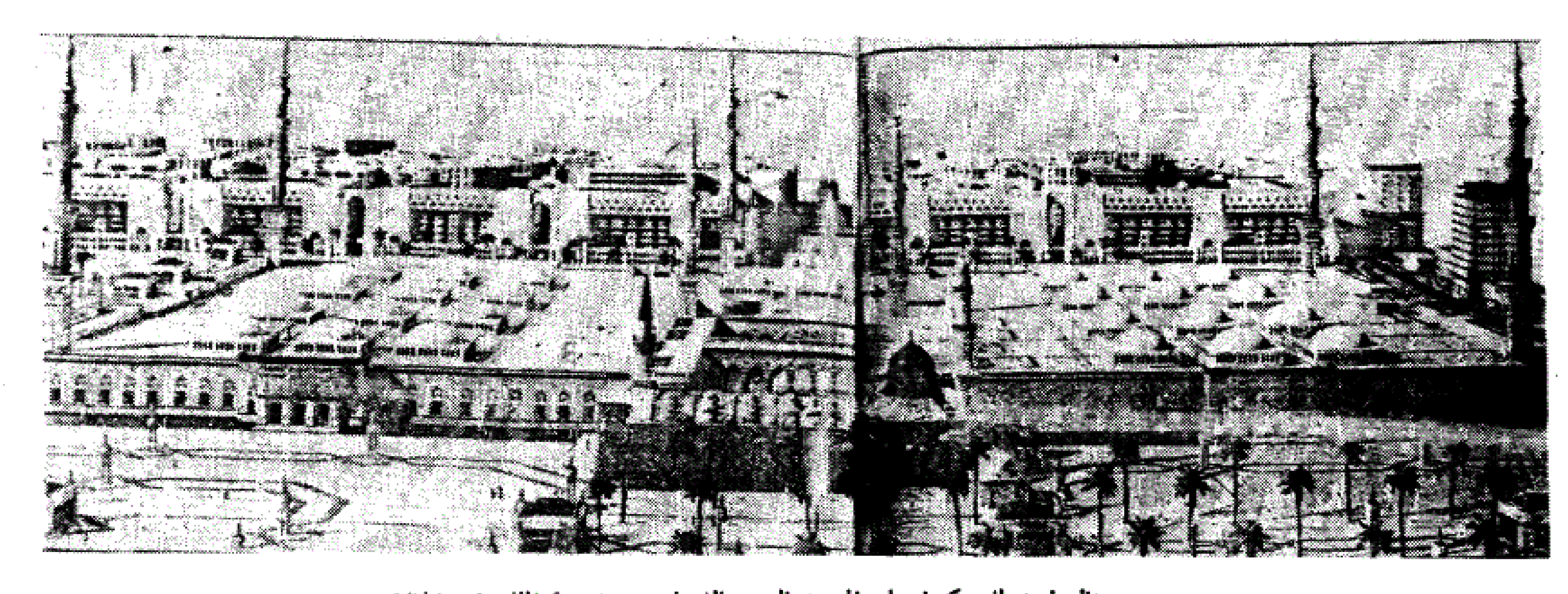
رسـول الله انى مسـتجير ... بجاهك والزمـان له اعتداء
وجـاهك يارسـول الله جـاه ... رفيـع مالرفعتـه انتهـاء
وظـنى فيـك ياطـه جـميل ... ومنك الجود يعهد والسخاء
وحاشـا أن أرى ضـيما وذلا ... ولى نسـب بمدحـك وانتهاء
رجـوتك يابن آمنـة لأنى ... محـب والمحـب له رجـاء
عسى بك تنجلى عنى كروبى ... وكم كـرب له منـك انجلاء
وأنـت لنـا عـلى خـلق عظيم ... ونحن على العموم لك الفداء[٦٥] .

---

( ٦٥ ) اعتمدنا فى هذا العرض على كتاب المدينة المنورة للاستاذ صالح لمعى مصطفى دار النهضة العربية بيروت والمدينة الاسلامية للاستاذ محمد عبد الستار عثمان ـ عالم المعرفة الكويت ومجلة الوعى الاسلامى عدد ربيع الأول ١٤٠٨ وكتاب اعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى .



أحد أبواب المسجد النبوى بعد عمارة الملك عبدالعزيز آل سعود



منظر فريد لما سيكون عليه المسجد النبوى الشريف بعد توسعة الملك فهد الحالية

## مسجد قباء

يدرك الزائر للمدينة المنورة حين يزور مشاهدها ومزاراتها التقليدية ، ومن بينها مسجد قباء ، أن هذا المسجد قد تغيرٌ تغيُرا تاما عن المسجد القديم الذى بناه النبى - صلى الله عليه وسلم فى هذا المكان .

كان المسجد الذى بناه النبى - صلى الله عليه وسلم - بسيطا على قدر الحاجة اليه فى ذلك الوقت ، وكان الهدف منه جمع المسلمين فى قباء على إمام واحد . . وقد روعى فيه البساطة المتناهية ، فجدرانه من اللبن ، وفرشه التراب وقبلته فى بدء الأمر الى جهة بيت المقدس ، والمعروف ان النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يبق فى قباء لحينِ اتمام المسجد . بل شهد وضع أساسه ثم انتقل الى المدينة وأكمل المسلمون البناء .

إلا أن هذا المسجد على تواضعه وبساطته قد شرف بما نزل فيه من قوله - تعالى :

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ ﴾ (٦٦)

لقد تطور هذا المسجد حتى أصبح الآن آية رائعة فى الفن المعمارى الذى يشهد بالتقدم والعظمة . يضاف الى ذلك ما تتركه الذكرى العاطرة فى النفوس من روعة وجلال . يلمس الزائر ذلك بنفسه حين يتمثل فى خاطره كيف أن النبى - صلى الله عليه وسلم - منذ أربعة عشر قرنا خلت وضع بيده

---

( ٦٦ ) التوبة ١٠٨

الشريفة بعض أحجار هذا المسجد ، وربما ضرب بمعوله فى تسوية أرضه أو حفر أساسه . . لقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوة لأمته فى التواضع . وقمة مع ذلك فى السمو .

لقد كان من دلائل عظمة الاسلام أن يهىء الله لدور عبادته من يسمو بها الى درجة عالية من الفن وعظمة البناء ، ويمهد أمام المتعبد الطريق ليجد فى دار العبادة مكانا يستريح فيه وجدانه كما يستريح فيه جسمه . . ان دور العبادة هى بيوت الله . فلماذا لا يتنافس المتنافسون فى تهيئة بيوت الله بما يليق بها من جمال وجلال دون مغالاة فى زخرف أو زينة قد تصرف فكر المتعبد أو نظره ؟

لا نغالى اذا قلنا إنه اصبح من الضرورى أن ترتفع هامات المساجد الى الذرا وأن تكون صورة مشرقة تعكس رفعة الاسلام وعظمته ، وأن تكون آية فى النظافة والأناقة ، وأن يحس المشاهد فيها أن الاسلام دين لا يجافى التقدم العلمى والعمرانى والفنى ، طالما كان هذا التقدم مستوحى من إشراقات هذا الدين وهادفا لاعزازه .

ولنعد بذاكرتنا الى الوراء ، نعيش فى عَبَق الأيام المباركة المقدسة التى وطئت فيها قدما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرض قباء . . كان ذلك فى يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول على الراجح من أقوال الرواة . وظل بها حتى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول حيث دخل المدينة وكان يوم جمعة .

وفى خلال هذه الأيام الأربعة بدأ النبى - ﷺ - بناء مسجد قباء . كان أصله مربدا لكلثوم بن الهدم ، وقد أسسه الرسول - ﷺ - لبنى عمرو بن عوف ، وهم الذين استقبلوا المهاجرين حين قدومهم من مكة .

قال الزرقانى : وأسس - ﷺ - مسجد قباء وصلى فيه . . كان لكلثوم بن الهدم مربد ، فأخذه - ﷺ - فأسسه وبناه مسجدا - وأخرج عبد الرزاق والبخارى عن عروة وابن عائذ عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال :

الذين بنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف .

وروى يونس فى زيادات المغازى عن الحكم بن عتيبة : لما نزل رسول الله - ﷺ - قباء قال عمار بن ياسر : مالرسول الله بد من أن نجعل له مكانا يستظل فيه من حر الشمس ، ويصلى فيه ، فجمع حجارة ، فبنى مسجد قباء فهو أول مسجد بنى ، يعنى فى الإسلام .(٦٧)

## الخلاف فى أول مسجد

وهذه الأخبار كلها تشير إلى أن مسجد قباء هو أول مسجد أسس فى الإسلام وأنه هو المعنى بقوله - تعالى -

« لمسجد أسس على التقوى من أول يوم »

إلا أن هناك أخبارا أخرى تقول : إن الأنصار فى المدينة كانوا قد أقاموا بعض المساجد الصغيرة فى المدينة قبل هجرة الرسول - ﷺ - إليها .

---

(٦٧) شرح المواهب اللدنية للزرقانى ج ١ ص ٣٥٢

وروى ابن أبي شيبة عن جابر قال : لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله - ﷺ - بسنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة ، وقد أقام المتقدمون فى الهجرة من أصحاب رسول الله - ﷺ - والأنصار بقباء مسجدا يصلون فيه ، فلما هاجر - صلى الله عليه وسلم - وورد بقباء صلى فيه إلى بيت المقدس . . ثم غير رسول الله - ﷺ - فى بناء المسجد وقدم القبلة . . . .

قال القسطلانى : وهو المسجد الذى أسس على التقوى - على الصحيح فى تفسير الآية ، والشائع المشهور من أقوال العلماء ، وجزم به بعضهم .

إلا أن بعض الصحابة منهم ابن عمر وأبوسعيد وزيد بن ثابت ذهبوا إلى أن المقصود بالمسجد المذكور فى الآية مسجد المدينة .

وذكر البيهقى فى دلائل النبوة أخبارا تؤيد هذا الاتجاه وتؤكده . . منها : -

ما رواه عن أبي سلمة عن أبي سعيد - قال : دخلت على النبى - ﷺ - وسلم فسألته عن المسجد الذى أسس على التقوى ، فقبض قبضة من الحصباء ثم ضرب بها الأرض ، ثم قال : هذا - يعنى مسجد المدينة .(٦٨)

وما رواه عن أبي سعيد الخدرى أن رجلين تلاحيا فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله - ﷺ - وقال الآخر : هو مسجد قباء ، فذهبا إلى رسول الله - ﷺ - فسألاه عن المسجد الذى أسس على التقوى . فقال رسول الله - ﷺ - : المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجدى هذا .(٦٩)

---

( ٦٨ ) رواه مسلم فى مناسك الحج

( ٦٩ ) مسند أحمد ٥ / ١١٦ ، وهذا الخبر والذى قبله ذكرهما البيهقى فى دلائل النبوة ج ٢ ص ٥٤٤

قال الزرقانى : والحق أن كلا منهما أسس على التقوى ، وقوله ـ تعالى ـ فى بقية الآية : يحبون أن يتطهروا . . . يؤكد كون المراد مسجد قباء .

روى أبوداود بإسناد صحيح إلى أبى هريرة عن النبى ـ ﷺ ـ قال : نزل قوله تعالى :

« رجال يحبون أن يتطهروا » فى أهل قباء

فقوله ـ ﷺ ـ بأن مسجده هو المراد بأنه أسس على التقوى إنما هو لرفع التوهم بأن ذلك خاص بمسجد قباء . .

ولا شك فى أن أول مسجد بنى فى الإسلام ، وأول مسجد صلى فيه النبى ـ ﷺ ـ بأصحابه جماعة علانية ، وأول مسجد بنى لجماعة المسلمين عامة هو مسجد قباء .

وإن كانت هناك مساجد خاصة قد سبقته كبناء أبى بكر فى بيته مسجدا كان يصلى فيه ويقرأ القرآن ، ويرتفع صوته بالبكاء حتى كان ذلك سبباً فى إقبال كثير من الناس على الإسلام فضج المشركون من ذلك ، وطلبوا من ابن الدغنة أن يخلع عن أبى بكر جواره . .

ويعطينا الأستاذ صالح لمعى مصطفى ـ تصورا عن مسجد قباء فيقول : يرجح أن يكون المكان الأصلى عبارة عن قطعة أرض مربعة أحيطت بسور من الحجر ، أُخِذ من الحرة المجاورة ، ومن المؤكد أنه لم يكن به أروقة مغطاة عند أول الإنشاء ، حيث ان الفترة التى قضاها الرسول ـ ﷺ ـ فى قباء كانت قصيرة ـ أربعة أيام ـ ولا تسمح بعمل سقف .

ويبدو أن البناء تم على يد الأنصار بعد انتقال النبى - ﷺ - إلى المدينة حتى نقل عن بعضهم أنه أصبح صُفَّةً من سبعة أساطين ، يرجح أن تكون رواقا واحدا . .

ومن الطبيعى أن يتطور مع الزمن . . فقد زيد المسجد على زمن عثمان بن عفان - رضى الله عنه -

**التطور الذى جد عليه**

ظل المسجد على حاله تقريبا حتى جاء زمن عمر بن عبدالعزيز أيام أن كان واليا على المدينة فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك - والذى عهد إلية بتجديد المسجد النبوى . .

فأدخل عمر مسجد قباء فى خطة تعميره ، فأعاد بناءه من جديد بعد توسعته - وكان ذلك فى خلال ولايته على المدينة فيما بين عام ٨٧ - وعام ٩٣ هـ ويوافق ذلك بالتاريخ الميلادى عام ٧٠٦ - ٧١٢م

وجعل له عمر بن عبدالعزيز أروقة رحبة فى وسطه ، وبناه بالحجر وأقيمت الدعائم بالحجارة ، ووضع فى وسطها الحديد المغطى بالرصاص المصهور ، وزينت الحوائط بالجص والفسيفساء ، وسقف بالساج ، وجعل له منارة . ولعل الفسيفساء التى استحضرت من الدولة البيزنطية للمسجد النبوى استخدمت فيه ، والعمال الذين عملوا فيه هم الذين عملوا بالمسجد النبوى .

قال الأستاذ صالح : وأرجح أن تكون المئذنة قد أقيمت فى أحد أركان المبنى ولعله هو نفس المكان الذى توجد به المئذنة الحالية . كما أن شكل

المئذنة يمكن تصوره فى شكل برج مربع ، كالتى أقيمت فى عهد معاوية فى ركن من أركان جامع عمرو بن العاص بالقاهرة . وكالمآذن التى أقيمت فى أركان المسجد النبوى فى عهد الوليد .»[٧٠]

وكان هناك أطم لبنى عمرو بن عوف يستخدم فى أغراض دفاعية . فأصبح يستخدم فى الإعلان عن الأذان قبل بناء المئذنة المذكورة .

وصحن المسجد مستطيل مساحته ٥٠ × ٢٦ ذراعا ، أما مئذنته فهى مربعة ٩ × ٩ أذرع وارتفاعها كان ٥٠ ذراعا ، ولها باب بالجهة الجنوبية . وبلغ ارتفاع سقفه ١٩ ذراعا . .

وقد وصف المقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم حـ٣ هذا المسجد فقال ؛ مسجد عامر ، قدامه رصيف وفضاء حسن وماء عذب .

ويستدل من ذلك أن المسجد فى هذه الفترة التى أشار اليها كانت حالته جيدة وتقام به الصلاة .

وقد تم تجديد المسجد فى عهد الشريف أبى يعلى أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن سنة ٤٣٥هـ ـ على يد الشريف حسن المسلم ـ يدل على ذلك ما أورده الأنصارى قال : وجد فى القرن العشرين أعلى المحراب هذه الآية : بسم الله الرحمن الرحيم .

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[٧١]

---

( ٧٠ ) المدينة المنورة ص ١٦٣

( ٧١ ) التوبة ١٨

أمر بعمارة ـ مسجد قباء ـ الشريف أبو يعلى أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن ـ رضى الله عنه ـ ابتغاء ثواب الله وجزيل عطائه ، على يد الشريف حسن المسلم ابن عبدالله بن مساك فى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (٧٢) .

وتجدد المسجد مرة أخرى سنة ٥٥٥هـ وذلك بعد أن تهدم جزء منه ، والذى جدده هو الوزير جمال الدين محمد بن على المعروف بالجواد الأصفهانى وقد زار ابن جبير المسجد بعد هذا التجديد الأخير بربع قرن سنة ٥٨٠هـ ووصفه ، فقال فى وصفه :

« والمسجد المؤسس على التقوى بقباء مجدد ، وهو مربع مستوى الطول والعرض ، وفيه مئذنة طويلة بيضاء تظهر على بعد ، وفى صحنه مما يلى القبلة شبه محراب على مصطبة ، هو أول موضع ركع فيه النبى ـ ﷺ ـ وفى قبلته محاريب ، وله باب واحد من جهة الغرب . .

وفى قبلة المسجد دار لبنى النجار ، وهى دار أبى أيوب الأنصارى ، وفى الغرب من المسجد رحبة فيها بئر ، وبجوارها متسع يتوضأ الناس فيه ، ويلى دار بنى النجار دار عائشة ـ رضى الله عنها ـ وبإزائها دار عمر ، ودار فاطمة ـ ودار أبى بكر ـ رضى الله عنهم ، وبإزائها بئر أريس التى تحول ماؤها ببركة النبى ـ ﷺ ـ الى ماء عذب بعد أن كان أجاجا ، وفيها وقع خاتمه من يد عثمان ـ رضى الله عنه ـ

وآثار هذه القرية المكرمة ومشاهدها كثيرة لا تحصى » . (٧٣)

---

( ٧٢ ) المدينة المنورة ص ٢٩٨

( ٧٣ ) رحلة ابن جبير ص ١٤٥

كان المسجد فى هذه الفترة مربعا سعته ٦٨ × ٦٨ ذراعا ، وهى نفس المساحة التى كانت للمسجد الذى جدده الوليد بن عبدالملك . وكان ارتفاعه عشرة أمتار أى عشرين ذراعا ، وارتفاع المئذنة فوق السطح أحد عشر مترا تعلوها قبة بارتفاع خمسة أمتار ، وبالمسجد ٤٩ اسطوانة بين كل اسطوانة والأخرى سبعة أذرع ، وللمسجد ثمانى نوافذ بكل جانب . . .

## إضافات أخرى وتجديدات

ويبدو أنه لم تكن هناك إضافات جديدة لمدة طويلة بعد ذلك - فان ابن بطوطة فى كتابة يعطى نفس الأوصاف التى ذكرها ابن جبير ، بما فى ذلك الدور المنسوبة إلى أبى أيوب الأنصارى وأبى بكر وعمر وفاطمة وعائشة - رضى الله عنهم . .(٧٤)

وربما كانت هذه الدور قد أنشئت بعد النبى - صلى الله عليه وسلم - إلا أنه فى نهاية القرن التاسع الهجرى كان طول المسجد تسعة وسبعين ذراعا ، وحائط القبلة سبعين ذراعا والحائط الشمالى ثمانية وستين ذراعا تقريبا . . وبذلك أصبح المسجد مستطيلا بعد أن كان مربعا . كما تغير ارتفاعه فأصبح ارتفاع الواجهة الغربية من الخارج ٢٤ ذراعا . .

وتوالت يد الاصلاح والتجديد على المسجد عبر العصور .

لقد كان المسلمون ينظرون اليه نظرة خاصة على أنه أول مسجد فى الإسلام فتنافسوا فى تقديم ما يمكن أن يقدموه له من العناية والتعمير ، وكانوا يتلمسون المواضع التى لمسها النبى - صلى الله عليه وسلم - أو تشرفت به فيحيطونها بهالة من الحفظ والتقدير الذى تستحقه . .

---

(٧٤) راجع رحلة ابن بطوطة ص ٨٦

فقد أشار المؤرخون الى المشاهدات التى رئى عليها المسجد خلال القرن التاسع عشر الميلادى ، وأنه كان على صورة رائعة من الجمال الذى أضفاه عليه السلطان عبد الحميد الثانى . وأشاروا الى وجود محراب من الرخام فى المكان الذى كان يصلى فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ به كتابات كوفية ـ غير موجودة حاليا ـ كما ان مبرك الناقة محدد بقبة محمولة على أربعة أعمدة بمسطح ٨×٨ قدم ـ وهذا غير موجود حاليا .

وقد جدده السلطان التركى محمود الثانى عام ١٢٤٥ هـ وكذلك السلطان عبد المجيد الأول بعد ذلك وأجرى فيه إصلاحات متعددة . .

وقد حليت جدران المسجد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية ، وبخاصة المحراب . وهناك نص قرآنى أعلى المحراب بحائط القبلة يمثل البسملة ثم آية التوبة

**« لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » .**

كما أن هناك حديثا شريفا مثبتا فوق المحراب أيضا هو :
قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان كأجر عمرة » .

ومازال هذان النصان موجودين فى المحراب بعد تطوير المسجد فى عهده الراهن . . وهناك نصوص مكتوبة باللغة التركية ، وترجمتها بالعربية تعكس رغبة السلطان فى حسن إعمار المسجد ، كما أنها تضمن دعاء للسلطان .

ولقوة العلاقة بين مسجد قباء ومسجد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد حدثت عملية نقل للآثار بين المسجدين ..

فالمنبر الرخامى الموجود فى مسجد قباء نقل إليه من مسجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن أرسل السلطان مراد منبرا جديدا للمسجد النبوى عام ٩٩٨ هـ وكان المنبر المنقول قد أرسله السلطان قايتباى الى المسجد النبوى قبل التاريخ المذكور بقرن وعشر سنوات .

وفى العصر الحاضر ـ عصر الاسرة السعودية ـ حدثت لمسات فنية وإصلاحية وتوسعية وجمالية فى المسجد الشريف ..

والمشاهد لمسجد قباء الآن يلمس بنفسه مقدار الافادة من التقدم التكنولوجى فى خدمة المسجد ومرافقه .

لقد أضيف الى المسجد أضعاف مساحته ، وأصبح صحنه الواسع مغطى بستارة تفتح وتغلق كهربائيا ، مع استخدام التكييف المركزى الذى يشعر المصلين بأنهم فى جو لطيف يعين على أداء العبادة بانشراح صدر وحسن إقبال .

إن هذه الخدمات الممتازة المتطورة التى تقدم للعُبَّادْ لا تجافى روح الزهد الذى يدعو اليه الاسلام .. لأن الزهد فى حقيقته هو عدم تعلق القلب بزهرة الحياة الدنيا ، بحيث تطغى الدنيا على الآخرة .. ولا يمنع الزهد فى الدنيا وحب الآخرة من الأخذ بالأسباب التى أوجدها الله ، وسخرها لنا فى هذه الحياة ، وتسخير هذه الأسباب لطاعة الله ورفعة شأن دينه ..

**فضل مسجد قباء**

ولهذا المسجد فضل لا ينكر ـ منه ذكر الله اياه فى القرآن حيث قال فى حقه :

« لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه »

وهذه تزكية عظيمة ترفع من شأن هذا المسجد كما ترفع من شأن أهله الذين يحبون أن يتطهروا ، فأحبهم الله لذلك .

وقد أشار العلماء الى طهارتهم هذه فقالوا : إنهم كانوا يبالغون فى إزالة النجاسة والتحرز منها ، وكانوا يجمعون فى استنجائهم بين الحجر والماء .

وهذا يدل على أن الاسلام دين نظافة وطهر ، وهو يحث أهله على وجوب الحرص عليهما .

قال العلماء : لما نزل قوله ـ تعالى

« فيه رجال يحبون أن يتطهروا »

أرسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الأنصار يسألهم عن ذلك فقال : ماهذا الطهور الذى أثنى الله عليكم به ؟ فقالوا :

يارسول الله ، ماخرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا وقد بالغ فى الغسل والطهارة . . فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو هذا .

وفى لفظٍ أتاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مسجد قباء ،

ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء ، فاذا الأنصار جلوس ، فقال : أمؤمنون أنتم ؟ فسكت القوم ، ثم أعادها . فقال عمر : يارسول الله ، انهم لمؤمنون وأنا منهم .

فقال عليه الصلاة والسلام ـ : أتؤمنون بالقضاء ؟

قالوا : نعم

قال : وتصبرون على البلاء ؟

قالوا : نعم

قال : أتشكرون على الرخاء ؟

قالوا : نعم

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : مؤمنون ورب الكعبة .

ثم جلس وقال : يا معشر الأنصار إن الله ـ عز وجل ـ قد أثنى عليكم ، فما الذى تتبعون عند الوضوء وعند الغائط ؟

فقالوا : يارسول الله ، نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ، ثم نُتْبع الأحجار الماء

فتلا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله تعالى :

« فيه رجال يحبون أن يتطهروا(٧٥) »

ومن فضل هذا المسجد أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشترك فى بنائه بنفسه ، فقد ورد عن الشموس بنت النعمان ـ رضى الله عنها ـ قالت : نظرت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قدم ونزل وأسس

---

( ٧٥ ) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٨

المسجد ـ مسجد قباء ـ فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يصهره الحجر ـ اى يُتْعِبه ـ فيأتى الرجل من أصحابه فيقول : يارسول الله بأبى أنت وأمى تعطينى الحجر أكفك حمله يارسول الله ـ فيقول : لا ، خذ مثله ، وظل يعمل حتى أسسه .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أراد بناءه قد قال : يا أهل قباء ائتونى بأحجار من الحرة ، فجمعت له أحجار كثيرة ، فخط القبلة ثم أخذ حجرا فوضعه ثم قال : يا أبابكر خذ بحجر فضعه الى جنب حجرى ، ثم قال : ياعمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر ابى بكر ، ثم قال : يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر .

قال بعضهم : كأنه ـ صلى الله عليه وصلم ـ أشار الى ترتيب الخلافة . وربما كانت هذه الحادثة فى مسجد المدينة ، أو ربما تكررت أيضا فى مسجد المدينة .

ومن فضل مسجد قباء أيضا أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأتى اليه من المدينة للصلاة فيه كل يوم سبت ماشيا وراكبا ، وقال فى حقه : من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصل فيه كان له أجر عمرة(٧٦) » .

وفى رواية : « من صلى فى مسجد قباء يوم الاثنين والخميس رجع بأجر عمرة » .

وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس وقال : لو

---

(٧٦) رواه الترمذى والحاكم عن أسيد بن حضير

كان بطرف من الأطراف ـ وفى رواية فى أفق من الآفاق ـ لضربت اليه أكباد الإبل .

وصحح الحاكم عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر الاختلاف الى قباء ماشيا وراكبا .

وعن أبي سعيد الخدرى ـ رضى الله تعالى ـ عنه عن أبيه قال : خرجت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الاثنين الى قباء . .

وعن ابن عمر أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأتى مسجد قباء فيصلى فيه ركعتين . . . وعنه قال : خرجنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى قباء فقام يصلى فجاءته الأنصار تسلم عليه . فقلت لبلال : كيف رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرد عليهم ؟ قال : يشير اليهم بيده وهو يصلى[٧٧] . .

وفى هذه الآثار ما يدل على فضل هذا المسجد وجواز قصده للصلاة فيه لكن دون شد الرحال إليه خاصة ، لأن الرحال لا تشد الا الى المساجد الثلاثة الواردة فى الحديث « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » .

. . . وان كان قول عمر ـ رضى الله عنه : لو كان فى طرف من أطراف الأرض أو فى أفق من الآفاق ، لضربت اليه أكباد الإبل ـ يشير الى جواز شد الرحال اليه . . .

---

( ٧٧ ) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٨

## مسجد الجمعة

ومادمنا قد تحدثنا عن مسجد قباء ، فمن الحق علينا أن نشير الى مسجد الجمعة ، وهو المسجد الذى أقيم فى الموضع الذى صلى فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجمعة عند خروجه من قباء متجها الى المدينة المنورة ، ويعرف هذا المسجد بمسجد الوادى أيضاً وقد بنى هذا المسجد فى زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وبنى على النمط الذى بنى عليه مسجد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ باستعمال الأساس من الحجر يعلوه الطوب اللبن ، وسقيفة جهة القبلة محولة على أعمدة من جذوع النخل ، والسقف من سعف النخل المغطى بطبقة طينية .

وهو مسجد صغير ، يقال ان عمر بن عبد العزيز أقام مكانه مسجدا جديدا من الحجر المنحوت .

كان هذا المسجد فى أرض بنى سالم بن عوف ـ حيث أدركت الصلاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصلاها بمن معه ، وكانوا مائة ، وقيل : كانوا أربعين . .

ويسمى الوادى الذى أقيم فيه المسجد وادى رانوباء ـ بوزن عاشوراء ـ ويقال ان اسم الوادى أيضا : ذو صلب . وتسميته مسجد الجمعة لأنه أقيم فى مكان أداء صلاة الجمعة ، وهى أول جمعة يصليها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويلقى فيها أول خطبة للجمعة . .

قال القسطلانى : وهو مسجد صغير مبنى بحجارة قدر نصف القامة ، وهو على يمين السالك الى مسجد قباء[٧٨] .

وربما أسس هذا المسجد بعد صلاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مكانه ، فأقيم المسجد تبركا بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جريا على عادة الصحابة فى تبركهم بآثاره ـ صلى الله عليه وسلم .... عن نافع ان عبد الله بن عمر حدثه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى حيث المسجد الصغير الذى بِشَرَف الروحاء ، وقد كان عبد الله يعلم المكان الذى صلى فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ... يقول : هو عن يمينك حيث تقوم فى المسجد تصلى ، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى ، وأنت ذاهب الى مكة بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك[٧٩] .

### تجديد المسجد فى العصر العباسى

وفى العصر العباسى جدد هذا المسجد ، تجديدا شاملا سنة ١٥٥ هـ ويبدو أنه كان قد أهمل ، أو أن تجديده فى العصر الأموى لم يكن على مستوى تجديد المسجد النبوى .

وتعاقبت عليه التجديدات بعد ذلك .. ففى عهد السلطان سليم العثمانى سنة ٩١٨ هـ جدد هذا المسجد تجديدا شاملا وأصبح يتكون من إيوان ورحبة ، ويبلغ طوله ثمانية أمتار وعرضه أربعة أمتار ونصف وارتفاعه حوالى ستة أمتار ، أما الرحبة فهى ثمانية أمتار فى ستة ومحاطة بسور يبلغ ارتفاعه مترين[٨٠] .

---

( ٧٨ ) المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٥٤
( ٧٩ ) مفاهيم يجب أن تصحح ـ الشيخ محمد علوى المالكى ص ١٤٧
( ٨٠ ) المدينة المنورة ص ١٨٠

## المساجد السبعة

هى من المعالم التى يحرص الزائرون للمدينة المنورة على زيارتها ويضعها القائمون على رحلات الحج والعمرة ضمن المزارات التى يتوجه اليها الحجاج والمعتمرون عند زيارتهم للمدينة المنورة .

وتسمى بمساجد الفتح ، وتقع بالجهة الشمالية الغربية لجبل سلع ، وهذه المساجد هى : مسجد الفتح ، ومسجد سلمان الفارس ، ومسجد أبى بكر الصديق ، ومسجد عمر بن الخطاب ، ومسجد على بن أبى طالب ، ومسجد السيدة فاطمة الزهراء ، وقد صلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمساجد التى حول مسجد الفتح[81] .

وترجع تسميته مسجد الفتح إلى أن الله سبحانه وتعالى أنزل سورة الفتح على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا المكان ، أو لأن الله أنزل نصره على المؤمنين فى غزوة الأحزاب فى هذا المكان ، ولذلك فقد عرف هذا المسجد أيضاً باسم مسجد الأحزاب ، وقد ذكر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا ربه فى هذا المكان بأن ينصره على الأحزاب ، ويطلق أيضاً عليه اسم المسجد الأعلى لأنه يوجد فى مكان مرتفع فوق جزء من جبل سلع ، بالنسبة لباقى المساجد .

وكان هذا المسجد فى أثناء غزوة الأحزاب بشكل مصلى ، ثم بنى بعد ذلك فى صورة مسجد ، ثم عمره عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ بعد

---

( ٨١ ) المدينة المنورة ص ١٨٣

عمارة المسجد النبوى وعلى مقربة منه مسجد سلمان الفارس ، وهو الذى أشار على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحفر الخندق فى غزوة الأحزاب ، وقد يكون هذا المسجد بنى فى عهد عمر بن عبد العزيز عندما بنى مسجد الفتح .

وفى جنوب غرب مسجد سلمان يقع مسجد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه . . ومسجد على بن أبى طالب وهو مسجد صغير كغيره ، مساحته من الداخل : من الشمال إلى الجنوب ثلاثة عشر ذراعاً ، ومن الشرق إلى الغرب ستة عشر ذراعاً . وقد جددت تلك المساجد عدة مرات .

أما مسجد عمر بن الخطاب فلم تشر المصادر القديمة إلى وجود مسجد بهذا الاسم فى العصور الاسلامية الأولى وربما يكون هذا المسجد قد جدد بعد ذلك ، واتبع فى انشائه نظام المساجد الأربعة السابقة . وهو يقع فى الجنوب الشرقى من مسجد أبى بكر .

وكذلك الأمر بالنسبة للمسجد المنسوب إلى السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ فإن المصادر القديمة لم تشر إلى وجود مسجد فى هذه المنطقة بهذا الاسم ومن الممكن أن يكون قد جد بعد المساجد الأربعة الأولى كما هو الشأن فى مسجد عمر وهذا المسجد يقع إلى الجنوب الغربى لمسجد عمر بن الخطاب . وربما كان مصلى فى أثناء غزوة الأحزاب ثم تحول إلى مسجد بعد ذلك . وربما يكون قد أنشىء فى خلال العصر العثمانى . . .

ومن خلال ذلك العرض ندرك أن هناك مسجداً كان فى أيام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو مسجد الفتح ، أنشئت بجواره هذه المساجد التى جدت بعد ذلك ، وقد يكون بعضها تم فى العصور المتقدمة وبعضها تم فى العصور المتأخرة .

وعلى كل فهى مساجد تحمل عبير الذكرى لهؤلاء الأعلام الذين سميت بهم هذه المساجد لنتذكر ما صنعوا من أجل الاسلام ، وما قدموه من جهود وتضحيات .

## مسجد القبلتين

ومن المساجد التى يحرص الزائرون على زيارتها مسجد القبلتين ، وقد أقيم على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقامه بنو سواد بن غنم بن كعب .

أما سبب تسميته بمسجد القبلتين فلأن المسلمين كانوا يصلون إلى بيت المقدس ثم تحولت القبلة إلى الكعبة . ونزل فى ذلك قوله ـ تعالى

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (٨٢)

---

(٨٢) البقرة ١٤٢ : ١٤٤

وصلى المسلمون فى المدينة إلى جهة الكعبة ، وكان أهل هذا المسجد لم يبلغهم الأمر بتحويل القبلة ، فمر عليهم رجل وهم يصلون العصر فوجدهم يصلون إلى بيت المقدس فصاح بهم أن حولوا وجوهكم إلى الكعبة ، فتحولوا مع الأمام إلى جهة الكعبة وأتموا صلاتهم إلى جهتها . . فسمى المسجد بذى القبلتين لأنهم صلوا نصف صلاتهم إلى بيت المقدس ونصفها الآخر إلى الكعبة . .

جاء فى تفسير ابن كثير : روى البخارى قال حدثنا أبو نعيم عن أبى إسحاق عن البراء - رضى الله عنه أن النبى - صلى الله عليه وسلم - صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يحب أن تكون قبلته نحو البيت الحرام فنزل الأمر بتحويل القبلة وكانت أول صلاة صلاها إلى جهة البيت - صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل مسجد وهو راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبى - صلى الله عليه وسلم - قبل مكة ، فداروا وهم فى صلاتهم شطر البيت[٨٣] .

ويقال ان أهل مسجد قباء وقع لهم مثل ذلك ، ولكن مسجدهم لم يتحول عن أسمه ، والحديث الذى ذكره البخارى يوضح أن تحويل القبلة كان فى صلاة العصر إلا أن أغلب الروايات تؤكد أن التحويل تم فى صلاة الظهر ، بعد تناول النبى - صلى الله عليه وسلم - الطعام فى منزل أم بشر بن

---

(٨٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٧٤ ط دار الشعب

البراء بن معرور .. ولكن البخارى يشير الى أن أول صلاة صليت من أولها إلى جهة البيت الحرام كانت صلاة العصر . أما صلاة الظهر فقد صدر الأمر بتحويل القبلة فى أثنائها ..

وقد حدث ذلك الحدث الهام فى الخامس عشر من شعبان من العام الثانى للهجرة ويوافق ذلك من التاريخ الميلادى الحادى عشر من فبراير عام ٦٢٤م . وكان هذا المسجد الذى سمى مسجد القبلتين خارج المدينة المنورة ، وهو مسجد صغير كغيره من المساجد التى أنشئت فى عصره . إلا أنه جدد فى عهد عمر بن عبد العزيز أيضاً مع كافة المساجد التى جددت فى المدينة فى هذا العهد ..

ثم شملته يد التجديد أيضاً فى عهد السلطان قايتباى ثم فى عهد سليمان القانونى عام ٩٥٠هـ ..

ويقع هذا المسجد فى الطرف الشمالى الغربى للمدينة .. وقد أصبح الآن آية فى الجمال والفن المعمارى ، فقد مسته يد التعمير التى شملت المدينة المنورة فأضفت عليه كثيراً من الروعة والجمال ..

### مساجد أخرى أنشئت فى عهد الرسول ﷺ

من المساجد التى أسست فى عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو فى مكان أقام أو صلى فيه ـ مسجد يسمى مسجد الشمس وهو مسجد يقع شرقى مسجد قباء ، وفى شرقى قرية العوالى بالقرب من الحرة الشرقية .

ومساحته تسعة عشر متراً طولاً فى أربعة أمتار عرضاً . وله صحن تبلغ مساحته حوالى أربعة عشر متراً ، وهو مبنى بالحجر البازلتى . .

ولعل هذا المسجد قد عرف باسم مسجد الشمس ، بسبب شروق الشمس عليه أولاً قبل مبانى المنطقة .

وقد أعيد بناء هذا المسجد عام ١٢٦٦هـ فى عهد السلطان عبد المجيد الأول .

**مسجد الاجابة**

وهناك مسجد آخر أنشىء فى عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنشأه بنو معاوية بن مالك بن عوف من الأوس - يقع شمالى البقيع على يسار السالك إلى العريض :

وقد ذكر أن سبب تسميته بذلك هو أن النبى - صلى الله عليه وسلم - صلى فيه ودعا فأجاب الله دعاءه وكان ذلك بمناسبة نزول قوله - تعالى -

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٨٤)

---

(٨٤) الأنعام ٦٥

فقد ذكر الرواة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا ربه ألا يهلك أمته بالجدب أو بالغرق ، فأجابه .

جاء فى تفسير القرطبى : روى مسلم عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ان الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وان أمتى سيبلغ ملكها مازوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وانى سألت ربى لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة ، وألا يسلط عليهم عدوا فيستبيح بيضتهم ، وان ربى قال : يا محمد ، انى اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، وانى أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة ، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا .

وروى النسائى عن خباب بن الأرت ـ وكان قد شهد بدرا ـ مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه راقب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يصلى ليلة بطولها حتى كان مع الفجر ، فلما سلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من صلاته جاءه خباب فقال : يارسول الله ، بأبى أنت وأمى ، لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت مثلها ؟

فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أجل ، إنها صلاة رَغَب ورَهَب ، سألت الله ـ عز وجل ـ فيها ثلاث خصال ، فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة ، سألت ربى ـ عز وجل ـ ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها ، وسألت ربى ـ عز

وجل - ألا يظهر علينا عدوا من غيرنا فأعطانيها ، وسألت ربى - عز وجل - ألا يلبسنا شيعا وأن لا يذيق بعضنا بأس بعض فمنعنيها .

قال القرطبى : وروى أنه لما نزلت هذه الآية قال النبى - صلى الله عليه وسلم - لجبريل :

ياجبريل مابقاء أمتى على ذلك ؟

فقال له جبريل : انما أنا عبد مثلك ، فادع ربك وسله لأمتك .

فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتوضأ وأسبغ الوضوء ، وصلى وأحسن الصلاة ، ثم دعا فنزل جبريل وقال : يا محمد ، ان الله تعالى قد سمع مقالتك فأجارهم من خصلتين ، وهو العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم .

فقال - صلى الله عليه وسلم - : يا جبريل ، ما بقاء أمتى اذا كان فيهم أهواء مختلفة ويذيق بعضهم بأس بعض ؟

فنزل جبريل بهذه الآية :

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢
وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ
۝٣ ﴾ (٨٥)

---

( ٨٥ ) العنكبوت ١ : ٣

ومعنى ذلك أن الفتنة ليست الا تمحيصا للمؤمنين حتى يظهر الصادقون فى ايمانهم من غيرهم ، وحتى يُعْرَف من يعبد الله حق عبادته ممن يعبد الله على حرف . .

وروى عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية

« قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت أرجلكم »

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أعوذ بوجه الله من ذلك . . فلما نزل قوله

« أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض »

قال : هاتان أهون(٨٦) .

لقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حريصا على نجاة أمته من الفتن ، ولذلك كان دائم الاستعاذة منها ، جاء فى سنن ابن ماجة عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال :

لم يكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدع هذه الكلمات حين يمسى وحين يصبح : « اللهم انى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة ، اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى ، اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بك أن أغتال من تحتى »

---

(٨٦) تفسير القرطبى ـ سورة الانعام ص٢٤٤٦ ـ ط دار الشعب

وقد استطردنا فى بيان سبب تسمية هذا المسجد لأن حالة المسلمين اليوم تستدعى ذلك . فهاهم الآن تتوزعهم الفتن وتتقسمهم الأهواء والخلافات . يتناحرون فيما بينهم ويتركون عدوهم المتربص بهم الذى يكيد لهم ويتحين الفرص لإهلاكهم .

لقد اجتهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأمته وحذرهم من هذا المصير ، مصير الخلافات والتنازع لأنه هو الذى يهدم كيانها ويصدع بنيانها ، فأى مصيبة أعظم من أن يكيد المسلمون بعضهم لبعض وقد أعلم الله نبيه ان هذه فتنة كالفتن التى أصابت الأمم قبل ذلك ، ولابد للأمة من محنة تتعرض لها . . وقد ظل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو ليعلم أمته كيف يلجأون الى الله فى الاستغاثة به من الفتن ، والتضرع اليه فى النجاة منها وسلوك الأسباب المؤدية الى تجنبها أو الخروج منها . .

وقد أنزل الله عليه قوله ـ تعالى ـ

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (٨٧)

لقد تعوذ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأعاذه الله ، فلم ير من أمته الا الجماعة والألفة والطاعة ، ثم أنزل الله عليه آيات حذر فيها أصحاب

---

( ٨٧ ) المؤمنون ٩٣ : ٩٤

الفتنة ، كما حذر الناس من الخوض فيها ، وبين أن عقاب أهل الفتن ربما عم غيرهم لسكوتهم عنهم وعدم نهيهم عما هم فيه فقال تعالى :

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ (٨٨)

على أن الفتن التى تعترض الأمم وان كانت شرا إلا أنها من الشر الذى يمكن أن يخلص منه الى الخير . لأن التجارب تمحص الأمم وتزيدها قوة وصلابة واستمساكا بالحق .

إن الحديث الذى رواه ثوبان وذكرناه منذ قليل ـ من أن الله زوى الأرض للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرأى مشارق الأرض ومغاربها . . . فهم منه البعض أن ذلك شر قد يصيب الأمة ، وأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يرد لأمته ذلك الاتساع الذى تصل اليه . . ولكن الأستاذ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار أوضح الصواب فى هذا الأمر ، وذكر المسلمين بواجبهم نحو ما فتح الله أمامهم من مغاليق الدنيا والعلم ، وقال فى ذلك :

ان لأحوال الأمم العامة تأثيرا عظيما فى فهم أفرادها لنصوص الدين وغيرها من أقوال الحكماء والعلماء ، فهى فى حال ارتقائها بالعلم والحكمة وما يثمران من العزة والقوة تكون أصح أفهاما وأصوب أحكاما وأكثر اعتبارا

---

( ٨٨ ) الأنفال ٢٥

وادكارا ، وأحسن استفادة واستبصارا ، وفى حال فشو الجهل والغباوة والبعد عن فهم تعاليم الدين ونصوصه تكون بالضد من ذلك .

والمثل فى ذلك ان النصوص المأثورة فى ذم الطمع والحرص على المال لم تصد الأمة فى طور حياتها المتقدمة عن الفتح والكسب ، بل كانت حافزة لها على إعزاز دينها ورفع شأنه عن طريق المال الذى يحصله الأفراد واستعماله فى سبيل البر وأعمال الخير . . . كانت هذه النصوص كالغذاء الصالح للجسم السليم يزيده قوة . . . فالمؤمن الأفضل عند الله هو المؤمن القوى فى كل شيء فى دينه وبدنه وماله ، ثم هو الذى يسخر قوته وماله فى رفع شأن المسلمين ، واعزاز الاسلام فاذا عرفنا ذلك فان من واجبنا ان نجعله مرآة لما ورد فى الأحاديث النبوية من أنباء مستقبل الأمة الاسلامية كسعة ملكها فى مشارق الأرض ومغاربها ، ثم تداعى الأمم عليها كما تتداعى الأكلة الى قصعتها ثم تفرقها شيعا وأحزابا ووقوع بأسها بينها وغير بذلك من الفتن .

فما أصاب الأمة الاسلامية مَن محن انما هو بسبب سوء فهمهم لنصوص دينهم بعد فشو الجهل فيهم ، ورضاهم بالدنية ، وتخليهم عن قيم دينهم ومبادئه . .

لقد وطن جماهير المسلمين أنفسهم منذ قرون على الرضا بماهم فيه من فتن وشرور فقعدت هممهم عن القيام بما أمر الله ـ تعالى ـ به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ودفع المكروه والدفاع عن الحق بقدر

الاستطاعة . . معتذرين عن أنفسهم بأن ذلك قدر ، قد ورد بوقوعه الخبر ، فلا مهرب منه ولا مفر . .

مع أن الأحاديث التى أخبرت بالفتن ، انما أخبرت بذلك لنحذر ونفكر ونحاول بقدر المستطاع تجنب ذلك . .

ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يخبر أمته بما سيقع فيها من التفرق والشيع الا لأجل أن يكونوا على بصيرة من أمرهم فى مقاومة الضر واتقاء الشر لا لأجل ان يتعمدوا إثارة الفتن والاصطلاء بنارها واقتراف أوزارها ، فمثله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كمثل الطبيب الذى يخبر المسافرين الى أرض مجهولة لهم بما فيها من الأمراض ليحذروها ويعدوا لأنفسهم طرق الوقاية والعلاج منها . لا لأجل أن يجعلوا أنفسهم عرضة لها(٨٩) .

---

(٨٩) انظر تفسير المنار ج ٧ ص ٤١٥

عود إلى مسجد الإجابة

عرفنا إذن سبب تسمية هذا المسجد بهذا الاسم ، وقد أشرنا إلى تحديد موقعه من أنه فى شمال البقيع . وهو بناء صغير ، وقد أقيم مكانه مسجد حديث له رواقان وصحن وله مئذنة قصيرة فى الركن الشمالى الغربى ، وقد ألحقت بالمسجد دورة مياه . يبدو أنها حديثة . .

مسجد الشجرة

سمى هذا المسجد باسم الشجرة لأن النبى - ﷺ - فى طريق خروجه إلى مكة كان يصلى تحت شجرة كانت فى موضع هذا المسجد ، ويعرف هذا المسجد الآن باسم مسجد ذى الحُلَيْفَة .

والحليفة هى ميقات أهل المدينة ، وهى تسمى الآن باسم بئر على أو آبار على .

وقد بنى هذا المسجد فوق المكان الذى صلى فيه النبى - ﷺ - تبركا به ويبدو أنه بنى فى عهد عمر بن عبدالعزيز ضمن المساجد التى بناها أو عمرها .

وقد تناولته يد التجديد بعد ذلك . . . وفى العصر العثمانى فى عهد السلطان محمد الرابع سنة ١٠٥٨هـ جدد تجديدا شاملا ، بواسطة أحد المسلمين الهنود وأقيمت له مئذنة وسقف واصبح يتسع لحوالى مائتى مصل .

وأقيم له محراب وضع أعلاه بيتان من الشعر هما :

بمسجد سيد الأبرار كرر سجودك بالغداة وبالعشى

لعلك أن تمس بحُرِّ وَجْهٍ مكانا مَسَّه قدم النبى

وفى العصر الحاضر أنشىء المسجد إنشاء جديدا وشمله حسن التجديد والتجميل الذى شمل غيره من المساجد التى جددت فى هذا العصر .

## مسجد السقيا

لعل هذا الخبر الذى أورده ابن الاثير يلقى ضوءا على هذا المسجد وسبب تسميته .. قال فى ترجمة على بن على السلمى :

روى عبدالله بن كثير عن بُدَيْح بن سدرة بن على ـ من أهل قباء ـ عن أبيه عن جده قال :

نزلنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ القاحة ـ وهى التى تسمى اليوم السقيا ـ لم يكن بها ماء ، فبعث النبى ـ ﷺ ـ إلى مياه بنى غفار على ميلين من القاحة ، ونزل النبى ـ ﷺ ـ فى صدر الوادى فى الكهف الذى فيه المسجد ، فنزله فبحث بيده فى البطحاء ، فنديت فجلس ـ ﷺ ـ فخرج الماء ، فسقى ـ واستقى جميع من معه حتى اكتفوا فقال النبى ـ ﷺ ـ : هذه سقيا سقاكموها الله .... (٩٠)

ويشير بعض المؤرخين إلى أن نزول النبى ـ ﷺ ـ عند هذا المكان حيث كان فى طريقه إلى بدر ، وهناك كان المسجد الذى أشار إليه الخبر السابق .

ولم يلبث أن أصبح هذا المسجد اسمه مسجد السقيا نسبة إلى المعجزة التى حدثت فى هذا المكان . . ولم يكن مسجدا كبيرا ، ولكنه كان كسائر المساجد التى أنشئت فى ذلك العهد ، مساحته سبعة أذرع فى مثلها .

وجدد عمارته عمر بن عبدالعزيز كما جدد غيره من المساجد . ثم تجددت عمارته أيضا فى العصر العثمانى . . (٩١)

---

(٩٠) أسد الغابة جـ٤ ص١٢٦

(٩١) رجعنا فى عرض ما ذكرناه من مساجد المدينة إلى بعض المراجع ومن أهمها كتاب « المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمارى ـ للأستاذ صالح لمعى مصطفى » دار النهضة العربية بيروت

# قصة
# اليهود في القرآن الكريم

- مسجد الضرار .
- الحكمة من إنشاء المساجد .
- بعض أحكام المساجد التي يجب مراعاتها .
- آداب دخول المسجد .
- الرحلة إلى المساجد .
- جو المدينة قبل الهجرة وبعدها .
- بعض خصائص المدينة .
- الوثيقة التي وضعها الرسول لتنظيم الأوضاع في المدينة .
- موقف اليهود من الوثيقة .
- عبر مستخلصة .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## مسجد الضرار

ومادمنا بصدد الحديث عن مساجد المدينة التى أنشئت فى عهد النبى ـ ﷺ ـ فلابد من الإشارة إلى ذلك المسجد الذى أنشأه المنافقون ليكيدوا عن طريقه للإسلام والمسلمين . . .

لقد كان الهدف من إنشاء المساجد فى الاسلام أداء الشعائر والعبادة وذكر الله ونشر العلم والمعرفة وإذاعة الخير بين الناس . .

أما هؤلاء فقد أرادوا من مسجدهم هذا أن يكون مثار فتنة وقلاقل وكيد وبث للفرقة والشر . وقد ذكر القرآن الكريم هذا المسجد فى قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ (٩٢)

وقصة إنشاء هذا المسجد نتحدث عنها فيما يلى :ـ

رحب أكثر أهل المدينة ـ كما عرفنا ـ بالدين الجديد الذى وفد إلى المدينة ، وتلقفه أهلها بالحب والترحاب . . ولكن بعض أهل المدينة وهم قلة ـ امتلأت قلوبهم غيظا وحقدا على النبى ـ ﷺ ـ وعلى الأنصار الذين التفوا

---

(٩٢) التوبة ١٠٧ ، ١٠٨

حوله وحول إخوانهم المهاجرين . . . يؤثرونهم على أنفسهم وأهليهم ولو كان بهم خصاصة . .

لقد كان حال تلك القلة من القوم عجيبا ، فقد جاءهم الهدى والنور إلى أعتاب دورهم فأبوا إلا أن يغلقوا الأبواب أمامه ، ولم يكتفوا بذلك بل أرادوا أن يضعوا السدود فى طريقه وأن يزرعوا الأشواك أمامه ، ولكنهم عجزوا عن أن يجهروا بذلك ضعفا وجبنا ، فاحترفوا النفاق ، وزين لهم شيطانهم أن يظهروا اعتناق هذا الدين ويبطنوا خلافه ، حتى يتمكنوا من النيل منه ظنا منهم أن الله لن يكشف كيدهم ويظهر خبثهم ومكرهم .

وكان يتزعم أمر النفاق فى المدينة نفر انساقوا وراء أبى عامر الراهب . الذى لقبه النبى - ﷺ - الفاسق

وهو أبوعامر بن صيفى ، وكان قد تكهن فى الجاهلية ولبس المسوح وأظهر التنسك ، فلما بعث النبى - ﷺ - كفر به . . ومن الغريب أن يكون ابنه حنظلة الشهيد غسيل الملائكة . . .

جاء أبوعامر إلى النبى - ﷺ - حين هاجر إلى المدينة ، فقال له : يامحمد ، ما هذا الذى جئت به ؟

قال النبى - ﷺ - : جئت بالحنيفية دين ابراهيم .

قال أبوعامر : فإنى عليها .

قال النبى - ﷺ - : لست عليها لأنك أدخلت فيها ما ليس منها .

فقال أبوعامر : أمات الله الكاذب منا وحيدا طريدا .

فقال النبى - ﷺ - : نعم . أمات الله الكاذب منا كذلك .

فقال أبوعامر : لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم .. فلم يزل يقاتل مع أعداء الرسول حتى حنين ، فلما هزمت هوازن خرج إلى الروم مستنصرا بهم على النبى - ﷺ -

لقد ظن أبوعامر أن الهداية وقف عليه وحده ، وأن الحق إذا جاء على لسان أحد غيره فإنما هو الباطل ، وأن الدعوة إلى الرشاد إذا قام بها أحد سواه فإنما هى ضلال وكفر .. ولم يكن أبوعامر هذا يدعو إلى الحنيفية كما ادعى ولكنه كان من الذين غيروا وبدلوا فى ديانة ابراهيم حسب أغراضهم وشهواتهم . ولكن شيطانه سول له أنه على الحق وأن ما يدعو إليه النبى - ﷺ - باطل ...

وقد حقق الله دعاء أبى عامر الذى وافقه عليه رسول الله - ﷺ - بأن يميت الله الكاذب منهما وحيدا طريدا .. فبعد أن ضاق الخناق على أبى عامر هذا خرج غاضبا يحاول أن يثير القبائل على النبى - ﷺ - ولم يكتف بأن يؤلب القبائل العربية ، بل ولَّى وجهه شطر الروم يستعديهم على النبى - ﷺ - ، ويهول لهم من أمره ويصورة فى صورة الطامع فى ملكهم ..

وقد استجاب له هؤلاء ومَنُّوه بمناصرته إن كانت له جبهة داخلية تعضده . فكتب أبوعامر إلى إخواته المنافقين يقول لهم : استعدوا فإنى آتيكم من عند قيصر بجند لنخرج محمدا من المدينة .

وحين بلغت رسالة أبى عامر أصحابه فرحوا بها ، وفكروا كيف يجتمعون ليدبروا أمرهم ، فهداهم كيدهم إلى أن يبنوا مسجداً يجتمعون فيه لتدبير

الكيد وإعداد الشر . . وذلك حتى يخدعوا المؤمنين ، ويضللوهم عن حقيقة ما يدور فى تلك الاجتماعات . .

وقد كان مسجد قباء الذى أقيم فى بنى عمرو بن عوف ، وباركه النبى - ﷺ - وصلى فيه - ومازال يفد اليه كل أسبوع للصلاة فيه - كان هذا المسجد يثير الحقد فى نفوس هؤلاء المنافقين ، وكم تمنوا أن يروه أنقاضا حتى لا يجتمع فيه أحد من المسلمين ، ولا يذهب إليه النبى - ﷺ - الذى جمع شمل الأنصار على كلمة واحدة . .

واجتمع المنافقون فعلا وبنوا المسجد ، ومبالغة منهم فى إخفاء هدفهم الحقيقى - جاءوا للنبى - ﷺ - وقالوا : يارسول الله قد بنينا مسجدا لأصحاب الحاجة والعلة والليلة المطيرة ، ونود أن تحضر للصلاة فيه وتشريفه . .

ولكن النبى - ﷺ - كان متجهزا للخروج إلى غزوة تبوك ، فقال لهم : إنى على سفر وإن شاء الله بعد رجوعنا نأتيكم لنصلى فيه . .

فلما انصرف النبى - ﷺ - من تبوك ، وكانوا قد فرغوا من بنائه وصلوا فيه يوم الجمعة والسبت والأحد ، تجهز النبى - ﷺ - للذهاب الى المسجد - فنزل عليه القرآن الكريم يعلمه بهدفهم ويكشف أمرهم ونزلت الآيات الكريمة التى تحذره من الصلاة فيه . .

ودعا النبى - ﷺ - مالك بن الدُّخْشُم ، ومعن بن عدى ، وعامر بن السكن ، ووحْشِياً قاتل حمزة وكان قد أسلم عام الفتح وحسن إسلامه -

فقال لهم : انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه فخرجوا مسرعين ، وأخرج مالك بن الدخشم من منزله شعلة نار ونهضوا فأحرقوا المسجد وهدموه .

ومات أبوعامر وحيدا طريدا ، فقد أصابته طعنة ظلت تكبر وتتضخم حتى قضت عليه فى بيت امرأة من سلول فمات غريباً طريداً وقيل : إنه مات ببلاد الروم .. لقد حاقت به دعوته ، ومات وحيداً طريداً ، وذهب إلى النار وبئس القرار ..

وكان الذين تزعموا فكرة بناء هذا المسجد اثنى عشر رجلا منهم : -

● خذام بن خالد من بنى عبيد بن زيد

● ومعتِّب بن قشير ، أسلم ، ولكن ظل النفاق يعيش فى قلبه ، وذكره بعض الرواة فيمن شهد العقبة وبدرا وأُحُدا .. أورد ابن الأثير فى أسد الغابة عنه قول الزبير - رضى الله عنه - : والله لكأنى أسمع قول معتب بن قشير وإن النعاس ليغشانى ، ما أسمعها منه إلا كالحلم وهو يقول : لو كان لنا من الأمر شىء ماقتلنا هاهنا »

وقد قضى الله بنزول هذا القول فى القرآن الكريم[٩٣] . قال تعالى

﴿ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾[٩٤]

---

(٩٣) أسد الغابة جـ٢ ص ٢٢٥

(٩٤) آل عمران ١٥٤

● ومنهم أبو حبيب بن الأذعر وقيل : أبو حبيبة بن الأذعر من بنى عمرو بن عوف

● وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف ، أما سهل أخوه فكان صادق الإيمان ، وكان من الثابتين مع النبى - ﷺ - يوم أحد ●

● وجارية بن عامر بن مجمع من بنى عممرو بن عوف .

● ومجمع بن جارية بن عامر

قيل : إنه اشترك فى بناء المسجد ولكنه لم يكن يعلم بهدفهم .

● وزيد بن جارية بن عامر

● ونبتل بن الحارث

● وبجاد بن عثمان

● ووديعة بن ثابت ..... وغيرهم ممن ملأ الحقد قلوبهم

هؤلاء الذين اشتركوا فى بناء هذا المسجد الذى لم يكن يراد به وجه الله ولارسوله ، ولكنهم أرادوا به الاضرار بالدين وتفريق كلمة المسلمين . لأنهم استقطبوا جماعة ممن كانوا يصلون فى قباء اليه وفرقوا بينهم وبين اخوانهم .

وكان الذى يصلى بهم فيه هو مجمع بن جارية لأنه كان حافظاً للقرآن . ولكنه لم يكن يعلم بنفاقهم . ولذلك حين كلم عمرو بن عوف - عمر بن الخطاب - فى أثناء خلافته أن يأذن لمجمع بن جارية أن يصلى بهم قال لهم : لا أليس بامام مسجد الضرار ؟

فقال مجمع : ياأمير المؤمنين لاتعجل علىّ فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أنى لاأعلم ماأضمروا فيه ، ولو علمت ماصليت معهم فيه . وكنت

غلاما حافظا للقرآن وكانوا شيوخا لايحفظون من القرآن شيئا ، فعذره عمر وصدقه ، وأمره أن يصلى ببنى عمرو[٩٥]

وبعد أن هدم هذا المسجد وتفرق عنه أصحابه عرضه النبى - ﷺ - على عاصم بن عدى ليتخذه دارا ، فقال : ماكنت لأتخذه دارا وقد أنزل الله فيه ماأنزل ، ولكن أعطه ثابت بن أقرن فانه لامنزل له ، فأعطاه إياه فبنى مكانه دارا فلم ير فيها خيرا فتركها . .

روى ابن المنذر عن ابن جبير وابن جريج وقتادة قالوا : ذكر لنا أنه حفر فى موضعه بقعة فأبصروا الدخان يخرج منها . . . .[٩٦] ثم آل أمر هذا المكان الى ان أصبح مكانا تلقى فيه القمامة والجيف والقاذورات .

لقد قص الله علينا قصة هذا المسجد فى قوله تعالى

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ

---

(٩٥) السيرة الحلبية جـ٣ ص١٢٢

(٩٦) المواهب اللدنية للقسطلانى جـ٣ ص ٨٠

هَارٍ فَانْهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾
لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْا۟ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ (٩٧)

## الحكمة من إنشاء المساجد

إن الحكمة من إنشاء المساجد أن تكون مكانا للعبادة وذكر الله مصداقا لقوله ـ تعالى ـ

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ
وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٩٨)

ومن أجل ذلك رغب الله المسلمين فى بناء المساجد ودعا النبى ـ ﷺ ـ الى ذلك فقال فى حديثه المشهور : « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة »(٩٩) ويكون عظم هذا البيت بمقدار عظم المسجد

---

(٩٧) التوبة ١٠٧ : ١١٠
(٩٨) النور ٣٦ : ٣٨
(٩٩) رواه ابن ماجه فى سننه باسناد صحيح عن جابر

.. وفى رواية عن رسول الله ـ ﷺ ـ « المساجد بيوت الله تضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الأرض »(١٠٠)

وذكر النبى ـ ﷺ ـ فضل المساجد على غيرها فقال ـ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة ـ : « أحب البلاد الى الله مساجدها وأبغض البلاد الى الله أسواقها » والمعنى أحب الأماكن فى البلاد ..

ومن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم القيامة .. رجل قلبه معلق بالمساجد ... وتعلق القلب بها يعنى حبها وملازمتها ..

أحكام المساجد

ولاقامة المساجد أحكام تحدث عنها العلماء ، وأفاضوا فى شرحها وتوضيحها . ونحن نقتطف من ذلك شذرات ننتفع بهاوننفع غيرنا . فنقول :

يجب فى انشاء المسجد مراعاة الاخلاص ، وتحرى الصدق ، والتأكد من أنه لايقصد به الاضرار أو الرياء وحب الظهور .. وفى مقدمة ذلك ألا يبنى المسجد فوق أرض مغصوبة . وألا يكون بناؤه يضر بمسجد آخر .... جاء فى القرطبى : لايجوز أن يبنى مسجد الى جنب مسجد آخر دون حاجة الى ذلك لئلا ينقسم المصلون بين المسجدين فيقل اجتماعهم فى مكان واحد للصلاة ، الا ان تكون المحلة كبيرة لايكفى أهلها مسجد واحد فيبنى حينئذ .

---

(١٠٠) فى مجمع الزوائد عن ابن عباس ، ورواه الطبرانى فى الكبير ورجاله موثوقون .

ومعنى ذلك أن القرية يجب أن يكتفى فيها بمسجد واحد اذا كان هذا المسجد يسع المصلين فى تلك القرية ، حتى يعمر المسجد بالمصلين ، وتزداد الصلة بينهم باجتماعهم دائما فى مكان واحد .

هذا اذا كانت البلدة أو القرية قليلة السكان لايزيد عدد المصلين فيها عن سعة المسجد ، أما اذا كانت البلدة متسعة متعددة الأحياء فلابأس باقامة المساجد تيسيرا على الناس .

## بعض آداب المساجد

## تحية المسجد

. . . وينبغى للانسان اذا دخل المسجد أن يؤدى تحية المسجد عند دخوله ، بصلاة ركعتين ، ومن دخل المسجد فلم يتمكن من صلاة التحية لحدث أو شغل أو لأن الوقت تكره فيه الصلاة استحب له ان يقول أربع مرات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

● **النوم فى المسجد**

قال الشافعى : يجوز النوم فى المسجد . ولايكره ذلك عند أغلب الفقهاء ، فقد كان أهل الصفة ينامون فى المسجد ، وقال ابن عمر : كنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ

ولكن ابن عباس رضى عنه ـ يقول : لايجب أن تتخذ المساجد مرقدا ونقل عنه رأى آخر يقول فيه : إذا نام الرجل فى المسجد انتظارا للصلاة فلابأس .

وجوز ذلك الامام مالك للغرباء . يقول أما الغرباء الذين يأتون لقضاء المصالح فإنى أراه واسعا ، وأما رجل حاضر فلاأرى له ذلك .

وقال أحمد : إن كان على وشك سفر ومأشبهه فلابأس فأما أن يُتخذ المسجد مبيتا أو مقيلا فلا .

● نظافة المسجد

ويلتزم المصلى بالمحافظة على نظافة المسجد ، ويحرم عليه البصاق فيه ، ومن رأى بصاقا أو نحوه فى المسجد فعليه أن يزيله أو يدفنه أو يخرجه ، وبناء على ذلك فانه لايجب إدخال النجاسة المسجد . أو الاحتجام فيه ، ويكره إدخال المجانين والصبيان الذين لايميزون-المسجد من غير حاجة مقصودة ، لأنه لايؤمن تنجيسهم المسجد ، فقد ورد عن النبى - ﷺ - قوله : جنبوا مساجدكم صبياكم ومجانينكم وخصوماتكم وأصواتكم وسل سيوفكم واقامة حدودكم . . واتخذوا على أبواب مساجدكم المطاهر .(١٠١)

● إمام المسجد

يشترط فيه أن يكون قارئا ، عارفا بالأحكام ، ويلتزم الناس بالصلاة وراءه الا اذا ظهر عدم عدله أو فساده أو كذبه .

ولايجوز الاختلاف على الامام اذا صلى فاذا كان للمسجد إمام معين صلى الناس وراءه ، ويكره إقامة جماعة ثانية فى وجود جماعة . .

---

(١٠١) أخرجه فى مجمع الزوائد عن أبى أمامة وعن واثلة

● رفع الصوت فى المسجد

يكره اللغط ورفع االصوت فى المسجد ، ففى مصنف ابن أبى شيبة :

ان عمه سمع رجلا رافعا صوته فى المسجد فقال : أتدرى أين أنت ؟

وسئل الامام مالك عن رفع الصوت بالعِلْمِ فى المسجد فقال : لاخير فى ذلك العلم ولافى غيره ، ولقد أدركت الناس قديما يعيبون ذلك على من يكون فى مجلسه ، وأنا أكره ذلك ، ولاأرى فيه خيرا .

ولكن غير مالك من العلماء جوزوا رفع الصوت بالعلم لأن ذلك من أغراض اقامة المساجد ويتعلق بذلك جواز تعليم الصبيان فى المساجد . . . فقال بعض العلماء : الاغلب من الصبيان الضرر بالمسجد فالأفضل منعهم ، وقال القرطبى : منع بعض العلماء تعليم الصبيان فى المساجد ورأوا أنه من باب البيع ، وهذا اذا كان بأجرة ، فلو كان تبرعا فالأفضل منعه أيضا لعدم تحرز الصبيان عن القذر والوسخ . .

أما عقد حلق العلم وذكر المواعظ ونحوها فذلك مطلوب شرعا ، والأحاديث الواردة فى ذلك كثيرة مشهورة .

وقد ورد فى فضل حلق العلم الكثير من الآثار . . روى ابن ماجة عن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : من دخل مسجدنا هذا ليُعلِّم خيرا أو ليتعلم كان كالمجاهد فى سبيل الله .

وتناول الطعام فى المسجد جائز ، ذكر الزركشى حديث عبد الله بن الحارث الزبيدى قال : كنا نأكل على عهد النبى - ﷺ - فى المسجد الخبز

واللحم . وقال مالك : يكره الأكل فى المسجد إلا اللقمة واللقمتين . . . الا أنه ينبغى أن يبسط شىء يوضع عليه الطعام ويحترز خوفا من التلوث ولئلا يتناثر شىء من الطعام تجتمع عليه الهوام هذا اذا لم يكن للطعام رائحة كريهة ، فإن كانت له فيكره أكله فى المسجد ويمنع آكله من دخول المسجد حتى تذهب رائحته لقوله ـ ﷺ ـ : من أكل ثوما أو بصلا فليعتزل مسجدنا وليقعد فى بيته(١٠٢)

● تزيين المساجد

كانت المساجد على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ متواضعة مبنية باللبن والحجارة لا شرفات لها ومفروشة بالتراب ثم بالحصباء بعد ذلك .

ولكن عثمان رضى الله عنه ـ بنى مسجد الرسول ـ ﷺ ـ بالقَصَّة(١٠٣) والحجارة المنقوشة . قال البغوى : ومن جَمَّل مسجدا ـ أى تبرعا ـ لايعد من المناكير لأنه يفعله تعظيما لشعائر الاسلام وقد سامح فيه بعض العلماء وأباحه بعضهم . وكرِه بعضهم ذلك لأنه يشغل قلب المصلين . وجعل البعض تزيين المساجد وزخرفتها من علامات الساعة .

ومن أجاز ذلك قال : إن فى ذلك تعظيما للمسجد واعزازا للدين والخلاف فى ذلك هين . . وهو قريب من الخلاف فى تحلية المصحف .

ويستحب تجمير المساجد بالبخور وتخليقها بالزعفران والطيب ، وإنارتها وتنظيفها وفرشها بالبسط ولابأس باغلاق المسجد فى غير وقت الصلاة .

---

(١٠٢) أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة

(١٠٣) القصة : الحجارة من الجص

● آداب دخول المسجد والخروج منه

يستحب لداخل المسجد أن يقدم رجله اليمنى فى الدخول ، واليسرى فى الخروج ويقول عند دخوله : أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القدير من الشيطان الرجيم .

وفى صحيح مسلم عن أبى حميد الساعدى وأبى أسيد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ـ وليقل : اللهم افتح لى أبواب رحمتك . وإذا خرج فليقل : اللهم إنى أسألك من فضلك .

وقال على بن أبى طالب : إذا مررتم بالمساجد فصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال المزنى : من بلغ باب المسجد صلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم اجعلنى من أوجه من توجّه إليك وأقرب من تقرب إليك وأنجح من دعاك وتضرع إليك .

ويستحب الاستعاذة عند الخروج من المسجد فقد روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود إبليس واجتمعت كما تجتمع النحل على يعسوبها فإذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل : اللهم إنى أعوذ بك من إبليس وجنوده . فإنه إذا قالها لم يضره .

وعلى الداخل بعد الاستعاذة والصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يؤدى تحية المسجد ـ كما قلنا سابقا ـ ثم يسلم على القوم .

ويستحب للقادم من السفر أن يصلى فى المسجد ركعتين أول قدومه وهى صلاة مقصودة للقدوم من السفر وليست تحية المسجد ، ولكن تحصل التحية بهما .

ولا يجب أن يخرج الرجل من المسجد بعد الأذان قبل أن يصلى الوقت إلا لضرورة كانتقاض وضوئه مثلا . . .

جاء فى صحيح مسلم من حديث سليم بن أسود عن أبى الشعثاء قال : كنا مع أبى هريرة فى المسجد ، فخرج رجل حين أذن المؤذن للعصر ، فقال أبو هريرة : أما هذا فقد عصى أبا القاسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ

● صلاة المرأة فى المسجد

لاشك أن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد . جاء فى المستدرك للحاكم عن أم سلمة قالت : خير مساجد النساء بيوتهن .

وفى سنن أبى داود من حديث أبى هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لأن تصلى المرأة فى مخدعها أعظم لأجرها من أن تصلى فى بيتها » وفى أسد الغابة فى ترجمة أم حميد الأنصارية قالت : قلت يا رسول الله ، يمنعنا أزواجنا أن نصلى معك ونحب الصلاة معك ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « صلاتكن فى حُجَرِكن ، أفضل من صلاتكن فى دوركن وصلاتكن فى دوركن أفضل من صلاتكن فى الجماعة(١٠٤)

---

(١٠٤) أسد الغابة جـ٧ ص٣٢٣

وفى الإصابة[١٠٥] خبر مثله بإضافة : فأَمَرتْ فَبُنِىَ لها مسجد فى أقصى شىء من بيتها وأظلمه فكانت تصلى فيه حتى لقيت الله تعالى .

إلا أن المرأة إذا خرجت للصلاة فلا حرج عليها فقد ورد فى الأثر : لاتمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن ، وفى حديث آخر : لاتمنعوا إماء الله مساجد الله .

فإذا كانت المرأة شابة كره لها الحضور لقول عائشة رضى الله عنها : لو أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد كما منعت نساء بنى إسرائيل[١٠٦] أما إذا كانت عجوزا لاتشتهى فلا يكره ذلك .

وخروج المرأة إلى المسجد مشروط بمراعاة الحشمة والوقار وعدم التطيب أو التزين . . .

● **الاستياك فى المسجد**

قال الامام مالك : يكره الاستياك فى المسجد خشيه أن يخرج من الفم دم ونحوه مما ينزه المسجد عنه ، قال القرطبى : لم يثبت قط أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ استاك فى المسجد . .

والحديث المشهور : لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة محمول على : كل وضوء

---

(١٠٥) الاصابة فى أخبار الصحابة لابن حجر جـ٨ ص١٩٧

(١٠٦) رواه مسلم فى باب خروج النساء الى المساجد ، وأخرجه البخارى كذلك .

ولكن غير الإمام مالك من الأئمة جوزه بل جعله بعضهم من المستحب .

● صلاة النافلة فى المسجد

من الفقهاء من جعل أداء النافلة فى البيت أفضل وذكروا فى ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : صلاة المرء فى بيته أفضل من صلاته فى المسجد إلا المكتوبة[١٠٧] ، ولبعد هذه الصلاة عن الرياء

ومنهم من قال : إن أداءها فى المسجد إثر الفرائض أفضل لأنها أجمع للخاطر .

ومنهم من قال : إذا كانت النوافل بعد فروض النهار فهى فى المسجد أفضل ، وإن كانت بعد فروض الليل فهى فى البيت أفضل .

● الرحلة إلى المساجد

تسن الرحلة إلى المساجد الثلاثة التى ورد بشأنها قوله ـ صلى الله عليه وسلم : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى .

وقد أفتى بعض العلماء بمنع الرحلة إلى غيرها استنادا إلى ظاهر الحديث . ولكن النووى فى شرح مسلم يجوز ذلك . . ويقول : ذكر الشيخ أبو محمد أنه يحرم شد الرحال إلى غيرها ، وهو غلط . انتهى

---

(١٠٧) مختصر سنن أبى داود جـ ١ ص٤٧٣ عن زيد بن ثابت

وأقره الرافعى كما أقره شيخه ، وقال : الظاهر أنه ليس فيه كراهة ولا تحريم . .

ذكر الشيخ محمد علوى المالك المكى الحسنى خادم العلم بالحرمين الشريفين : قال : عن صالح بن درهم قال : انطلقنا حاجين فالتقينا برجل فقال لنا : إلى جنبكم قرية يقال لها الأُبُلّة ؟

قلنا : نعم

قال : من يضمن لى منكم أن يصلى لى فى مسجد العشار ركعتين أو أربعا ويقول : هذه لأبى هريرة ؟ . . فإنى سمعت خليلى أبا القاسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : إن الله ـ عز وجل ـ يبعث من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لايقوم مع شهداء بدر غيرهم(١٠٨) .

قال المالكى : وقال العلامة المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفورى فى كتاب « بذل المجهود فى شرح سنن أبى داود » : وفى الحديث دلالات على أن الطاعات البدنية يصل أجرها إلى غير فاعلها » (١٠٩) .

وقال العلامة المحدث الشيخ أبو الطيب صاحب كتاب « عون المعبود » : مسجد العشار مسجد مشهور يتبرك بالصلاة فيه(١١٠) .

---

( ١٠٨ ) رواه أبو داود ، وقال : هذا المسجد مما يلى النهر ـ مشكاة المصابيح جـ ٣ ص ١٤٩٦ ـ

( ١٠٩ ) بذل المجهود جـ ١٧ ص ٢٢٥

( ١١٠ ) عون المعبود جـ ١١ ص ٤٢٢ ـ وجمع ذلك كله : مفاهيم يجب أن تصحح للشيخ محمد علوى المالكى ص ١٥٣ ط دار الانسان للتأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة شارع التحرير / ميدان الدقى

## جو المدينة

لم يكن جو المدينة ملائما للمهاجرين تماما . فقد صادفتهم متاعب صحية بسبب التباين الكبير بين طقس مكة وطقس المدينة .

ولم يكد ينجو من الحمى أحد من المهاجرين ، حتى إن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ رقد طريح الفراش ، وقد صرعته الحمى فأخذ يهتف بقول الشاعر ـ حنظلة بن يسار :

كل امرىء مُصَبَّحٌ فى أهلــه ∴ والموت أدنى من شــراك نعلــه

وأخذ بلال ـ رضى الله عنه ـ يهذى من الحمى ، وكانت تصرعه فلا يستطيع حراكا ، فإذا زايلته بعض الشىء رفع عقيرته وتغنى بقول بكر بن غالب الجرهمى حين أجلت خزاعة الجراهمة من مكة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولى إذخرٌ وجليل
وهل أردن يومـــا مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل (١١١)

ووعك أيضا عامر بن فهيرة واشتد به المرض حتى اقتربت منه عائشة ـ رضى الله عنها ـ فسألته : كيف تجدك يا عامر ؟

فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفـه من فوقـه
كل امرىء مجاهد بطوقه كالثور يحمى أنفه بروقه

---

(١١١) الاذخر : نبات طيب الرائحة ، وجليل : نبت ضعيف ، ومجنة ـ بفتح الميم وكسرها وفتح الجيم وتشديد النون ـ موضع على أميال من مكة كانت تعقد به سوق فى الجاهلية ، وشامة وطفيل : جبلان أوهما ماءان قرب مكة

وهما من شعر عمرو بن مامة .

فقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : هذا والله مايدرى مايقول .

وكان بلال كثيرا مايلعن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف . حين تشتد عليه الحمى . قائلا : اللهم العنهم كما أخرجونا من أرضنا .

ويبدو أن المدينة كانت مشهورة بالوباء ، ولكنها ظهرت بحلول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها . . .

وكان وباؤها الحمى . قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ دخلنا المدينة وهى أوبأ أرض الله فطهرت ببركة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ولما رأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه من حوله تتخبطهم الحمى ، وخشى أن يكره أصحابه المدينة لما أصابهم بها . نظر الى السماء فقال : اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وأشد . فاستجاب الله دعاءه حتى أصبحت المدينة أحب اليهم من مكة .

ولم يكتف بذلك بل قال : اللهم بارك لنا فى صاعنا ومدنا وصححها لنا . وقال : اللهم اجعل بالمدينة ضعف ماجعلت بمكة من البركة . . . وفى رواية . . واجعل مع البركة بركتين . . فاستجاب الله فطيب هواءها وترابها وسكنها وسكانها والعيش فيها . . وقد قال العلماء : إن من أقام فيها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لاتكاد توجد فى غيرها . .

ودعا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه أن يبعد الوباء عن المدينة فانتقل الوباء الى الجحفة ، وكانت يومئذ مسكنا لبعض اليهود . .

وانتقل الوباء فعلا من المدينة الى الجحفة ، ويذكر الرواة أن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ رأى فى منامه كأن امرأة سوداء ثائرة الشعر خرجت من المدينة حتى نزلت الجحفة . فتأول ذلك بأنه الوباء الذى انتقل من المدينة الى الجحفة استجابة لدعوة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : لقد ذهبت الحمى عن المدينة . . فلاتخافوا منها . .

لقد أراد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يطمئن أصحابه الى أن المدينة قد طهرت مما كان بها من وباء يصيب الغريب عنها ، لأنه لم يتأقلم بعد مع جوها ، وأنها أصبحت صالحة للاقامة فيها ، فلاخوف عليهم من مرض الحمى الذى كان منتشرا فيها .

وليس ذلك فحسب . بل أصبحت منذ حل فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرما آمنا كمكة . . لايعضد شجرها ، ولايصاد طيرها . . ولايُرَوَّع أهلها . . . . . أخرج البيهقى فى سند متصل الى عبد الله بن زيد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ان ابراهيم حرم مكة وأنا حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ودعوت لها فى مدها وصاعها بمثل مادعا ابراهيم لمكة ؟ »

وأخرج أيضا عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « اللهم بارك لأمتى فى مدهم ، وبارك لهم فى صاعهم ، وبارك لهم فى مدينتهم ، اللهم ان إبراهيم عبدك وخليلك وإنى عبدك وحبيبك ورسولك ، وان ابراهيم سألك

لمكة وإنى أسألك للمدينة مثل ماسألك ابراهيم لمكة ومثله معه... إن المدينة محاطة بالملائكة على كل نقب منها ملائكة يحرسونها ، لايدخلها الطاعون ولا الدجال . من أراد أهلها بسوء أذابه الله ـ عز وجل ـ كما يذوب الملح فى الماء »(١١٢)

لقد أصبحت المدينة حرما آمنا كما كانت مكة كذلك ـ وسرى الأمن منهما الى النفوس يحسه كل هابط الى هاتين المدينتين المباركتين ، ويشعر فيهما بالرضا والسكينة ..... وأصبح كل زائر يلمس فى جوانحه روحا من الأمن يحول بينه وبين التفكير فى أى عارض يروعه ، بل إن ذلك الأمن يتسع ويمتد فى داخله فلايشغله قلق المسافر على أهله وولده .

لعل مبعث هذا الأمن الذى يحس به الانسان ـ ان أسبابه انقطعت من عالم الأرض لترتبط بعالم السماء انه الآن فى جوار حرم الله وحرم رسوله فكيف يحس بخوف أو قلق ؟

لقد أصبح فى ضيافة الله وضيافة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكيف يحس ضيف الله ورسوله بروع أو أرق ؟ . .

إنه أمن من الله . ملأ جوانح النفس سكينة واطمئنانا وليس هذا الأمن أمنا مصنوعا بالحديد والنار ، أو مفروضا بالقوة والسلطان ، فمثل هذا الأمن يشيع الرهبة والخوف ، ويثير التوجس والرعب ...... أما الأمن فى الحرمين فقد فرضه الحب لهذين المكانين . والولاء لخالقهما الذى جعل

(١١٢) هذا الخبر والذى قبله فى دلائل النبوة للبيهقى جـ٢ ص٥٦٩ وفى صحيح مسلم فى المناسك

القلوب تهفو اليها من كل مكان وتتشوق الى زيارتها فى كل عصر وآوان ، واليها تتجه الانظار صباح مساء ، وتتجه معها القلوب والأرواح ضارعة الى الله أن يكتب لها زيارة مبرورة ورحلة مشكورة . . فاذا مااستجاب الله أقبل الزائرون فى فرح غامر . . يتبادرون الربوع الآمنة فى شوق وأمل . . واذا ما عاينوا مشاهد المدينة المنورة هملت دموعهم حبا وشكرا . . وهتفت قلوبهم وألسنتهم بالصلاة والسلام على ساكنها المختار الذى بعثه الله رحمة للعالمين .

شتان بين هذا الهتاف الرقيق الجميل وبين ذلك الهتاف الذى كان يصعد من حناجر الجاهليين عند دخولهم المدينة . .

فقد روى ابن اسحاق عن هشام بن عروة قال : كان وباء المدينة معروفا فى الجاهلية وكان الرجل منهم اذا دخلها وأراد ان يسلم من وبائها قيل له : انهق . فينهق كما ينهق الحمار ، وفى ذلك يقول الشاعر :

لعمرى لئن غنيت من خيفة الردى نهيق حمار انى لجزوع[١١٣]

ماأوسع أفق الاسلام الذى نقى العقول من الخرافات والأوهام ، وارتفع بالانسان من ذلك المستوى الحيوانى الجاهل الى مستوى البصيرة الهادية والتفكير السليم والوعى الناضج . .

من خصائص المدينة :

وأصبح للمدينة المنورة خصائص ، ذكرها العلماء فى كتبهم المعنية

---

(١١٣) المواهب اللدنية جـ ١ ص٣٦٢ ـ دلائل النبوة للبيهقى ج ٢ ص٥٦٧

بذلك ، ونذكر منها : أنها اشتملت على بقعة من أفضل بقاع الأرض ، وهو الموضع الذى ضم جسد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى ذلك يقول الامام العارف أبو محمد بن عبد الله المغربى فى قصيدة يمدح بها الروضة المشرفة ويحن اليها :

دار الحبيب أحق أن تهواها ∴ وتحن من طرب الى ذكراها
جزم الجميع يأن خير الأرض ما ∴ قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم ـ لقد صدقوا بساكنها علت ∴ كالنفس حين زكت زكى مأواها

وفى تحريم صيد طيرها وقطع شجرها على الحال والمحرم شبه إجماع من الفقهاء ، والذين قالوا بالتحريم اعتمدوا على قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن ابراهيم حرم مكة ، وإنى حرمت المدينة مابين لابتيها . . . . لايقطع عضاها ولايصاد طيرها »(١١٤)

أما الحديث الوارد فى حق الصبى الذى كان يلعب بالطائر وداعبه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله « ياأبا عُمير مافعل النُغير ؟ »(١١٥) فيحتمل أن يكون ذلك قبل تحريم المدينة . .

وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث سعيد بن أبى مريم . . . . أخبرنا عبد الله بن عمر قال : حدثنى صاحب مولى زيد بن ثابت قال : دخل علىَّ زيد بن ثابت وأنا بالاسواف ـ موضع بالمدينة ـ وقد أعطلت ريشا ـ أى

---

( ١١٤ ) رواه مسلم فى كتاب الحج
( ١١٥ ) رواه البخارى من حديث أنس ـ عمدة القارى ١٠ / ٢٢٩

اصطدت طائرا ـ فأخذ بأذنى ثم لكم فى قفاى وقال : أتصيد ههنا ، وقد حرم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مابين لابتيها ؟

وقد حرم العلماء أيضا نقل تراب حرم المدينة أو أحجاره الى خارج المدينة(١١٦)

لقد كسبت المدينة فضلا عظيما بحلول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها ، وأصبحت حرما آمناً . .

المجتمع فى المدينة :

وقد أكد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك الأمان المعنوى بأمان حسى ، يربط بين الناس برباط وثيق من العهود والالتزامات . . وكانت المدينة ـ قبل الاسلام ـ تتسع لأقوام ذوى اتجاهات وعصبيات مختلفة . . ففيها الأوس وفيها الخزرج وهاتان قبيلتان كانتا فى حروب وشقاق وخلاف قبل الاسلام . أسلم منها الكثير ومازال منها مشركون لم يؤمنوا بعد

وفيها المهاجرون الذين تركوا أموالهم وأهليهم ووطنهم وجاءوا الى المدينة فارين بدينهم من وجه الكفر وطواغيت الباطل ، وكان فيها اليهود الذين ينتمون الى قبائل مختلفة . .

وقد ظهرت فى المدينة بعد مجىء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ طائفة جديدة لم تكن قبل ذلك ، ولم يكن للعرب عهد بمثلها . تلك هى طائفة

---

(١١٦) اعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى ص ٢٤٣

المنافقين الذين يظهرون خلاف مايبطنون ..

وبقدوم النبى - صلى الله عليه وسلم - الى المدينة اندمجت قبيلتا الأوس والخزرج فى تسمية جديدة اسمها الأنصار ، وهذا من أعجب العجب لقد فعل الاسلام فعله فى نفوسهم فأنساهم العداوة المتأججة والثارات المشتعلة . وانطلقوا فى سبيل الله أخوة لايفرق بينهم شيء ، وتجتمع قلوبهم على شيء واحد هو حب الله ورسوله . أما المهاجرون فقد ظلوا محتفظين بتسميتهم . وكان عددهم بالنسبة للأنصار قليلا فى بدء الهجرة ... وكان الأنصار يبذلون جهدا غير عادى فى سبيل الاسلام .(١١٧)

وكانت نظرات اليهود الى الاسلام فى المدينة مريبة ، وهم بطبعهم لايستطيعون الحياة فى جو هادىء . وقد أحسوا ان الاسلام خطر عليهم وعلى نفوذهم،وقد كانوا يبشرون بهذا الدين قبل ذلك ، على أنه الدين الذى سيقويهم ويرضيهم ويؤيد ضلالهم،فلما رأوا غير ذلك ضاقوا به ذرعا ولم يخفوا كراهيتهم له وتخوفهم منه .

وإذن فلابد من وثيقة تنظم العلاقات بين تلك الاتجاهات المختلفة ويلتزم الجميع بها ، حتى يستطيع النبى - صلى الله عليه وسلم - التفرغ لدعوته فى جو هادىء خال من القلق والنزاع .

---

(١١٧) الصحابة من الأنصار د . حسين مؤنس ص ٢٦

المعاهدة :

قال ابن هشام : وكتب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتابا بين المهاجرين والانصار واليهود . وقد عاهد فيه اليهود وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم : ونص هذا الكتاب هو :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .... انهم أمةواحدة من دون الناس .

المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم(١١٨) ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طافة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

---

(١١٨) على ربعتهم : على شأنهم وعادتهم من أحكام الديات والدماء ، والمعاقل جمع معقلة وهى الدية ويتعاقلون : يتحملون

وبنو جشم على ربعتهم يعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وإن المؤمنين لايتركون ذى غرم مفظع بينهم بل يجب أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل .

وأن لايحالف مؤمن مولى مؤمن دونه . وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو سعى بينهم بظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم .

ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا يُنْصَر كافر على مؤمن .

وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .

وإن من تبعنا من يهود فله النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر بين عليهم .

وإن سلم المؤمنين واحدة ، لايسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا .

وإن المؤمنين يكف بعضهم عن بعض ويعاون بعضهم بعضا فى سبيل الله . وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .

وإنه من اعتبط[119] مؤمنا قتلا فإنه يقتل به إلا أن يرضى ولىُّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

وإنه لايحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مجرما أو يحميه أو يؤويه ، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولايؤخذ منه صرف ولا عدل .

وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله - عز وجل - وإلى محمد - صلى الله عليه وسلم -

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين : لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لايهلك إلا نفسه وأهل بيته .

وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف

وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف

وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف

---

(١١٩) اعتبطه قتله بدون موجب لقتله

وإن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف

وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف

ومثل ذلك بقية اليهود ، إلا من ظلم وأثم فإنه لايهلك إلا نفسه وأهل بيته .

وإن البر . دون الإثم[١٢٠] . وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود كأنفسهم[١٢١] .

وإنه لايخرج منهم أحد الا بإذن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنه لاينحجز على ثار جرح ، وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته . .

وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر . دون الاثم ، وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده الى الله ـ عز وجل ـ والى محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وان الله على أتقى ما فى هذه[١٢٢] الصحيفة وأبره

---

( ١٢٠ ) أى أن البر ينبغى أن يكون حاجزا عن الإثم ، والوفاء ينبغى أن يمنع الغدر

( ١٢١ ) البطانة : الخاصة

( ١٢٢ ) ان الله على أتقى : أى لايحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وان الله جارٌ لمن بر واتقى

وانه لانجار قريش ولا من نصرها ، وان بينهم النصر على من دهم يثرب ، واذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وانهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين الا من حارب فى الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم .

وان يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحصن[١٢٣] من أهل هذه الصحيفة »

وقد آثرنا إثبات هذه الوثيقة بتمامها لما تتضمنه من أهداف عليا . توضح أهم الأسس التى وضعت للعلاقات السياسية والاجتماعية فى ظل الدولة الجديدة التى تأسست فى المدينة المنورة بعد هجرة الاسلام اليها .
كما توضح كذلك القواعد الدستورية التى تنظم حياة الناس ومستقبلهم ، وتبين الحدود التى يجب ألا يتخطاها أحد من المذكورين فى هذه الوثيقة وهم جميعا أبناء المدينة المنورة .

**العبر المستخلصة من هذه الوثيقة**

والمتأمل لنصوص هذه الوثيقة يجد أنها قد تضمنت هذه النقاط الأساسية : ـ

---

( ١٢٣ ) البر المحض :ـ البر المحسن

١ - المسلمون أنصارهم ومهاجروهم أمة واحدة ، يتعاقلون فيما بينهم ويتعاونون .

٢ - وهم مع المعسر يفكون عسرته ويفرجون كربته .

٣ - وهم ضد الظالم المعتدى يضربون على يده ويكفونه عن العدوان .

٤ - والمؤمن لايُقْتَل فى كافر ، ولا يُنْصَرُ الكافر عليه .

٥ - لايحق لمؤمن أن يؤوى مجرما أو ينصره ، ومن فعل ذلك لعنه الله .

٦ - لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم إلا من ظلم وأثم فعليه وزره . .

لقد كانت هذه الوثيقة دستورا بمعنى الكلمة ، وبأدق ما تعطيه كلمة الدستور من معطيات فى عصرنا الحديث .

وللمتأمل أن يفكر كيف تمكن ذلك النبى الأمى الذى لم يقرأ كتب السياسيين أو القانونيين من وضع بنود هذه الوثيقة بهذه الحيطة الشاملة ، والتفصيل الذى لايترك ثغرة لتأويل أو تهرب .

إنه الوحى الإلهى الذى أرشده ، والإلهام الصادق الذى ألهمه الله إياه .

وبذلك يكون النبى - صلى الله عليه وسلم - قد أرسى دعائم المجتمع الاسلامى منذ نشأته على أسس دستورية تامة ، وأن دولة الاسلام تأسست على مقومات دستورية وإدارية ناضجة ، تحرسها الشريعة الاسلامية التى شرعها الله - جل وعلا - ونزل بها وحى يوحى . .

والهدف من ذلك كله أن تكون أمة الإسلام قوية ناهضة تسير على أسس وقواعد تنظم للمسلمين شئون دينهم ودنياهم معا .

فلم يأت الإسلام ديناً روحيا فقط يزهد الانسان فى الدنيا ، ويرغبه فى الآخرة ، ويقول له كما قال عيسى بن مريم ـ عليه السلام : من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، ومن نازعك الثوب فاعطه الرداء أيضا .

ولكنه قال :

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (١٢٤)

وقال

﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١٢٥)

وإذا كان الدين الاسلامى قد شرع القصاص حفظا للحقوق ، وشرع رد العدوان بمثله ـ فإنه مع ذلك رغب فى العفو والصبر فقال

﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٢٦)

ودافع عن آخذ الحق إذا اعتدِى عليه فقال

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (١٢٧)

---

( ١٢٤ ) البقرة ١٧٩

( ١٢٥ ) الشورى ٤١ ، ٤٢ ( ١٢٦ ) الشورى ٤٣ ( ١٢٧ ) الحج ٦٠

لقد جاء الاسلام دينا للآخرة والدنيا معا ، ولذلك فقد دعا إلى التعمير والتثمير ، وحث على الجهاد والسعى والضرب فى الأرض .. ولهذا رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن استقر به المقام فى المدينة أن يضع تلك الوثيقة التى تنظم العلاقات بين المسلمين وغيرهم ، حتى يسيروا فى أمن واطمئنان ، لايبغى أحد على أحد ، ولا يغتال أحد حق أحد .

وقد راعت هذه الوثيقة أن هناك طرفا آخر يعايش المسلمين فى المدينة وهم اليهود الذين كانت تربطهم بالأنصار علاقات اقتصادية واجتماعية وثيقة .

وأن هذا الطرف عامل مؤثر فى اقتصاديات المدينة ، ولذلك كان لزاما أن يوضع نص فى الوثيقة يلزمهم حدودا معينة لايتخطونها ، بدافع ما يعتمل فى نفوسهم من حقد وبغضاء وأثرة .. فلا ضرر ولا ضرار فى الاسلام ـ وكانت نصوص هذه الوثيقة هى التى مكنت المسلمين فيما بعد من إجلاء اليهود عن المدينة .... لأن اليهود غدروا بنصوصها ولم يلتزموا بموادها . على الرغم من موافقتهم عليها ورضاهم بها فى البداية ..

وبالرغم من أن هذه الوثيقة قد وضعت لتنظم علاقة المسلمين فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين غيرهم ـ فان عاطفة الاسلام القوية كانت هى الأساس الذى وحد بين صفوف المسلمين ، وهى التى تكون العلاقة الوثيقة بينهم ، إنهم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها ، إنهم يد واحدة ، وهم يد على من سواهم ، ويجير عليهم أدناهم ، والرجل والمرأة سواء فى هذه

الإجارة . . وأنه لاسيد ولا مسود بين المسلمين ، فهم سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لأحدهم على الآخر الا بالتقوى . . وسنلقى الضوء الآن على أهم الطوائف التي تكون منها مجتمع المدينة المنورة بعد أن أصبحت مستقرا للدين الجديد .



# مجتمع المدينة بعد الهجرة

- المهاجرون .
- ثناء الله عليهم .
- الأنصار .
- من الذى سماهم بتلك التسمية ؟ .
- ثناء الله ورسوله عليهم .
- من رجال الأنصار المبرزين .
- مثل من الإيثار والحب .
- النبى يوصى بالأنصار .
- غضب معاوية على من هجا الأنصار بعد وفاة الرسول .
- اليهود .
- متى جاءوا إلى يثرب ؟ .
- اليهود فى القرآن الكريم .

١ - المهاجرون

سبق أن أشرنا إلى أن المجتمع فى المدينة كانت تعيش فى ظلاله طوائف مختلفة .. وقد رأينا أن نلقى الضوء على تلك الطوائف . ونبدأ بالمهاجرين : وهم الذين تركوا ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا .. والغالب الأعم عليهم أنهم من أهل مكة ، وإن كان قد شاركهم بعد ذلك غيرهم من قبائل أخرى من أطراف الجزيرة العربية ، بعد ان أصبحت المدينة داراً للهجرة ، وبعد أن امتدح الله المهاجرين وأوجب على المسلمين الهجرة إلى المدينة لينطلق منها الاسلام .

لقد أصبحت المدينة بعد الهجرة كالمعسكر العام للاسلام .. تنطلق منها الدعوة والجيوش غازية فى سبيل الله ومبشرة بدين الله ..

وحرص المسلمون المهاجرون على الاستمساك بالمدينة ، واعتبروها وطنهم الذى االيه يثوبون اذا خرجوا الى جهاد أو عمرة أو حج أو تجارة .. بل ويحرصون على ان يكون فيها مثواهم الأخير ، وماكان ذلك الا استجابة لدعوة الرسول - ﷺ - الذى دعا الله أن يحبب المهاجرين فى المدينة .. وقد استحق المهاجرون بهجرتهم رضوان الله فأثنى الله عليهم فى مواضع متعددة من القرآن .... منها قوله - تعالى -

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨ ﴾ (١٢٨)

---

(١٢٨) الحشر ٨

ومنها قوله ـ تعالى ـ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ﴾ (١٢٩)

ومنها قوله ـ تعالى ـ

﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥ ﴾ (١٣٠)

لقد اعتبر الاسلام الهجرة شرطا من شرائط الايمان ، ونهى عن موالاة الذين لم يهاجروا وقال القرآن الكريم فى ذلك

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ

---

( ١٢٩ ) البقرة ٢١٨

( ١٣٠ ) آل عمران ١٩٥

﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ (١٣١)

ونعى على القاعدين بدون هجرة فقال :

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ
فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ (١٣٢)

وكان الاسلام حريصا على المستضعفين الباقين فى مكة . وكان اخوانهم من المهاجرين يتطلعون لهجرتهم ، ويدعون الله لهم أن ينجيهم من الفتنة ، وان ينصرهم على المحنة . بل دعا الاسلام الى القتال فى سبيل استنقاذهم قال ـ تعالى ـ

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ (١٣٣).

---

(١٣١) الأنفال ٧٢

(١٣٢) النساء ٩٧ ، ٩٨

(١٣٣) النساء ٧٥

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قال القرطبي فى تفسيره : يعنى بالمستضعفين من كان بمكة من المؤمنين تحت اذلال كفرة قريش وأذاهم ، وهم المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام : اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين . وجاء فى سيرة ابن هشام قال : حدثنى من أثق به أن رسول الله - ﷺ - قال وهو بالمدينة : من لى بعياش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاص ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة ، وكان قد أفلت من قومه وهاجر - أنا لك يارسول الله بهما . فخرج الى مكة فقدمها مستخفيا ، فلقى امرأة تحمل طعاما ، فقال لها : أين تريدين ياأمة الله ؟

قالت : أريد هذين المحبوسين - تعنيهما -

فتبعها حتى عرف موضعهما - وكانا محبوسين مقيدين فى بيت لا سقف له ، فلما أمسى تسور عليهما . وفك قيودهما ، وأسرع بهما ثم حملهما على بعيره وساق بهما ، فعثر فدميت اصبعه ، فقال متمثلا :

هل أنت إلا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت .

وقد تقدم أن النبى - ﷺ - قد ورد على لسانه هذا البيت فى أثناء هجرته ، وقد يكون الوليد قد تمثل به الآن .

ثم قدم بهما الى رسول الله - ﷺ - المدينة(١٣٤)

وظل المهاجرون فى المدينة موضع تكريم وإعزاز من الأنصار ، ينظرون اليهم على أنهم مثل أعلى فى التضحية والجهاد . فقد كانت الهجرة أقصى

---

(١٣٤) ابن هشام جـ٢ ص ٢١٩

أنواع الجهاد ....... ولم لا ؟ .. ألم يؤثر المهاجر دينه على نفسه وأهله ووطنه وماله ؟

ألم يضح بكل ذلك فى سبيل الله ؟ ..

لقد كانت الهجرة طريق الايمان منذ كانت الرسالات ، ومامن بنى الا هاجر هو ومن معه من المؤمنين فى سبيل عقيدتهم .

وقد حفظ الانصار للمهاجرين مكانتهم من رسول الله - ﷺ - فهو امام المهاجرين ، وظل معتزا بالهجرة حتى كان يقول : لولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار .

ولقد قال ذلك اعترافا بمكان الأنصار من الاسلام ، فقد ضحوا كذلك باموالهم وأنفسهم فى سبيل نشر كلمة الله ، وآثروا المهاجرين على أنفسهم إيثاراً عظيماً تحدث به القرآن الكريم ..

لقد برز فى المهاجرين رجال لايمكن أن يضاهيهم أحد فى فضلهم وحسن بلائهم فى الاسلام . ويكفى ان يكون منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، وبقية العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم ممن ثبت فضله وأثنى عليه النبى - ﷺ -

وقد عرف المهاجرون حق الله فيهم ، وثناءه عليهم ، فظلوا على العهد الذى هاجروا من أجله ، وبذلوا أرواحهم طواعية فى سبيل الله ، وظلوا

حافظين لاخوانهم الانصار جميلهم ، ذاكرين فضلهم ، مقدرين لهم إيثارهم وجهادهم على الأيام ..

## ٢ ـ الأنصار

وكلمة الأنصار تسمية جديدة لقبيلتى الأوس والخزرج اللتين كانتا تسكنان يثرب قبل الهجرة ـ غيَّر الله اسمهما كما تغير اسم يثرب .... أصبحوا الانصار وأصبحت يثرب طابة أو طيبة أو المدينة المنورة ..

وقد وردت هذه التسمية فى القرآن الكريم قال الله ـ تعالى ـ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (١٣٥)

وكان الأوس والخزرج قبيلتين قد نزحتا من اليمن بعد تصدع سد مأرب ثم نزلتا فى هذا المكان . وقد أشار حسان بن ثابت الى هذا الأصل اليمنى فى قوله :

إما سألت فإنا معشر نجب ... الأسد نسبتنا والماء غسان

ياأخت آل فراس إننى رجل ... من معشر لهم فى المجد بنيان

ويذكر السهيلى سبب تسميتهما بالأوس والخزرج فيقول :

---

(١٣٥) الصف ١٤

الأوس : الذئب والعطية أيضا . وهو هنا من العطاء ، أما الخزرج فهى الرياح الباردة ، ففيها عطاء ايضا .

وأصلهما ابنان لحارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث .

والأسد هذا هو الذى يشير اليه حسان فى بيتيه الآنفين .

وينتهى هذا النسب الى عك بن عدنان ..

ويقول ابن إسحاق : بل هم من ولد معد بن عدنان . ذلك أن معدا ولد أربعة نفر هم : نزار بن معد ، وقضاعة بن معد ، وقنص بن معد ، وإياد بن معد... وقضاعة هو البكر ، وهو الذى تيامن الى حمير بن سبأ .. ومنه كان اليمانون .. ويقول د . حسين مؤنس : ونلاحظ ان الأوس والخزرج لم يكونا قبيلتين عندما نزحوا من اليمن الى الحجاز بعد تصدع سد مأرب ، وإنما كانوا قبيلة واحدة هى الخزرج ، وكان الأوس فرعا من الخزرج ، وهم من الأوس بن جشم بن الحارث ، فوقع الخلاف بين الأوس والخزرج ، وانفصل الأوس بن جشم وانضم اليهم اخوتهم بنو عبد الأشهل بن جشم وزعوراء فقوى بهم جانب الأوس أمام الخزرج ، وكان اليهود ينضمون اليهم أحيانا ، وقد ناصروهم فى موقعة بعاث ، التى انتصر فيها الأوس على الخزرج ، فأسرع الخزرج الى مكة يلتمسون الحلف هناك . لقد تلاشت هذه الخلافات فى ظل الاسلام ، وأصبحت هاتان القبيلتان عنصرا واحداً يعمل فى خدمة الاسلام .

ولقد أحس الأنصار أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد وهبهم بالاسلام فضلا كبيرا ، وأحياهم بعد ان أوشكوا على التفانى بسبب الحروب المدمرة ـ فوهبوا الاسلام حياتهم . وكان الاسلام فى حاجة اليهم بعد أن جفاه القوم الذين ظهرت فيهم الدعوة وكانوا أحق بها وأهلها لو أن الله وهبهم مسكة من عقل أو قليلا من رشاد .

أقبل الانصار على هذا الدين بعد ان التقت وفودهم بالنبى ـ ﷺ ـ فى العقبة وبايعوه على النصرة والجهاد وباعوا أنفسهم فى سبيل الله حتى أصبحوا جديرين بهذا اللقب الذى خلعه الاسلام عليهم .

ثناء القرآن على الأنصار

وقد أثنى القرآن الكريم على الانصار ثناء مستطابا فمن ذلك قوله ـ تعالى ـ

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ (١٣٦)

ولئن كانت هذه الآية تعنيهم دون أن تذكر لفظ الأنصار فإن هناك آيات أخرى ورد فيها لفظ النصر صريحا مثل قوله ـ تعالى ـ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١٣٦) الحشر ٩

وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ (١٣٧)

**وقوله - تعالى -**

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ (١٣٨)

**ومثل قوله تعالى**

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (١٣٩)

---

(١٣٧) الأنفال ٧٢

(١٣٨) الأنفال ٧٤ (١٣٩) الأعراف ١٥٧

## ثناء النبى على الأنصار

وقد تميز الأنصار بزهد عظيم فى شئون الدنيا ، وكان اسلامهم خالصا لوجه الله ، وكان حبهم لله ورسوله مضرب الأمثال ، وكان اقبالهم على الدين إقبالا منقطع النظير ، وقد أثنى النبى - ﷺ - عليهم ثناء عظيما . . وقد وثق بايمانهم وثوقا كبيرا حتى لقد كان يعطى غيرهم ممن يعرف أن له رغبة فى الدنيا ويترك الأنصار ثقة فى إيمانهم . .

ومن ثناء النبى - ﷺ - على الأنصار قوله فى حق سعد بن عبادة :- نعم المرء سعد بن عبادة .

وقد قال - ﷺ - ذلك فى غزوة الغابة . . . . . وكان النبى - ﷺ - قد استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ،وأقام سعد بن عبادة فى ثلثمائة من قومه يحرسون المدينة خمس ليال حتى رجع رسول الله - ﷺ - وكان قد بعث الى النبى - ﷺ - بأحمال من التمر وعشر - نياق - وكان الذى حمل ذلك الى رسول الله - ﷺ - قيس بن سعد بن عبادة .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا قيس بعثك أبوك فارسا ، فقوى المجاهدين ، وحرس المدينة من العدو ، اللهم ارحم سعدا وآل سعد . ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : نعم المرء سعد بن عبادة .

وأعجب ذلك الخزرج فقالوا : يا رسول الله ، هو بيتنا وسيدنا وابن سيدنا ، كانوا يطعمون فى المحل ، ويحملون الكل ، ويقرون الضيف ،

ويطعمون فى النائبة ويحملون عن العشيرة .

فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : خيار الناس فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا فى الدين[١٤٠]

## من رجال الأنصار المبرزين

ومن رجال الأنصار المشهود لهم بالفضل سعد بن معاذ الذى قال النبى - صلى الله عليه وسلم - فى حقه : قوموا لسيدكم ، وقال يوم توفى : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ .

وجاء فى أسد الغابة : لقد نزل من الملائكة لتشييع سعد بن معاذ سبعون ألفا ما وطئوا الأرض قبل ذلك ، وقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : ويحق أعطاه الله تعالى ذلك .

وقال النبى - صلى الله عليه وسلم - إن الملائكة كانت تحمله فى جنازته . . .[١٤١]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ومقامات سعد فى الاسلام مشهورة مذكورة ، ولو لم يكن له إلا موقفه يوم بدر لكفاه . . . . وذلك حين طلب النبى - صلى الله عليه وسلم - الرأى من الناس فى الخروج للقتال - فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك مواثيقنا على السمع

---

( ١٤٠ ) الصحابة من الأنصار ص ٢٧

( ١٤١ ) أسد الغابة جـ ٢ ص ٣٧٦

والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت ونحن معك ، فوالله الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصُبُر على الحرب ، صُدُق عند اللقاء ، لعل الله يريك بنا ما تقر به عينيك ، فسر بنا على بركة الله .

فَسُرَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقوله .

ومن الأنصار أيضا أبى بن كعب ـ رضى الله عنه ـ الذى قال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا أُبَىّ ، إن الله أمرنى أن أقرأ عليك قوله :

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ (١٤٢)

فقال أُبَىّ : الله سمانى لك يا رسول الله ؟

فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نعم

فجعل أُبَىّ يبكى . .

قال ابنه عبد الرحمن : قلت لأبى : أفرحت بذلك ؟

فقال : وما يمنعنى أن أفرح بذلك ، والله يقول :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (١٤٣)

---

( ١٤٢ ) سورة البينة ١

( ١٤٣ ) يونس ٥٨

وفى حق أُبَىّ وغيره من الصحابة ورد هذا الأثر الكريم « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأشدهم فى دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقرؤهم أُبَىّ بن كعب ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح »[١٤٤] ومن الأنصار زيد بن ثابت ، الذى اشتهر بكتابة الوحى ، وكلّفه أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ بجمع القرآن فى خلافته .

ومن الأنصار أسيد بن الحضير من بنى عبد الأشهل ، وكان فى الذروة من الإيمان والشجاعة ، أسلم على يد مصعب بن عمير حين بعثه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ معلما وسفيرا إلى المدينة ، وأسلم قبل معاذ بن جبل بساعة ، وقد ذكرنا قبل ذلك قصة إسلامهما .

ومن الأنصار أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن رواحة وعباد بن بشر ، وأنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، وأبو دجانة والحباب بن المنذر . . . وكثير غيرهم ، أبلوا فى الإسلام بلاء حسنا .

إن الانسان ليتعجب من أمر أولئك الأنصار الذين كانوا على موعد مع الاسلام ، فقد ظلوا طوال تاريخهم وثنيين متعادين متحاربين خائفين من اليهود ، لايكادون يشتهرون بمقدرة عسكرية أو باتجاه روحى ، حتى إذا التقوا مع الاسلام تغير كل ما فيهم من النقيض إلى النقيض ، فأسلم منهم

---

( ١٤٤ ) أسد الغابة جـ ١ ص ٦٢

أول الأمر نفر قليل يزيدون قليلا عن العشرة ، ثم سبعون رجلا وامرأتان ، ولا يكاد مصعب بن عمير يصل إلى المدينة ليدعو إلى الإسلام حتى يدخلوا فيه زرافات ووحدانا ، إنهم كانوا ينتظرونه.ثم إنهم تحولوا إلى أسود حرب لايثبت لهم فى جزيرة العرب أحد ، وظهر منهم قادة وأهل معارك يرسمون الخطط ، فلا تثبت لهم قبيلة أو جماعة فى جزيرة العرب ، فإذا لم يكن هذا قدرا سعيدا كتبه الله لهؤلاء فماذا يكون ؟(١٤٥) »

وقد أيقظ الاسلام فى الأنصار ملكات كثيرة فظهر فيهم الرجال الممتازون فى كل مجال ، وفى كل مطلب من مطالب الحياة ..... ظهر منهم رجال علم وإدارة ، وفقه وحرب ... وإلى جانب ذلك الاستعداد لبذل النفس فى سبيل الاسلام .. ومن قبل ذلك وبعده الايثار الجميل الذى ذكره الله لهم فى القرآن ..

يوم السقيفة

ومن أعظم الأمثلة فى إيثارهم ، هو إيثارهم المهاجرين بالخلافة دونهم ، وكانوا قد اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة لاختيار خليفة بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وكان فى إمكانهم أن يقولوا : لقد آوينا ونصرنا وضحينا وفعلنا كذا وكذا ... كان فى الامكان أن يقولوا ذلك ، ولكنهم تناسوه تماما ، ولم يذكروا إلا شيئا واحدا هو الاسلام ـ الذى جاء به رسول الله ـ صلى الله

(١٤٥) انظر الصحابة من الأنصار ص ٥١

عليه وسلم ـ وأن هؤلاء المهاجرين الذين جاءوا معه تاركين أموالهم وأولادهم ووطنهم هم أحق بأن يتولوا الأمر من بعده .

لقد كان الأنصار فى منتهى الأريحية حين لم ينازعوا المهاجرين الخلافة ، وقد كان بإمكانهم أن يفعلوا ولهم مندوحة فى ذلك ، ولسنا مع الذين يحاولون إبراز صورة من الخلاف والتنازع جرت بين المهاجرين والأنصار حول هذا الأمر

فقد قال بعض الكتاب : « طبيعى من الأنصار أن يسرعوا إلى التفكير فى أمر مدينتهم أول ما عرفوا أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مات ، ترى أيظل أمر هذه المدينة وأمر العرب إلى المهاجرين الذين أقاموا ضعافا بمكة لا مأوى لهم ولا نصير حتى أعزتهم المدينة ؟ أم يكون الأمر لأهل هذه المدينة الذين قال فيهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنه أتاهم مكذَّبا فصدقوه ، ومخذولا فنصروه ، وطريدا فآووه ، وعائلا ـ فقيرا ـ فآسوه ؟

« تحدث بعض الأنصار إلى بعض فى هذا ، وتداعوا إلى سقيفة بنى ساعدة . . »

وهذه العبارة التى ذكرها الكاتب تبرز الحرص من جهة الأنصار على الخلافة وتطلعهم إليها ، وانتهازهم فرصة وفاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للانفراد بالأمر دون المهاجرين .

والحق أن الأمر لم يكن بهذه الصورة التى حاول الكاتب تصويرها لقد اجتمع الأنصار حقا فى السقيفة ـ وهذا امر طبيعى تدعو إليه الظروف الطارئة ، فلا بد من راع يرعى شئون المسلمين ، والأنصار أهل غِيرَة على هذا الدين . . . فقد أصبحوا أنصاره منذ أن أسلموا .

ولئن كانوا قد رغبوا فى أن يتولى واحد منهم الأمر ، واختاروا سعد بن عبادة لذلك ، فلا غضاضة عليهم فى ذلك ، فقد اختاروا رجلا كان يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، وقد قال فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما قال تزكية له وثناء عليه .

الا أنهم سريعا ما مالوا إلى اقتراح عمر بتولية أبى بكر ، واستجابوا إلى مقولة رجل منهم هو بشير بن سعد ـ رضى الله عنه ـ حين قال لهم : إنهم لم يؤوا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم ينصروه ابتغاء الدنيا ، وإنما آووا ونصروا ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

يقول طه حسين : والذى نعرفه من سيرة الأنصار ، ومن سيرة المسلمين عامة يدل على أن الإسلام قد ألغى ما كان فى قلوبهم من التنافس والتباغض ، وما كان فى صدورهم من الضغائن فى الجاهلية ، فغريب إذن أن تعود اليهم جاهليتهم بكل ما كان فيها من الحقد والحسد والموحدة فجأة فى اليوم نفسه الذى قبض فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ثم يقول : والذى استخلصه أنا من قصة السقيفة أيسر جدا مما صوره المؤرخون ، فقد أشفق الأنصار بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن

يلي المهارجون من قريش الخلافة، فيصير هذا سنة وتستأثر قريش بالأمر، فاذا ذهب الصالحون من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يعرف من يأتي بعدهم من قريش حق الأنصار، فيظلمهم أو يجور عليهم، فأراد الأنصار - إذن - أن يحتاطوا للمستقبل، وكأنهم أحسوا قبل أن يأتيهم أبو بكر وصاحبه أن قريشا لن ترضى منهم بهذا الأمر، فأزمعوا أن يعرضوا على المهاجرين أن يكون الأمر في المهاجرين والأنصار على سواء، فينهض بأعباء الحكم أميران واحد من أولئك وواحد من هؤلاء، ويكون بذلك توازن في التبعات، فإذا بغى أحدهما كفه الآخر.

وصدق عمر حين رد على الأنصار رأيهم هذا، فقال: لايجتمع اثنان في قرن[147] فلو قد تم للأنصار ما يريدون لما استقامت أمور الحكم، ولوقع من الخلاف بين الأميرين ما يفسد على المسلمين حياتهم، ويضطرهم الى خصومات لاتنتهي، وربما اضطرهم الى الحرب

... والمهم أن أبا بكر وصاحبيه عمر وأبا عبيدة قد أقنعوا الأنصار في يسر، فلم ينصرفوا عنهم إلا وقد بايعوا لأبي بكر، ولو كان الأنصار حراصا على الحكم والاستئثار بالسلطان. لما أتيح لأبي بكر وصاحبيه أن يقنعوهم في ساعة من نهار»[148]

---

(١٤٦) الصديق أبو بكر لمحمد حسين هيكل
(١٤٧) القرن: الحبل يقرن به البعيران
(١٤٨) الشيخان لطه حسين ص ٣١

حقا ، فلو كان الأنصار حراصا على السلطة لأخذوها ، ولما نازعهم المهاجرون فى ذلك ، فالأنصار أصحاب الدار ، والمهاجرون ضيوف عليهم ، ولكن الأنصار نظروا إلى سن أبى بكر ومكانته فى الاسلام وصحبته لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما نظروا إلى المهاجرين نظرة إكبار وإجلال وتقدير ـ يفرضها عليهم دينهم الذى يؤمنون به ويحبونه ويجاهدون فى سبيله ، لاتلك النظرة التى يزعمها البعض بأن المهاجرين كانوا ضعافا وقلة فى ديارهم وأن الأنصار أصحاب فضل عليهم . .

ما نظر الأنصار إلى المهاجرين يوما هذه النظرة التى تتنافى مع مثالية هذا الدين الذى صنع من هؤلاء القوم . المهاجرين منهم والأنصار ، أخوة وأحبابا يطلق عليهم جميعا صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

لقد صهروا جميعا فى بوتقة الدين ، وخرجت منهم سبيكة واحدة وضعها التاريخ قلادة فى عنقه ، تضىء ظلام الأيام ، وتشهد فى صدق كيف يكون التواصل الحق . والإخلاص الحق ، والحب والتفانى فى سبيل المجموع . هذا وقد تحدثنا عن موقف الأنصار وماحدث منهم بعد وفاة الرسول ـ ﷺ ـ استطرادا لحديثنا عن الأنصار ، وماكان من حبهم لهذا الدين ، وإيثارهم المهاجرين على أنفسهم . . . . . . .

**مثل من الايثار والحب**

حين غنم رسول الله ـ ﷺ ـ الغنائم الكثيرة من قبائل هوازن فى غزوة

حنين - وزع الغنائم على المؤلفة قلوبهم . وكانت غنائم كثيرة لاتكاد تحصى ، فقد أعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الابل ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الابل ، ثم سأله فأعطاه مثلها . . وهكذا . . فلما رأى بعض الانصار ماأعطى رسول الله - ﷺ - من رجال قريش تكلموا فى ذلك حتى قال بعضهم : يغفر الله لرسول الله ، يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم .

فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - فأرسل الى الانصار فاجتمعوا فى مكان أعدّلهم ، ولم يدع معهم أحدا غيرهم . ثم قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

يامعشر الأنصار ، ماهذا الذى بلغنى عنكم ؟ ألم آتكم ضُلّالا فهداكم الله بى ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بى ؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بى ؟

فكان كلما قال لهم من ذلك شيئا قالوا : بلى يارسول الله .

ثم قال : ألا تجيبون يامعشر الأنصار؟

قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل

فقال - ﷺ - : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم . آتيتنا مُكَذَّبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، فصاحوا جميعا : بل المَن علينا لله ورسوله .

ثم تابع رسول الله - ﷺ - خطابه قائلا : أوَجِدتم - أى أغضبتم -

يامعشر الانصار فى أنفسكم من أجل لعاعه[149] من الدنيا تألفت بها قوما ليقوى ايمانهم ووكلتكم الى اسلامكم ؟

الا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير ألف مرة ممايتقلبون به ، والذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار ، ولو سلك الناس شِعْباً وسلك الأنصار شِعْباً لسلكت شِعْبَ الأنصار ، وإنكم ستلقون أثره من بعدى فاصبروا حتى تلقونى على الحوض . . . ثم قال : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار .

فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله ورسوله قسما ونصيبا .[150]

إن ماحدث من بعض هؤلاء الانصار انما هى نزعة من نزعات الشيطان الذى يجرى فى ابن آدم مجرى الدم من العروق ، ولايكاد ينجوا أحد من شره ، ولقد كان النبى - ﷺ - حكيما فى معالجة ماحدث ، كان رحيما كعادته استطاع ان يمحوا بكلماته الرقيقة وحبه الشديد للانصار ماعلق فى نفوس بعضهم ، وسرعان ماثابوا إلى أنفسهم ، وأدركوا أن ماحدث من بعضهم انما هو من وساوس الشيطان فأسرعوا بالاستعاذة منه فوقاهم الله شره .

وأثبتوا صدق جوهرهم ونقاء معدنهم ، فهو لم يبايعوا رسول الله يوم بايعوه طلبا للدنيا ، ولا رغبة فى السلطان ، ولكنهم بايعوه حبا فى الله

---

(١٤٩) اللعاعة - بضم العين - بقلة خضراء تستهوى العين -
(١٥٠) فقه السيرة د . محمد سعيد رمضان البوطى ص ٣٠٠

ورسوله وحبا فى هذا الدين الذى جعله الله خاتم الأديان . أما الدنيا فهى عرض زائل ومتاع حائل وماعند الله خير وأبقى .

## النبى يوصى بالأنصار

وكان النبى - ﷺ - كثيرا مايوصى بالأنصار ، وقد حرص على ذلك حتى آخر رمق فى حياته . . . فقد أورد ابن سعد فى طبقاته ان النبى - ﷺ - فى مرض موته ، شعر يوما بخفة ، فخرج ، فصلى بالناس ، ثم خطبهم واستغفر الله للشهداء من أصحاب أحد ودعالهم ، ثم أوصى بالانصار ، فقال : يامعشر المهاجرين ، انكم أصبحتم تزيدون ، وأصبحت الانصار لاتزيد . . . . إنهم على هيئتهم التى هم عليها اليوم ، وإنهم عيبتى(١٥١) التى آويت إليها ، أكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم .

وفى رواية أخرى : « إن لكل نبى تركة أو ضيعة ، وان الانصار تركتى أو ضيعتى ، وان الناس يكثرون وهم يقلون - فاقبلوا من محسنهم ، واعفوا عن مسيئهم .

وفى رواية : أتى النبى - ﷺ - فقيل له : هذه الانصار فى المسجد نساؤهم ورجالها يبكون من أجلك . .

فقال : ومايبكيهم ؟

قالوا : يخافون أن تموت .

---

( ١٥١ ) تعبير مجازى يقصد به أنهم موضع سره - ويطلق على الصندوق الذى يحفظ فيه الانسان أسراره اسم العيبة

فخرج رسول الله - ﷺ - فجلس على المنبر مشتملا ، متعطفا عليه ملحفه ، طارحا طرفها على منكبيه ، عاصبا رأسه بعصابة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يامعشر الناس ، إن الناس يكثرون وتقل الانصار ، حتى يكونوا كالملح فى الطعام ، فمن ولى من أمرهم شيئا فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم . .

وكان هذا آخر مجلس جلسه حتى قبض - ﷺ -

وقد حفظ المسلمون وصية رسول الله - ﷺ - بالانصار ، وظل الخلفاء يتذاكرونها . . روى الرواة أن مصعب بن الزبير حين ولى المدينة أخذ عريف الأنصار فَهَمَّ به - قال أنس : فقلت له : أنشدك الله ووصية رسول الله - ﷺ - فى الانصار .

فقال مصعب : وماأوصى به فيهم ؟

قال : قلت أوصى أن يُقبل من محسنهم وأن يتجاوز عن مسيئهم .

قال : فاضطرب مصعب على فراشه حتى سقط على بساطه ، والصق خده على البساط ، وقال : أَمْر رسول الله - ﷺ - على الرأس والعين . . اتركوه[١٥٢]

### غضب معاوية على من هجا الانصار

ولئن كان مصعب بن الزبير قد ذُكِّرَ فتذكر ، وأصاخ لأمر النبى - ﷺ -

---

(١٥٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٢ قسم ٢ ص٤٢

واعتذر . فان معاوية قبله قد غضب غضبا شديدا حين سمع أن الأخطل قد هجا الأنصار . .

أما قصة ذلك فقد رواها لنا أبو الفرج الاصبهانى فى أغانيه . قال : شبب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت برملة بنت معاوية بن ابى سفيان ، فغضب يزيد بن معاوية عليه ، وأرسل الى كعب بن جُعَيْل الشاعر وقال له : اهج الأنصار . فقال كعب . أخاف من أمير المؤمنين ، ولكنى أدلك على الشاعر الفاسق الماهر . .

قال يزيد : ومن هو؟

قال كعب : هو الأخطل .

فدعا يزيد الأخطل ، وقال له : اهج الانصار

فقال الأخطل : أخاف من أمير المؤمنين .

فقال يزيد : لاتخف شيئا ، أنا لك بذلك .

فهجاهم الاخطل ، وكان فاسقا لايابه بدين ، ولايرعوى من ضمير ، وكان مماقاله فى ذلك :

خلوا المكارم لستم من أهلها　　　وخذوا مساحيكم بنى النجار

ذهبت قريش بالمكارم والندى　　　واللؤم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك الشعر النعمان بن بشير ، فدخل على معاوية ، فحسر عن رأسه وخلع عمامته ، وقال : ياأمير المؤمنين ، أترى لؤما ؟

قال : لا ، بل أرى كرما وخيرا . ماذاك؟

قال : زعم الاخطل ان اللؤم تحت عمائمنا

قال معاوية : أو قد فعل ؟

قال النعمان : نعم

فقال معاوية : فَلَكَ لسانه . يعنى : اقطع لسانه .

وكتب معاوية أن يؤتى بالأخطل ، فلما جىء به ، طلب الأخطل من الرسول الذى أحضره أن يدخل به على يزيد أولا . فادخله الرسول على يزيد ، فقال له : هذا الذى كنت أخاف . فقال له يزيد : لاتخف شيئا .

وقام يزيد من فوره فدخل على أبيه فقال له : علام أرسلت الى هذا الرجل وهو يرمى من وراء جمرتنا ـ يريد : أنه يدافع عنهم ـ

قال معاوية : لقد هجا الانصار .

قال يزيد : ومن زعم ذلك ؟

قال معاوية : النعمان بن بشير .

فقال يزيد : طالبه بالبينة فان أثبت شيئا أخذنا له حقه . .

فطلب معاوية من النعمان البينة ـ فلم يأت بها ، فخلى سبيل الاخطل . .

لقد استطاع يزيد أن يذهب غضب أبيه على الأخطل الذى هجا الأنصار . ولكن النعمان مع ذلك لم يسكت ، بل استعمل نفس السلاح فى رده . فقال قصيدة يستثير فيها معاوية على الاخطل ، جاء فيها :

معـــاوى الا تعطـنا الحـق تعترف لحى الأزد مشـدوداً عليها العمائم
أيشـتمنا عـبد الأراقـم ضـله وماذا الذى تجـزى عليه الأراقـم
فمـالى ثـأر دون قطـع لسانه فدونـك من يرضـيه عنـك الدراهم

ثم ذكر حق الهاشميين فى الخلافة وعدم أحقية معاوية فيها فقال :

فمأنت والأمر الذى لست أهله ولكن ولى الحق والأمر هاشم
اليهم يصير الأمر بعد شتاته فمن لك بالامر الذى هو لازم
بهم شرع الله الهدى فاهتدى بهم ومنهم له هاد امام وخاتم

فلما بلغت الابيات معاوية أمر بدفع الأخطل اليه ليقطع لسانه ، ولكن يزيد أجاره ، ومنع عنه ، وأرضوا النعمان حق كف عنه[١٥٣]



---

(١٥٣) مهذب الأغانى جـ٣ ص ٢٠١ ، جـ ٤ ص ٢٠.

# موقف اليهود من الإسلام

- اليهود والنصارى يكذب بعضهم بعضا .
- محاجة اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم .
- أمثلة من عداوة اليهود .
- محاولاتهم الكيد للنبي والمسلمين .
- أمثلة من التحدي .
- إسلام بعض اليهود .
- خبث اليهود يتمثل في كعب بن الأشرف .
- قصة أبي ياسر اليهودي وأخيه حُيَيّ .
- بعض الأقوال في تفسير أوائل سور القرآن .

### ٣ - اليهود

وإذا كنا قد تحدثنا عن كل من المهاجرين والأنصار فقد وجب الحديث عن اليهود وهم احدى الطوائف العتيدة المقيمة فى المدينة المؤثرة فى اقتصادها. فبأيديهم التجارة ولهم تأثير سياسى واجتماعى وحربى. وكان الأوس والخزرج يستعينون بهم فى حروبهم واقتصادهم.

واليهود كانوا مقيمين بالمدينة - وكان اسمها يثرب كما قدمنا - قبل مجىء الأوس والخزرج اليها.

وذكر السهيل سببين فى مجىء اليهود الى يثرب

أما السبب الأول فهو أن العماليق كانت تغير على بنى اسرائيل من أرض الحجاز وكانت منازلهم يثرب والجحفة الى مكة، فشكا بنو اسرائيل الى موسى - عليه السلام - فوجه اليهم جيشا وأمره بقتلهم حتى لايبقى منهم أحد. ففعل الجيش ماأمره به وقتل العماليق ولم يبق منهم الا القليل الذين رقّوا لهم فتركوهم..

وعاد الجيش الى الشام فوجد موسى قد مات، فقال بنو اسرائيل لافراد هذا الجيش: قد عصيتم وخالفتم فلانؤويكم..

فقالوا: نعود الى البلاد التى انتصرنا عليها فنقيم بها. فرجعوا الى يثرب فاستوطنوها وأقاموا بها وتناسلوا فيها الى ان نزلت عليهم الأوس والخزرج

بعد سيل العرم . قال السهيلى : وقد أشار الى هذه القصة ابو الفرج الأصفهانى فى كتاب الاغانى ، وهذه القصة بعيدة عن الصواب كما سيأتى ........

والسبب الثانى أن اليهود قد جاءوا الى يثرب بعد أن غلب بختنصر على بيت المقدس ، فأمعن فى بنى اسرائيل تقتيلا وأسرا وطردا ، ففر منهم من فر وتفرقوا فى بلاد مختلفة ، ومنهم من جاء الى ثرب وأقام بها وهم بنو قريظة والنضير . ومنهم من أقام فى خيبر وفى غيرها من الأماكن .

وهذا هو السبب الأرجح بل الحقيقى .. أما السبب الأول فقد نقده السهيلى وغيره من العلماء ... وذلك لبعد العهد بين موسى ـ عليه السلام ـ وبين يهود المدينة .

ومما يؤكد ذلك السبب الثانى ويقويه أن موسى عليه السلام ظل مقيما فى التية حتى مات ، وكان بنو اسرائيل معه لايستقيمون على رأى ، وقد وجد صعوبة شديدة فى أن يوجههم إلى الأرض المقدسة ليدخلوها ، وأبوا عليه ذلك إباءاً شديدا . فعاقبهم الله بالتيه . فلم يكن من المعقول أن ينكصوا عن حرب الذين دخلوا أرضهم المقدسة وهى على مرأى عين منهم . ويتحولوا الى أسود كاسرة تقتحم الفيافى والقفار الى يثرب ليحاربوا أهلها ويقتلوهم عن آخرهم .

## استطراد لغوى

كلمة يهود عربية ، مأخوذة من الهَوْد ، وهو التوبة والرجوع ، والفعل هاد بمعنى رجع ، ويهود بمعنى يرجع قال تعالى :

﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾(١٥٤)

وقال ـ تعلى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾(١٥٥)

فمعنى هدنا اليك تبنا اليك .. وقد تعدى الفعل بإلى لأن فيه معنى رجع ... وفى الفعل أيضا معنى التقرب والعبادة والعمل الصالح والتوبة الى الله قال زهير بن أبى سلمى :

سوى رُبَعٍ لم يأت فيها مخافة ولارهقها من عابد متهود

وقد أصبحت هذه التسمية بعد أن غير اليهود وبدلوا تسمية على غير مسمى ............

---

(١٥٤) الأعراف ١٥٦

(١٥٥) البقرة ٦٢

وقد يحمل الفعل معنى الرجوع من الشر الى الخير أو من الخير الى الشر . ويحمل أيضا معنى العقل ، يقال : هاد إذا عقل .

من هذه المعاني جاءت كلمة يهود وسميت بها قبيلة ـ قال الشاعر :

أولئك أولى من يهود بمدحة إذا أنت يوماً قلتها لم تؤنب

وقيل : ان اسم القبيلة يهوذ ـ بالذال ـ فعربت بقلب الذال دالا . .

وقالوا : اليهود بادخال الالف واللام على إرادة النسب يريدون بذلك اليهوديين . وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (١٥٦)

قال المفسرون معنى هادوا : دخلوا فى اليهودية . . . . . . أما قوله ـ تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ (١٥٧)

فقد قال الفراء : يجوز أن يكون هودا بمعنى يهودا فحذفت الياء الزائدة ورجع الى الفعل من اليهودية وعليها قرأ أبي بن كعب : الا من كان يهوديا أو نصرانيا .

---

(١٥٦) الأنعام ١٤٦

(١٥٧) البقرة ١١١

ويجوز أن يكون ـهود ـ جمعا لكلمة « هائد » مثل قولهم : حائل وحول .
وعائط وعوط . وكما يقولون فى جمع المجوسى مجوس .(١٥٨)
والهود : اليهود . . اشتقوا من هادوا بمعنى رجعوا . . وقال القرطبى فى تفسير قوله تعالى :
« والذين هادوا »

معنى هادوا صاروا يهودا ، نسبوا الى يهوذا وهو اكبر أولاد يعقوب ـ عليه السلام ـ فقلبت العرب الذال دالا لأن الاعجمية اذا عربت غيرت عن لفظها .

وقيل : سموا بذلك لأنهم تابوا عن عبادة العجل ، لأن الهائد هو التائب قال الشاعر

إنى أمرؤ من حبه هائد

وفى معنى الفعل ( هاد ) السكون والموادعة قال ابن عرفة : هدنا إليك اى سكنا إلى أمرك . .(١٥٩)
وليس لليهود من صفات هذه اللفظة ومعانيها نصيب . . .

اليهود فى القرآن :

وقد ورد فى القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن اليهود وتذكر

---

( ١٥٨ ) لسان العرب مادة هود
( ١٥٩ ) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٤٣٢

قصصهم مع أنبيائهم منها ما يذكر فيها لفظ يهود ، ومنها مايذكر فيها لفظ بنى اسرائيل ومن ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١٦٠)

واستطردت السورة بعد ذلك الى ذكر ماحدث منهم مع نبيهم موسى ـ عليه السلام ـ وماحدث منهم مع غيره من الانبياء بعد موسى . .

وفى سورة المائدة حديث تفصيلى عن اليهود وماحدث منهم من نقض للعهد . وكفر بالنعم وتغيير وتبديل فى كلمات الله ، ومحاربة لله ورسله ، وعصيان مستمر ، وكفران شديد . .



---

(١٦٠) البقرة ٤٠

**قال تعالى :**

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ
نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ
ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ
وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ
وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾(١٦١)

**وفى الآية الأخيرة تحذير مما حدث ومما سوف يحدث منهم عبر الأزمان والأجيال . . وفى كثير من السور وردت قصص بنى اسرائيل ـ والمراد بهم اليهود ـ وفى تكرار هذه القصص تنبيه وتذكير لأولى الالباب .**

**أما لفظ اليهود ـ فقد جاء فى عدة مواضع مجردا من الياء الأولى على اعتبار انها زائدة ، ومن ذلك قوله تعالى :**

---

(١٦١) المائدة ١٢ ، ١٣

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (١٦٢)

وهى آية تصور موقف اليهود من النبى - صلى الله عليه وسلم - حين جاء الى المدينة . فقد قلبوا له ظهر المجن ، وكفروا به وبدعوته مع أنهم كانوا يبشرون به قبل مجيئه ، ويهددون به الأوس والخزرج . ويقولون لهم : سيبعث نبى هذا أوانه ، نؤمن به ونقتلكم معه قتل عاد وإرم . .

وعلى الرغم من وجود علاماته فى كتبهم وأنهم كانوا يعرفون أوصافه - صلى الله عليه وسلم - كما يعرفون أبناءهم . . مصداقا لقوله تعالى -:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (١٦٣)

فقد كفروا به . . . .

وكانوا حين يلقون النبى - صلى الله عليه وسلم - يقولون له : راعنا يلوون بها ألسنتهم ، وهى لفظة فى ظاهرها امتداح ، ولكنها بلغتهم سب

---

(١٦٢) النساء ٤٦

(١٦٣) البقرة ١٤٦

وشتم . ومعناها عندهم : اسمع لاسمعت ، وكانوا يقولون : كنا نَسُبُّه سرا ، فالآن نسبه جهرا . . . . . أى بلغتهم ظنا منهم أنه لن يفهم معنى كلامهم .

وربما قلدهم المسلمون فى هذا اللفظ على اعتبار معناه الحسن ، ولكن الله نبه المسلمين الى سوء قصد اليهود ، فنهاهم عن أن يقولوا هذه اللفظة التى تحتمل المعنى السيء فى لغة اليهود . ـ فنزل قوله تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) ﴾ (١٦٤)

وكان سعد بن معاذ يعرف لغة اليهود فتنبه لما يقصدونه من مخاطبة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقولهم : راعنا . فقال لهم : عليكم لعنة الله ، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأضربن عنقه . فقال اليهود : أولستم تقولونها ؟ فنزلت هذه الآية . .

ولم يكتف اليهود بالعصيان والتكذيب الخفى بل صرحوا بذلك فكانوا يقولون للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمعنا وعصينا . .

لم يكونوا فى حاجة الى المواربة والمداراة لأنهم كانوا يعتدون بأنفسهم ويعتبرون أنفسهم مركز قوة فى المدينة على الرغم مما ركب فى طبعهم من جبن وخوف . . وهكذا الجبان اذا وجد فرصة استأسد عضلاته وصور من نفسه وخوف . . وهكذا الجبان اذا وجد فرصة استأسد وصور من نفسه سنه

---

( ١٦٤ ) البقرة ١٠٤

بطلا .. ولقد تحداهم القرآن الكريم ان كانوا صادقين حقا فى ادعائهم أن ماهم عليه حق فليتمنوا الموت .. وقال فى ذلك :

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (١٦٥)

وتكرر هذا التحدى مرة أخرى فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (١٦٦)

وكما جاء ذكر اليهود وحدهم فى القرآن جاء اقترانهم مع النصارى فى

---

(١٦٥) البقرة ٩٤ : ٩٦
(١٦٦) الجمعة ٦ : ٨

بعض الآيات لأن مقولتهم واحدة .. فمن ذلك قوله تعالى :

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ (١٦٧)

وليس معنى ذلك أن كلا منهما بصدق الآخر بل معناه أن اليهود قالوا : لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وأن النصارى قالت لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا .. وهذا زعم باطل وقد رد القرآن عليهم بقوله تعالى :

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (١٦٨)

والذى يدل على تكذيب بعضهم لبعض قوله تعالى :

---

(١٦٧) البقرة ١١١

(١٦٨) البقرة ١١٢

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ (١٦٩)

وقيل إن هذه الآية نزلت حين جاء وفد نجران ـ وهم من النصارى ـ إلى النبى ـ ﷺ ـ فاجتمع اليهم اليهود وتحاجوا فكذب بعضهم بعضا »(١٧٠) وسوف يظل هذا التكذيب متوارثا الى ماشاء الله فمازال اليهود يكذبون برسالة عيسى عليه السلام . كما ينكرون رسالة النبى ـ ﷺ ـ ومازال النصارى يستريبون فى أقوال اليهود وان كانوا يصدقون بموسى ـ عليه السلام ـ

وقد سبق أن قلنا إن هذه الآية نزلت فى شأن تكذيب أحبار اليهود للوفد الذى جاء للنبى ـ ﷺ ـ من نصارى نجران . . وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره طرفا من هذه المحاورة التى تمت بينهم قال راويا عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : ـ

لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله ـ ﷺ ـ أتتهم أحبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله ـ ﷺ ـ

فقال حبر من أحبار اليهود للنصارى : ماأنتم على شىء وكفر بعيسى وبالإنجيل .

---

( ١٦٩ ) البقرة ١١٣

( ١٧٠ ) تفسير القرطبى ج ٢ ص ٧٦ ط دار الكتب

وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ماأنتم على شيء وجحد بنبوة موسى وكفر بالتوراة .

فأنزل الله ـ تعالى ـ فى ذلك

« وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » .

وقال : إن كلا يتلو فى كتابه تصديق من كفر به ، أى يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ماأخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى ، وفى الانجيل الذى جاء به عيسى تصديق بموسى وأن ما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بماف يد صاحبه .(١٧١)

### زعمهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه

وكما زعم اليهود والنصارى انه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتهم زعموا ايضا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وقد كشف الله زيف دعواهم ، لأن لكل قول صادق شاهداً يؤيده ، وقد قال الله فى ذلك :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾(١٧٢)

---

( ١٧١ ) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٢٤ ط دار الشعب

( ١٧٢ ) المائدة ١٨

وقد نزلت هذه الآية ـ كما جاء فى القرطبى عن ابن عباس ـ حين خوف النبى ـ ﷺ ـ قوما من اليهود من عقاب الله ، فقالوا : لانخاف فنحن أبناء الله وأحباؤه فنزلت الآية .

وقال ابن اسحاق : « جاء إلى رسول الله ـ ﷺ ـ نعمان بن أضا ، وبحرى بن عمرو ، وشاس بن عدى فكلموه وكلمهم ، ودعاهم إلى الله ـ عز وجل ـ وحذرهم نقمته .

فقالوا : ماتخوفنا يامحمد ؟ نحن أبناء الله وأحباؤه وكذلك قال النصارى . فأنزل الله الآية .

فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب : يامعشر يهود ، اتقو الله فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتصفونه لنا بصفته .

فقال رافع بن حريملة ، ووهب بن يهوذا : ماقلنا هذا لكم ، ولا أنزل الله من كتاب بعد موسى ، ولا أرسل بشيرا ولانذيرا من بعده . فانزل الله ـ عز وجل ـ

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾ (١٧٣)

---

(١٧٣) المائدة ١٩

وهم فى زعمهم هذا الحب الذى يدعونه يرجعون إلى قول يقولونه ـ حكاه بعض الرواة قالوا : أما زعم اليهود والنصارى بأنهم أحباء الله . فقد ذكر السدى قصة هذا الزعم فقال : زعمت اليهود أن الله ـ عز وجل ـ أوحى إلى إسرائيل ـ عليه السلام ـ أن ولدك بكرى من الولد ، أما النصارى فقد زعموا أنهم أبناء الله لأن فى الانجيل حكاية عن عيسى أنه قال : أذهب إلى أبى وأبيكم . .

وليست الأبوة حقيقية ولكنها أبوة معنوية تشير الى الرحمة والحنان ، ولكنهم جعلوها أبوة حسية ـ تعالى الله عن الشريك والصاحبة والولد علواً كبيراً .

ومقتضى الحب التغاضى عن هفوات المحبوب . ولذلك حاجهم القرآن الكريم بقوله

« فلم يعذبكم بذنوبكم »

قال القرطبى : فلم يكونوا يخلون من أحد وجهين ، إما أن يقولوا هو يعذبنا فيقال لهم : فلستم إذن أحباء الله فإن الحبيب لايعذب حبيبه ، وأنتم تقرون بعذابه ، فذلك دليل على كذبكم ، أو يقولوا : لايعذبنا فيكذبوا مافى كتبهم وماجاءت به رسلهم ، ويبيحوا المعاصى وهم معترفون بعذاب العصاة منهم . . (١٧٤)

---

( ١٧٤ ) تفسير القرطبى ج ٥ ص ٢١١٧ تفسير سورة المائدة ـ ط دار الشعب

## أمثلة من محاجة اليهود

لم يكف اليهود منذ جاء النبى - ﷺ - الى المدينة عن عدوانهم على الاسلام بالفاظهم ومؤامراتهم . . . لقد رأوا فى وجود الاسلام خطرا عليهم وعلى كيانهم ونفوذهم . فقد كانوا يشعرون أنهم يتميزون على غيرهم من سكان المدينة ، لأنهم أهل كتاب أولا ، ولأن فى يدهم المال والتجارة ثانياً .

وقد عرض النبى - ﷺ - عليهم الاسلام ، ولكنهم عارضوه بكل قوة ، وأبوا أن يصدقوا أنه النبى الذى بشرت به التوراة ، وأخبر عنه موسى وغيره من الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى وقبله . .

لقد كان من محاجتهم للنبى - ﷺ - ان قالوا له :

إن لكل نبى من الأنبياء ملكاً من الملائكة يأتيه من عند ربه بالرسالة والوحى ، فمن صاحبك حتى نتبعك ؟

فقال - عليه الصلاة والسلام - : جبريل .

قالوا : ذاك الذى ينزل بالحرب وبالقتال ، فهو عدونا ، لو قلت إن صاحبك ميكائيل الذى ينزل بالقطر والرحمة لتابعناك . فأنزل الله - تعالى - قوله

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (١٧٥)

---

( ١٧٥ ) البقرة ٩٧ ، ٩٨

لقد بلغ من جدالهم وخبثهم أنهم كانوا ينكرون ماف التوراة اذا وجدوه موافقا لما جاء فى القرآن ، ويمالئون الكفار على النبى - ﷺ - ويخترعون للمشركين أسئلة يتحدون بها النبى - ﷺ - وهذه أمثلة لذلك :

**قصة نزول آية**

حكى المفسرون فى سبب نزول قوله - تعالى -

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ (١٧٦)

نقول حكى المفسرون فى سبب نزول تلك الآية أقوالا منها :

نزلت هذه الآية فى بنى قريظة والنضير ، فقد قتل رجل من يهود بنى قريظة ، رجلا من يهود بنى النضير .

---

(١٧٦) المائدة ٤١

وكان بنو النضير إذا قتلوا من بنى قريظة لم يقيدوهم وإنما يعطونهم الدية فتحاكموا إلى النبى - ﷺ - فحكم بالتسوية بين القرظى والنضيرى ، فساء ذلك بنى قريظة ولم يقبلوا . .

وقيل : إنها نزلت فى شأن يهوديين زنيا فسألوا النبى - ﷺ - عن الحكم فى ذلك فحكم عليهما بالرجم ولكن اليهود أنكروا ذلك الحكم .

فقال النبى - ﷺ - لهم : ائتونى بأعلم رجلين منكم ، فجاءوا بابنى صوريا ، فنشدهما الله تعالى : كيف تجدان أمر هذين فى التوراة ؟

قالا : نجد فى التوراة اذا شهد أربعة أنهم رأوا رجلا وامرأة زنيا أن يرجما .

قال : فما يمنعكما أن ترجموهما ؟

قالا : ذهب سلطاننا فكرهنا القتل .

فدعا النبى - ﷺ - بالشهود ، فشهدوا بأنهما قد زنيا فأمر النبى - ﷺ - برجمهما

هذا ماجاء فى الصحيحين . . . وفى غير الصحيحين عن الشعبى عن جابر بن عبد الله قال : زنى رجل من أهل فَدَك ، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن سلوا محمدا عن ذلك ، فإن أمركم بالجلد فخذوه ، وإن أمركم بالرجم فلاتأخذوه ، فسألوه فدعا بابن صوريا وكان عالمهم ، وكان أعور .

فقال رسول الله - ﷺ - : أنشدك الله كيف تجدون الزانى فى كتابكم ؟

فقال ابن صوريا : أما إذ ناشدتنى الله فإنا نجد فى التوراة أنه إن شهد أربعة على رجل وامرأة بالزنا رجما . .

فقال النبى - ﷺ - : هو ذاك . .

إنهم كانوا يعترفون بذلك ولكنهم لايطبقونه ، كانوا يعدلون عن الرجم الى الجلد . تغييرا لحكم الله . كما كانوا يفرقون بين الشريف والضعيف كانوا يقيمون الحد على الضعيف دون الشريف .

روى البراء بن عازب قال : إن النبى - ﷺ - رأى اليهود يجلدون الزانى ويغبرون وجهه بالفحم ، فدعاهم فقال : هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم ؟

فدعا رجلا من علمائهم فقال : أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم ؟

قال : لا ، ولولا أنك نشدتنى الله بهذا لم أخبرك . نجده الرجم ، ولكنه كثر فى اشرافنا ، فكنا اذا فعل ذلك الشريف تركناه ، واذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد . . فقلنا لبعضنا . لابد أن نجتمع على شىء نقيمه على الشريف والوضيع ، فجعلنا تغيير الوجه والجلد مكان الرجم . .

فقال رسول الله - ﷺ - : اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ، فأمر به فرجم .(١٧٧)

---

( ١٧٧ ) تفسير القرطبى - سورة المائدة ص ٢١٧٣ ط دار الشعب

فهذه الأخبار كلها تشير الى عدم تطبيق الأحكام وانكارها من جانب اليهود . . ولولا أن النبى - ﷺ - كان يناشد علماء اليهود بالله أن يذكروا الحقيقة ماذكروها ، والذى يدل على انكارها ماروواه أبو هريرة - رضى الله عنه - قال : زنى رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا الى هذا النبى فإنه بعث بالتخفيفات ، فإن أفتى بشيء دون الرجم قبلناه واحتججنا بذلك عند الله ، وقلنا فتيا نبى من أنبيائك .

فأتوا النبى - ﷺ - وهو جالس فى المسجد فى جماعة من أصحابه ، فقالوا : ياأبا القاسم ماترى فى رجل وامرأة زنيا ؟

فلم يكلمهم النبى - ﷺ - حتى أتى بيت مدراسهم - كنيستهم - فقام على الباب ، فقال أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، ماتجدون فى التوراة على من زنى إذا كان محصنا ؟

فقالوا : يجلدان ثم يحملان على حمار .

وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما .

وسكت شاب منهم ، فلما رآه االنبى - ﷺ - سكت ألح به أن يقول الحق .

فقال : اللهم اذ نشدتنا فإنا نجد فى التوراة الرجم .

فهاأنت ذا ترى أنهم يريدون التحلل من أحكام الله ، ويتلمسون لذلك العلل ، ولكنهم حينما جوبهوا بالحق لم يستطيعوا الانكار .

## عداوة اليهود للمؤمنين

وقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - عن عداوة اليهود للمؤمنين التى لايستطيعون انكارها . وقال فى ذلك

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (١٧٨)

وهناك أدلة كثيرة تثبت هذه العدواة منها :

روت صفية بنت حُيَيٍّ أم المؤمنين - رضى الله عنها - وهى بنت حُيَيِّ بن أخطب قالت :

كنت أحَبَّ ولد أبى إليه ، وإلى عمى أبى ياسر ، وكانا من أكبر اليهود وأعظمهم ، فلما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة غَدَوَا إليه ثم جاءا من العشى .

فسمعت عمى يقول لأبى : أهو أهو؟

قال : نعم والله .

قال : أتعرفه ؟

---

(١٧٨) المائدة ٨٢

قال : نعم .

قال : فماذا فى نفسك منه ؟

قال : عداوته والله مابقيت .

وفى رواية : أنها قالت : إن عمى أبا ياسرحين قدم رسول الله - ﷺ - المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ، ثم رجع إلى قومه فقال : ياقوم أطيعونى ، فإن الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرونه ، فاتبعوا هذا النبى ولاتخالفوه .

ثم انطلق أبى إلى رسول الله - ﷺ - وسمع منه ، ثم رجع الى قومه ، فقال لهم : أتيت من عند رجل والله لاأزال له عدوا .

فقال له أخوه أبو ياسر : يابن أم أطعنى فى هذا الأمرواعصنى فيما شئت بعد ... لاتهلك نفسك واتبع هذا الرسول ..

فقال : والله لانطيعك .

ثم وافق أبو ياسر أخاه حييًا فكانا أشد اليهود عداوة لرسول الله - ﷺ - وعملا جاهدين فى رد الناس عن الاسلام بما استطاعا ، فأنزل الله - تعالى - فيهما وفيمن كان موافقا لهما ... قوله تعالى :

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)﴾ (١٧٩)

---

(١٧٩) البقرة ١٠٩

لقد كان حيى بن أخطب يتزعم جبهة المعارضة اليهودية ، وقد كاد الحسد يقتله ، لقد أعماه الحقد عن أن يسير فى طريق الحق الذى تبين له . وحاول أخوه أن يجره إليه ولكنه أبى ، فما كان من أخيه إلا أن اتبعه على ضلاله ، وسارا معا الى حيث سوء العاقبة والبعد عن الصواب .

وظل حُيىٌّ بن أخطب يتهكم من الاسلام ودعوته ـ وبلغ من ضلاله أنه حين نزل قوله تعالى

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ (١٨٠)

أخذ يقول على سبيل السخرية والاستهزاء : ان ربنا يستقرضنا أى يطلب منا قرضا . وانما يستقرض الفقير الغنى ، فأنزل الله ـ تعالى

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ (١٨١)

هذا ماراوه بعض العلماء

ولكن هناك رواية أخرى حول هذه الآية تشير أيضا الى عداء اليهود للقرآن وللاسلام .

---

(١٨٠) البقرة ٢٤٥

(١٨١) آل عمران ١٨١

ذكر ابن كثير فى تفسيره قال : قال ابن اسحاق ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال : دخل أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ بيت المدراس ، فوجد من يهود أناسا قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حبر آخر يقال له : أشيع .

فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ويحك يافنحاص ، اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله وقد جاءكم بالحق الذى تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل .

فقال فنحاص : والله ياأبابكر ، مابنا الى الله من حاجة وانه الينا لفقير ، وإنا لانتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وإنا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنيا استقرضنا منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم الله عن الربا ويعطيه لنا ولو كان غنيا ماأعطانا الربا .

فغضب أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا ، وقال : والذى نفسي بيده لولا الذى بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك . ياعدو الله . .

فذهب فنحاص الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : : أبصر ماصنع بى صاحبك .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى بكر : ماحملك على ماصنعت ؟ فقال : يارسول الله ، ان عدو الله قد قال قولا عظيما ، زعم أن

الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه .

فجحد ذلك فنحاص وقال : ماقلت ذلك . فأنزل الله الآية السابقة رداً على فنحاص وتصديقا لأبي بكر (١٨٢)

لقد كان هذا فهم فنحاص ومن على شاكلته ممن أعمى المال عيونهم عن طريق الصواب فجحدوا حق الله فيما خولهم اياه واستخلفهم فيه ..

ولقد رد بعض العلماء على هؤلاء بقوله - فيما يحكيه الحلبى فى سيرته - : إن كان الله قد استقرض المال لنفسه فهو كما قالوا ولكنه يستقرضه لفقرائكم ثم يكافئكم عليه فهو الغنى الحميد .

أمثلة أخرى من العداوة :

وحاول اليهود أن يتخلصوا من النبى - صلى الله عليه وسلم - وأرادوا اغتياله عدة مرات ، ولكن الله أنجاه من شرهم ، فتارة يتآمرون لالقاء صخرة فوقه وهو جالس تحت جدار من جُدُرهم ، وتارة يدسون له السم فى الطعام ، وغير ذلك من صنوف المكر والتآمر ، وكان الله يحرسه ويرعاه وينبهه الى مايضمرون ويكيدون ، وحين وضع السم له فى الشاة ، قال - صلى الله عليه وسلم - ان لحم هذه الشاة يخبرنى أنه مسموم .. ولفظ ماكان قد وضعه فى فمه .

---

(١٨٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٥٣ ط دار الشعب

وحين يئسوا من النيـل منه احتالوا لإمراضه عن طريق السحر . فقد ذكر الرواة أن من أسباب نزول المعوذتين أن لبيد بن الأعصم اليهودى احتال عن طريق غلام يهودى كان يخدم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أن يأخذ شيئا من شعر رأسه ، ويضعه فى مشطه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصنع سحرا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودفنه فى بئر فأخبر جبريل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك فأمر باستخراجه .

أخبر السيوطى فى كتابه أسباب النزول قال : أخرج البيهقى فى دلائل النبوة من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : مرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرضا شديدا فأتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه : ماترى ؟

قال : طُبّ .

قال : وماطُب ؟

قال : سُحر .

قال : ومن سحره ؟

قال : لبيد بن الاعصم اليهودى .

قال : أين هو؟

قال : فى بئر آل فلان ، تحت صخرة فى كربة ، فائتوا البئر فانزحوا ماءها ، وارفعوا الصخرة ، ثم خذوا الكربة وأحرقوها . فلما أصبح رسول

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث عمار بن ياسر فى نفر ، فأتوا البئر ، فاذا ماؤها مثل ماء الحناء ، فنزحوا الماء ، ثم رفعواالصخرة ، وأخرجوا الكربة وأحرقوها ، فاذا فيها وتر فيه احدى عشرة عقدة ، ثم أنزلت على رسول الله المعوذتان فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ (١٨٣)

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ (١٨٤)

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل أيضا من طريق جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال : صنعت اليهود لرسول الله ـ ﷺ ـ شيئا فأصابه من ذلك وجع شديد . . ودخل عليه أصحابه وهم فى جزع وخوف فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوذه بهما فخرج إلى أصحابه صحيحا . (١٨٥)

---

( ١٨٣ ) سورة الفلق
( ١٨٤ ) سورة الناس
( ١٨٥ ) أسباب النزول للسيوطى ص ١٨٦

ويذكر الحلبى فى سيرته أن لبيد بن الأعصم أخذ أجرا لما فعله من اليهود ثلاثة دنانير ، وأن البئر التى دفن فيها السحر هى بئر « ذى أروان »

ولاينافى ذلك ماورد من أن الله عصم نبيه من الناس ، فإن ذلك إنما هو من القتل . أما الأذى فقد صح أن النبى - ﷺ - قد تعرض لأذى المشركين وغيرهم ، وهذا لون من الأذى الذى تعرض له .

## محاولات أخرى من الكيد

كان شاس بن قيس وهو يهودى أعماه تعصبه لليهودية عن إبصار طريق الحق والرشاد ، مع تيقنه الشديد بأن النبى - ﷺ - هو النبى الذى أخبرت به التوراة .

وحاول شاس بكل ماأوتى من قوة أن يصرف الناس عن الهدى والايمان ، وكانت محاولاته الدائبة تنتهى بالفشل . ولما يئس من ذلك فكر فى طريقة أخرى هى إثارة الخلاف بين المسلمين .

لقد هاله أن يرى الأوس والخزرج وقد توحدت الكلمة بينهم ، وصاروا إخوة متحابين بعد أن كانوا أعداء متنافرين ، فانتهز فرصة وجدهم فيها مجتمعين معا يتحدثون ، فجلس بينهم ، وقيل إنه أغرى واحداً من أتباعه أن يجلس بينهم ويجاريهم فى الحديث حتى يذكرهم بيوم بعاث وماجرى ففيه من قتال وماقيل حوله من أشعار - والمعروف أن يوم بعاث هو موقفه انتصر فيها الأوس على الخزرج - وظل اليهودى يتحدث فى ذلك حتى خاض القوم فى أشعارهم ، فقال قائل من الأوس : قد قال شاعرنا كذا ، ورد عليه آخر

من الخزرج بقوله : بل قال شاعرنا كذا ، وتحركت النفس البشرية كمايتحرك الماء المغلى . وأثيرت الضغائن التى أطفأها الاسلام بنوره .. ونجح هذا اليهودى الخبيث فى أن يوقظ الفتنة التى كانت نائمة ، فتنازع القوم المتآلفون ، وتواعدوا على المقاتلة قائلين : تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت ، ونادى رجل من الأوس : فقال ياللأوس ، ورد عليه خزرجى فقال : ياللخزرج ..

فأسرع كلٌ إلى تلبية المنادى ، واصطفوا للقتال .. وبلغ الأمر النبى - ﷺ - : فجاء سريعا ومعه المهاجرون ، ووقفوا بين القوم . ثم قال النبى - ﷺ - يامعشر المسلمين ، الله ، الله ، أدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ بعد أن هداكم الله الى الاسلام ، وألفكم به ، وقطع عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم من الكفر ، وألف بينكم بالإسلام ؟

فماكان أقصرها من كلمة تلكك التى قالها الرسول ، ولكن ماأبلغها وماأعظم أثرها ! !

لقد أبصر القوم ، وتنبهوا . وأدركوا أنها نزعة من الشيطان ومن كيد عدوهم .. فألقوا السلاح ، وأقبلوا يتعانقون ويعتذر بعضهم لبعض وصدق الله - تعالى إذ يقول :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (١٨٦)

---

(١٨٦) الأعراف ٢٠١

ولم يسكت القرآن عن فضح ذلك الخبيث الذى سولت له نفسه أن يفصم العلائق الطيبة بين الناس ، ويعكر الجو الصافى الذى صنعه الاسلام وجعل الناس يتنفسون فيه عبير السلام والأمن والصفاء ،(١٨٧) فنزل قوله - تعالى -

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾
قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن
تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ
تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم
بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ
تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾(١٨٨)

### أمثلة من تحديهم

كان اليهود يحاولون إحراج النبى - ﷺ - بالاسئلة ، ظنا منهم أنهم بذلك

---

(١٨٧) أسباب النزول للسيوطى ص ٤١

(١٨٨) آل عمران ٩٨ : ١٠٣

يحملونه على التقول بالباطل ، أو العجز عن الاجابة ، وكأنهم لايدرون أن الله وراءه يسدده ويلهمه ويوحى إليه ، ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يلقنون المشركين أسئلة ليلقوها على النبى - ﷺ - على سبيل التحدى ، وقد مر بنا قبل ذلك كيف أن المشركين استعانوا باليهود ، وأرسلوا لهم من مكة يسألونهم ، فلقنوهم بعض الأسئلة وطلبوا منهم أن يوجهوها للنبى - ﷺ - ومن ذلك سؤال عن ذى القرنين ، وسؤال عن أهل الكهف وسؤال عن الروح .

وقيل : إن سؤال الروح وجهه يهود المدينة للنبى - ﷺ - بعد هجرته إليها .

فقد روى ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : كنت أمشى مع النبى - ﷺ - فى حرث المدينة يتوكأ على عسيب - جريدة نخل - إذ مر بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : لاتسألوه لئلا يسمعكم ماتكرهون - أى يجيبكم بماهو دليل عندكم على أنه النبى الأمى وأنتم تنكرون نبوته - فقاموا إليه ، فقالوا : يامحمد ، ماالروح ؟ فسكت .

قال ابن مسعود : فعرفت أنه - ﷺ - يوحى إليه . فقال :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (١٨٩)

---

( ١٨٩ ) الاسراء ٨٥

وقد تحدثنا عن ذلك فيماسبق ..

فماأشبه اليهود بالمشركين فى موقفهم من النبى - ﷺ - وموقفهم من القرآن . ولئن كان اليهود أهل كتاب إلا أنهم رموا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا ، وصموا آذانهم عن دعوة الحق ، وغيروا وبدلوا فيما أنزل الله ، وزعموا أن محمداً - ﷺ - جاء بما جاء به من عنده ، لم يرسله الله ولم يبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ..

واذا كان المشركون قد تحدوا النبى - ﷺ - بطلب الأيات فقد تحداه اليهود أيضا طالبين منه الاجابة عن أسئلة يحاولون تعجيزه بها . وكانوا يقفون من أخبار القرآن موقف المعارض ، وقد رأينا كيف سخروا من قوله - تعالى -

« من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا »

وكيف رد الله عليهم وكذبهم وفضح أساليبهم ..

وقد وقف المشركون نفس الموقف من آيات كثيرة ومن ذلك موقفهم من آيات سورة الروم .

وقصة ذلك . أنه حين ظهرت فارس على الروم وكان ذلك قبل الهجرة فرح المشركون وهللوا ، فقد سرهم أن يظهر قوم مشركون على قوم من أهل الكتاب .. فأنزل الله قوله تعالى -

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ

وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ (١٩٠)

ولنستعرض ماذكره القرطبى حول هذه الآيات .

قال : كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب . فذكروا ذلك لأبى بكر ، فذكره أبو بكر لرسول الله - ﷺ - فقال : أما إنهم سيغلبون .

ونزلت الآيات المتقدمة . فخرج بها أبو بكر إلى المشركين ، فقال : أسركم أن غُلِبَت الروم ؟ فإن نبينا - ﷺ - أخبرنا عن الله تعالى - أنهم سيُغْلَبُون فى بضع سنين .

فقال له أبىّ بن خلف وأخوه أمية ، وأبو سفيان بن حرب : فلنتراهن فى ذلك ياأبا بكر .

فراهنهم أبو بكر - رضى الله عنه - وكان ذلك قبل أن يحرم القرآن ذلك .. وجعلوا الرهان خمس قلائص(١٩١) ، والأجل ثلاث سنين .

ثم أتى النبى - ﷺ - صلى الله عليه وسلم - فأخبره ، فقال النبى - ﷺ - فهلا احتطت فإن البضع مابين الثلاث والتسع والعشر ، ارجع فزدهم فى الرهان واستزدهم فى الأجل ففعل أبو بكر .

---

(١٩٠) الروم ١ : ٥

(١٩١) القلائص جمع قلوص ، وهى الفتية من الإبل

فجعلوا القلائص مائة ، والأجل تسعة أعوام . . فغلبت الروم فى أثناء الأجل . ظهروا فى السنة التاسعة ، وقيل فى السنة السابعة من غزو فارس للروم .

وحين انتشرت الهجرة بين المسلمين من مكة الى المدينة ، خشى أبى بن خلف أن يهاجر أبو بكر ـ فذهب إليه ، وقال له : أعطنى كفيلا بالرهن إن غُلبت ، فكفل به ابنه عبد الرحمن . .

فلما أراد أُبَىّ الخروج إلى أحد طالبه عبد الرحمن بالكفيل لأنه قد يموت فى الحرب فأعطاه كفيلا ، ثم مات أبىّ بمكة من جرح أصابه فى أثناء القتال . .

وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية؛ بعد تسع سنين .

قال الشعبى : لم تمض تلك المدة حتى غلبت الروم فارس ، وربطوا خيلهم بالمدائن . وخسر أبىّ بن خلف الرهان ، وأخذ أبو بكر المال من ورثته .

فقال له النبى ـ ﷺ ـ : تصدق به ، فتصدق به .

أما سبب غلبة الروم ـ فقد ذكر الرواة أن امرأة فى فارس كانت لاتلد إلا الفرسان الأبطال ، فقال لها كسرى : أريد أن أستعمل أحد بنيك على جيش أجهزه إلى الروم .

فقالت له :

هذا هرمز أروغ من ثعلب وأحذر من صقر .

وهذا فرخان أحد من سنان وأنفذ من نبل .
وهذا شهر بزان أحلم من كذا ، فاختر .

فاختار الحليم وولاه ، فسار إلى الروم بأهل فارس ، فظهر على الروم ، فلما ظهر عليها خرب ديارها حتى بلغ الخليج . . وقد ملّكه كسرى على البلاد التى استولى عليها . . فقال له أخوه فرخان بعد فترة من ولايته . . لقد رأيتنى جالسا على سرير كسرى . فبلغ ذلك كسرى فكتب كسرى الى شهر بزان : أرسل إلىّ برأس فرخان ، فلم يفعل ، فكتب كسرى إلى جيش فارس : إنى قد استعملت عليكم فرخان وعزلت شهر بزان ، وكتب إلى فرخان إذا ولى أن يقتل شهر بزان .

فأراد فرخان قتل شهر بزان ، فأخرج له شهر بزان ثلاث صحائف من كسرى يأمره ففيها كلها بقتل فرخان .

وقال شهر بزان لفرخان : ـ إن كسرى كتب إلىّ ثلاث مرات أن أقتلك وراجعته دائما فى أمرك ، أفتقتلنى أنت بكتاب واحد ؟

فرد الولاية إلى أخيه ، وكتب شهر بزان الى قيصر ملك الروم ، فتعاونا على كسرى ، فغلبت الروم فارس ومات كسرى .

وجاء الخبر الى النبى ـ ﷺ ـ يوم الحديبية ففرح وفرح من معه من المسلمين وتحقق ماجاء فى القرآن الكريم .

وفرح المؤمنون بنصر الله الذى تحقق لهم أيضا ، بصلح الحديبية الذى كان فتحا مبينا لهم ،

لقد فرح المؤمنون بصدق القرآن كما فرحوا باستتباب الأمن مؤقتا بينهم وبين قريش ، وقد مكن لهم ذلك القيام بدعوتهم فى هدوء وسلام . .

وقد ذكرنا هذه القصة هنا مع أنها تتعلق بمشركى قريش وموقفهم من الدعوة ، لإثبات التشابه بين موقف اليهود والمشركين من الدعوة ، ولأنها قصة شهدت مرحلتين من مراحل الدعوة بعضها فى مكة وبعضها فى المدينة المنورة .

وقد يسأل سائل عن سبب وجود عبد الرحمن بن أبى بكر فى مكة مع أن أباه كان قد هاجر الى المدينة بصحبة الرسول - ﷺ - والاجابة عن ذلك أن عبد الرحمن لم يكن قد أسلم بعد ، وقد شهد مع الكفار موقعتى بدر وأحد ، ولم يُسْلِم إلا فى هدنة الحديبية ، وكان قد دعا أباه الصديق الى المبارزة فى موقعة بدر ، فهم أبوه بمبارزته ، ولكن النبى - ﷺ - منعه . . . (١٩٢)

## تأبى اليهود على الايمان

وعلى الرغم من أن النبى - ﷺ - كان يجيب اليهود على أسئلتهم إلا أنهم كانوا يزدادون ابتعادا عن الاسلام . مع تيقنهم بصدق هذه الإجابة وتوافقها مع ماجاء فى كتبهم .

جاءه يهوديان يوما فسألاه عن قوله - تعالى -

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ (١٩٣)

---

(١٩٢) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٣ ص ٤٦٦

(١٩٣) الاسراء ١٠١

يسألاه عن الآيات التسع ..

فقال - ﷺ - لهما :

لاتشركوا بالله شيئا

ولاتزنوا

ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق

ولاتسرقوا

ولاتسحروا

ولاتمشوا ببرىء الى سلطان

ولاتأكلوا الربا

ولاتقذفوا محصنة

وعليكم يايهود خاصة ألا تعتدوا فى السبت

فقبلا يديه ورجليه - وقالا : نشهد أنك نبى .

قال : مايمنعكما أن تسلما ؟

فقالا : نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا يهود[١٩٤]

## اسلام بعض اليهود

ولكن بعض اليهود لم يمنعهم كِبْر غيرهم وحسدهم عن الاعتراف بالحق وإعلان إسلامهم .

من هؤلاء عبد الله بن سلام .

ويحكى لنا ابن هشام فى سيرته قصة إسلامه فيقول :

---

( ١٩٤ ) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٢

كان عبد الله بن سلام ـ حبرا عالما ـ وكان اسمه قبل إسلامه الحصين . . وهو ابن سلام بن الحارث الاسرائيلى من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام[195] ـ حدث عن نفسه فقال :

لما سمعت برسول الله ـ ﷺ ـ عرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوقع له ، فكنت كاتما لذلك السر صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة ، فلما نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف ، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدة ابنة الحارث تحت النخلة جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ـ ﷺ ـ كبَّرت . .

فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى : خيبك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً مازدت على ذلك .

قال : قلت لها ، أى عمة ، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بعث بمابعث به .

قال : فقالت ، أى ابن أخى ، أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع قرب الساعة ؟

قال : فقلت لها : نعم .

فقالت : فذاك إذن .

قال : ثم خرجت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهل بيتى ، فأمرتهم فأسلموا .

---

( ١٩٥ ) أسد الغابة ج٣ ص ٢٦٤

قال : وكتمت إسلامى من يهود ، ثم جئت رسول الله - ﷺ - فقلت له : يارسول الله ، إن يهود قوم بُهْت ، وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك ، وتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى ، حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى ، فإنهم إن علموا به بهتونى وعابونى . .

قال : فأدخلنى رسول الله - ﷺ - فى حجـرة ، ودخل اليهود عليه فكلموه وساءلوه ، ثم قال لهم ، أى رجل - الحصين بن سلام فيكم ؟

قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا وعالمنا .

قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم : يامعشر يهود ، اتقوا الله ، واقبلوا ماجاءكم به هذا النبى فوالله إنكم لتعلمون انه لرسول الله ، تجدونه مكتُوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته ، فإنى أشهد أنه رسول الله - ﷺ - وأومن به وأصدقه وأعرفه .

فقالوا : كذبت ثم وقعوا بى .

قال : فقلت لرسول الله - ﷺ - : ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بُهْت ، أهل غدر وكذب وفجور ؟

قال : فأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتى ، وأسلمت عمتى خالدة بنت الحارث فحسن إسلامها .(١٩٦)

---

(١٩٦) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٧

ونزل في إسلام عبد الله بن سلام قوله - تعالى -

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[١٩٧]

ونزل فيه أيضا قوله - تعالى -

**« قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب »[١٩٨]**

وأبلى عبد الله بن سلام فى الاسلام بلاء حسنا ، وكان من المدافعين عن عثمان يوم الدار .

روى ابن الأثير فى أسد الغابة قال : لما خرج قوم على عثمان - رضى الله عنه - جاء عبد الله بن سلام فقال له عثمان : ماجاء بك ؟

قال : جئت فى نصرك .

قال عثمان : اخرج إلى الناس فاطردهم عنى يجزيك الله خيرا . .

فخرج عبد الله إلى الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه كان اسمى فى الجاهلية هو فلان ، فسمانى رسول الله - ﷺ - عبد الله ، ونزلت فىَّ آيات من كتاب الله - عز وجل - نزل فىَّ « وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم » ونزل فىَّ « قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » .

---

( ١٩٧ ) الأحقاف ١٠

( ١٩٨ ) الرعد ٤٣

إن لله سيفا مغمودا عنكم ، وان الملائكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه رسول الله - ﷺ - فالله الله فى هذا الرجل أن تقتلوه ، فوالله لئن قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة ، ولَيَسلَنَّ سيف الله المغمود عنكم ، فلايغمد إلى يوم القيامة .

قالوا : اقتلوا اليهودى ، واقتلوا عثمان .

وفى حق عن عبد الله بن سلام روى الترمذى هذا الخبر : قال : لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له : ياأبا عبد الرحمن أوصنا . فقال : أجلسونى - فأجلسوه - فقال : إن العلم والايمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما ، فالتمسوا العلم عند أربعة : عند عويمر أبى الدرداء ، وعند سلمان الفارسى ، وعند عبد الله بن مسعود ، وعند عبد الله بن سلام الذى كان يهوديا فأسلم ، فإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : إنه عاشر عشرة فى الجنة .(١٩٩)

## اسلام زيد بن سَعْنة

ومن أخبار اليهود الذين أسلموا زيد بن سَعْنَة ، كان من أكثر اليهود مالا . ويحكى قصة إسلامه قائلا :

لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته فى وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه وهما :-

أن حلمه يسبق غضبه ، وأن شدة الجهل عليه لا تزيده إلا حلماً .

---

(١٩٩) أسد الغابة ج٣ ص ٢٦٤

فكنت أتلطف له لأخالطه وأعرف ذلك منه ..

قال : فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ يوما من الأيام ومعه على بن أبي طالب، فأتاه رجل على راحلته كالبدوى ، فقال : يارسول الله ، إن قرية بنى فلان قد أسلموا ، وقد أصابتهم سنة وشدة ، فإن رأيت أن ترسل اليهم بشيء وتعينهم به فعلت .

فلم يكن معه شيء ..

قال زيد : فدنوت منه فقلت : يامحمد إن رأيت أن تبيعنى تمرا معلوما من حائط بنى فلان إلى أجل كذا وكذا .

فقال : لاياأخا يهود ، ولكن أبيعك تمرا معلوما الى أجل كذا وكذا ولا أسمى لك حائط بنى فلان .

فقلت : نعم ، فبايعنى وأعطيته ثمانين دينارا . فأعطاها الرجل .

قال زيد : فلما كان قبل حلول الأجل خرج رسول الله ـ ﷺ ـ فى جنازة رجل من الأنصار ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فى نفر من أصحابه ، فلما صلى على الجنازة أتيته ، فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ . ثم قلت : ألا تقضى لى يامحمد حقى ؟

ووجه اليه كلاما غليظا يفهم منه أن بنى عبد المطلب كلهم قوم مُطْل .

قال زيد : فنظر إلى عمر وعيناه تدوران فى وجهه ـ كناية عن الغضب ـ ثم قال : أى عدو الله ، أتقول لرسول الله ـ ﷺ ـ ماأسمع ؟

فوالله الذى بعثه بالحق لولا ماأحاذر فوته لضربت بسيفى رأسك .

هذا ورسول الله - ﷺ - ينظر إلى عمر فى سكون وتبسم ، ثم قال : ياعمر أنا وهو إلى غير هذا منك أحوج ، أن تأمره بحسن الاقتضاء ، وتأمرنى بحسن القضاء ، اذهب به ياعمر فاقضه حقه ، وزده عشرين صاعا مكان ماروعته .

عند ذلك تبين لزيد وجود هاتين العلامتين اللتين كان يبحث عنهما فى النبى - ﷺ - صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه .[200]

ويذكر العلماء أيضا أن من أسباب نزول قوله - تعالى -

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [201]

القصة الآتية التى يرويها القرطبى - رحمة الله فى تفسيره قال :

قال الكلبى : لما ظهر رسول الله - ﷺ - بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار الشام ، فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه : ماأشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى آخر الزمان .

فلما دخلا على النبى - ﷺ - عرفاه بالصفقة والنعت .

فقالا له : أنت محمد ؟

(٢٠٠) أسد الغابة ج ٢ ص ٢٨٨

(٢٠١) آل عمران ١٨

قال : نعم

قالا : وأنت أحمد ؟

قال : نعم

قالا : نسألك عن شهادة ، فان أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك .

فقال لهما رسول الله ـ ﷺ ـ : سلا ماتريدان .

فقالا : أخبرنا عن الأعظم شهادة فى كتاب الله .

فأنزل الله ـ تعالى ـ على نبيه ـ ﷺ ـ « شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط »

فأسلم الرجلان وصدقا برسول الله ـ ﷺ ـ(٢٠٢)

وقد ذكر على بن برهان الدين الحلبى فى كتابه « السيرة الحلبية » أيضا هذه القصة . . وقد علق القرطبى على هذه الآية الكريمة تعليقا يبين شرف العلم وفضله ، قال : والدليل على ذلك أن الله قرن أولى العلم بالملائكة فى الشهادة مع الله جل وعلا بأنه لا إله إلا هو جلت حكمته وعظمت قدرته واتسعت رحمته .

وذكر فى فضل هذه الآية قصة قال :

روى غالب القطان قال : أتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الأعمش ، فكنت أختلف إليه ، فلما كان ليلة أردت أن أنحدر الى البصرة قام فتهجد من الليل ، فقرأ بهذه الآية

---

(٢٠٢) تفسير القرطبى ج ٤ ص ٤١ ط دار الكتب

**« شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم . ان الدين عند الله الاسلام »**

قال الأعمش : وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى وديعة ، وان الدين عند الله الاسلام ـ قالها مرارا ـ فغدوت إليه وودعته ، ثم قلت : إنى سمعتك تقرأ هذه الآية فما بلغك فيها ؟ أنا عندك منذ سنة لم تحدثنى بشىء من ذلك .

قال الأعمش : والله لاأحدثك بذلك قبل سنة .

قال : فحرصت على معرفة ذلك وكتبت على بابه ذلك اليوم ، فلما مضت السنة قلت :

ياأبا محمد قد مضت السنة . فحدثنى عن فضل هذه الآية . .

قال الأعمش : حدثنى أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ـ تعالى ـ :

**« عبدى عهد إلىّ وأنا أحق من وفّى أدخلوا عبدى الجنة »**

فانظر إلى حرص العلماء على التعلم ، ودقتهم فى اختبار المتعلمين ، فالأعمش لم يلق علمه جزافا حتى عرف صدق تلميذه فى طلبه ، وغالب القطان صبر عاما ليحصل على حديث من أستاذه ولم يمل أو يتحول .

هو درس نهمس به فى آذان أهل العلم اليوم ، ونذكرهم بقول الجرجانى :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم   ولو عظموه فى النفوس تعظما
ولكن أذلوه جهاراً وسودوا   محياه بالأطماع حتى تجهما

## قصة مخيريق

ومن أصاخ لدعوة الحق من اليهود ، واستجاب لأمر الله على الرغم من معارضة الأحبار ووقوفهم بكل قوة فى طريق من يريد الاسلام « مخيريق » يقول عنه ابن هشام : كان حبرا عالما ، وكان رجلا غنيا كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله ـ ﷺ ـ بصفته ، ومايجد فى علمه . وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك حتى كان يوم أحد ـ وكان هذا اليوم يوم سبت ـ واليهود لايعملون شيئا يوم السبت ـ قال : يامعشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق .

قالوا : إن اليوم يوم السبت .

قال : لا سبت لكم ، ثم أخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسول الله ـ ﷺ ـ بأحد .

وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتل هذا اليوم فأمواله لمحمد ـ ﷺ ـ يصنع فيها ماأمره الله .

فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل ، فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : مخيريق خير يهود .

وَقَبَضَ رسول الله ـ ﷺ ـ أمواله ، فعامة صدقات رسول الله ـ ﷺ ـ بالمدينة منها .(٢٠٣)

---

(٢٠٣) سيرة ابن هشام ج٢ ص ٢٧٢

### اليهود والمعاهدة

لقد كانت الصحيفة التى كتبها النبى - ﷺ - عهدا وثيقا يلزم هؤلاء اليهود حدوداً لايتعدونها فى معاملة أهل المدينة ، وذلك بعد أن ثبت اليهود على موقفهم وأبوا الانصياع لما تأمرهم به التوراة من ضرورة الايمان بذلك النبى الذى سيبعثه الله آخر الزمان ، والذى انطبقت أوصافه انطباقاً تاماً على النبى - ﷺ -

وهذه الصحيفة تعتبر شاهد صدق على قمة العدالة فى معاملة النبى - ﷺ - وسلم لليهود ، وقد كان بالامكان ان تؤتى هذه العدالة ثمارها الطيبة فى حسن العلاقة بين المسلمين واليهود ، ولكن اليهود تغلبت عليهم طبيعتهم المفعمة بالمكر والغدر والخديعة ، وتلك صفات بارزة ماتزال لصيقة بهم حتى وقتنا هذا . وماهى الا فترة وجيزة حتى ضاقوا ذرعا بما تضمنته هذه المعاهدة من نصوص ، فخرجوا على النبى - ﷺ - بألوان من الغدر والخيانة ، اضطرت النبى - ﷺ - لمحاربتهم وإجلائهم عن المدينة ، وسيذكر ذلك مفصلا فى موضعه المناسب إن شاء الله - تعالى .

### الخبث اليهودى يتمثل فى كعب بن الاشرف

لم يترك اليهود سببا يتصل بإيذاء المسلمين فى المدينة الا تمسكوا به ، وقد كانوا يتوقعون ويأملون حين يلتقى المشركون بالمسلمين فى معركة أن ينهزم المسلمون ، وتنطوى صفحة الاسلام فى المدينة ، ويُقْضى على هذا النبى الذى جاء ليزلزل الأرض من تحت أقدامهم ، وينزلهم عن عروشهم التى

تربعوا عليها ملوكا غير متوجين بيدهم الأمر والنهى فى المدينة وماحولها .

ولكنهم فوجئوا بالنتيجة التى انتهت اليها معركة بدر . وبالهزيمة المنكرة التى حاقت بقريش . لقد كانوا بالأمس القريب يزفون الى بعضهم بشرى التخلص من هذا الدين الذى ناءت به كواهلهم ومن هذا الثقل الاسلامى الذى جثم على صدورهم . فاذا بهم اليوم يجدون هذا الثقل قد تضاعف بانتصار المسلمين .

لقد ظنوا أن فى قدوم قريش مفتاح الفرج ، فاذا بهذا المفتاح قد تكسرت أسنانه وضاع الأمل المنتظر . .

وكان من اليهود رجل اسمه كعب بن الأشرف أصله من طيىء ، وكانت أمه من يهود بنى النضير . هاله مارأى من انتصار محمد ـ ﷺ ـ وصحبه ، وماسمع من أخبار نصر المسلمين على قريش .

وكان النبى ـ ﷺ ـ قد أرسل بشيرين يخبران أهل المدينة بنتيجة المعركة . فأرسل زيد بن حارثة إلى أهل السافلة ، وأرسل عبد الله بن رواحة الى أهل العالية ، فصاح كل منهما مبشرا بالخير .

فقال كعب بن الأشرف حين سمع نداء الرجلين لمن حوله : أحق هذا ؟ أترون أن محمدا قتل هؤلاء القرشيين وهزمهم كما يقول هذان الرجلان ؟ أترون أنه تمكن من قتل هؤلاء الصناديد من قريش كما يزعم الرجلان ؟

إن هؤلاء الذين قتلوا هم أشراف قومهم وزعمائهم ، وهم ملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الأرض خير من ظهرها . .

لقد كان يشك فى نبأ البشيرين ، ولكنه لم يلبث أن تيقن وأدراك أن الأمر حق .

فلما تيقن من ذلك لم يقر له قرار بالمدينة فخرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن وداعة بن ضميرة السهمى ، وعنده عاتكة بنت أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ، فأنزلته وأكرمته . .

وأخذ كعب بن الأشرف ـ وكان شاعرا ـ ينشد الأشعار ، ويبكى أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا ببدر ، وكان مما قاله :

**طحنت رحا بدر لمهلك أهله ولمثـل بـدر تسـتهل وتدمع**
**قتلت سراة الناس حول حياضهم لا تبعـدوا إن الملـوك تصـرع**
**كم قد أصيب به من أبيض ماجد ذى بهجـة تأوى إليـه الضُّـيَّع**

إلى غير ذلك من أشعار . .

وقد أجابه حسان بن ثابت فى قصيدة منها :

**ولقد شفى الرحمن منا سيدا وأهان قوماً قاتلوه وصرّعُوا**
**ونجـا وأفـلت منهـم من قـلبه شـغف يظـل لخـوفه يتصـدع**

## ابن الأشرف يفضل الشرك على الوحدانية

واغتنم القرشيون الفرصة فسألوا كعب بن الأشرف قائلين : أديننا خير أم دين محمد

قال ماذا تفعلون أنتم ، وماذا يفعل محمد ؟

قالوا : نحن ننحر الكوماء ، ونسقى اللبن على الماء ، ونفك العناة ،

ونسقى الحجيج ونصل الأرحام .

قال : فما ذا يفعل محمد ؟

قالوا : قطع أرحامنا وفرق بيننا ، واتبعه سراق الحجيج بنو غفار .

قال : بل أنتم خير منهم وأهدى سبيلا . .

إن دينكم خير وأقدم ، أما دين محمد فحديث .

ويقال : إنه كان معه حيى بن أخطب وأجاب بمثل ما أجاب به كعب بن الأشرف . فأنزل الله قوله تعلى ـ

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (٢٠٤)

لقد أعماه الحقد عن تبين وجه الرشد ، حتى لقد زعم أن عبادة الأوثان خير من عبادة الرحمن .

وعاد بعد ذلك كعب بن الأشرف الى المدينة حزينا ، وثار حقده الدفين على المسلمين ، فأراد أن ينفس عن حقده بقصائد غزلية ينال فيها من أعراض المسلمين . . إنه سلاح رخيص لا يلجأ إليه الا حقير وضيع . . وكان للشعر قديما أثره الشديد فى النفوس . . .

---

(٢٠٤) النساء ٥١ ، ٥٢

وقد تأذى المسلمون بسبب ذلك الشعر الخسيس ، وهو وإن كان كاذبا إلا أن هناك من المنافقين والمشركين من ينتظر ذلك الشعر ويروجه ، ويتحدث به ويظل يلوكه . .

وما دام قائل هذا الشعر حيا فسيظل مستمرا . . إذن فلابد من القضاء على المصدر لينقطع هذا الإرسال ، فقال النبى - ﷺ - : من لى بابن الأشرف ؟

فقال محمد بن مسلمة : أنا لك به يارسول الله ، أنا أقتله .

فقال النبى - ﷺ - : فافعل إن قدرت على ذلك .

فجلس محمد بن مسلمة ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يحفظ به نفسه . فذكر ذلك للنبى - ﷺ - فدعاه : فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟

فقال محمد بن مسلمة : يارسول الله . قلت قولا لا أدرى أأقدر على الوفاء لك به أم لا ؟

فقال النبى - ﷺ - : إنما عليك الجهد .

قال : يارسول الله ، إنه لابد لنا من أن نقول .

قال : قولوا ما بدالكم فأنتم فى حل من ذلك .

واستعان محمد بن مسلمة فى مهمته بسلكان بن سلامة وكنيته أبو نائلة ، وكان أخاً لكعب بن الأشرف من الرضاعة ، واستعان أيضاً بالحارث بن أوس بن معاذ ، وبأبى عيسى بن جبر . .

أصبحوا أربعة ، وتقدموا إلى كعب بن الأشرف . . وبعثوا إليه قبل أن يقدموا عليه أخاه من الرضاعة سلكان ، وكان شاعرا ، فجعل يتحدث إليه ساعة ويتناشدان الشعر . حتى اطمأن إليه ابن الاشرف تماما .

ثم قال له سلكان : ويحك يابن الأشرف ، إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى .

قال كعب : أفعل .

قال سلكان : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا بسببه العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل ، حتى ضاع العيال ، وجهد الأنفس ، وأصبحنا وقد جهدنا وجهد عيالنا .

قال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول .

فقال سلكان : إنى قد أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك .

فقال كعب : أترهنوننى أبناءكم ؟

قال سلكان : أتريد أن تفضحنا ؟ . . إن معى أصحابا لى على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن فى ذلك ، ونرهنك من الحلقة ـ أى السلاح ـ ما فيه وفاء .

وأراد سلكان من وراء ذلك أن لا ينكر ابن الأشرف السلاح إذا جاءوا به . قال كعب : إن فى الحلقة لوفاء .

فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه .

وأقبل الأربعة حتى انتهوا إلى حصن كعب بن الأشرف ، فهتف به أبو نائلة فسمع كعب الصوت فلبى ، ونهض ، وكان حديث عهد بعرس ، ووثب فى ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ محارَب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة .

ولكن الله أعماه عن تدبر قولها لقدره ـ فقال لها : إنه أبو نائلة ، لو وجدنى نائما لما أيقظنى .

فقالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشر .

فقال لها كعب وقد تمثل قول أهل الفتوة والنجدة وما أبعده عن ذلك ـ : لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب .

ونزل كعب ، فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يابن الأشرف أن نتماشى معا إلى شعب العجوز ، فنتحدث فيه بقية ليلتنا ؟ قال : إن شئتم .

فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة . . كل ذلك وأبو نائلة يظهر من الود لكعب ما يزيده اطمئنانا ووثوقا ، فجعل يضع يده على رأس كعب ثم يشمها ويقول : ما رأيت كالليلة طيبا أعطر من ذلك قط ، وأخذ يكرر ذلك ، حتى اطمأن كعب تماما ، ونسى حيطته وحذره .

ومد أبو نائلة يده مرة أخرى حتى أخذ برأس ابن الأشرف ، ثم قال :
اضربوا عدو الله ، فضربوه .
ومازالوا به حتى أجهزوا عليه .

وأصاب سيف أحدهم الحارث بن أوس بن معاذ وهو واحد منهم ، فنزف دمه ، فأبطأ فى المشى ، فاحتمله أصحابه ومضوا به ، حتى وصلوا إلى رسول الله - ﷺ - آخر الليل ، وهو قائم يصلى فسلموا عليه . . قال محمد ابن مسلمة : فخرج الينا رسول الله - ﷺ - فأخبرناه بقتل عدو الله . ورأى جرح الحارث فمسح عليه فبرأ بقدرة الله تعالى . .

قال : وأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه . . وكان كعب حين طعن قد صاح صيحة منكرة سمعت فى حصون اليهود .

وقد سجل الشعر هذه الواقعة ، فقال كعب بن مالك :

**فغـودر منهـم كعب صريعا فذلـت بعـد مصرعه النضير**
**على الكفيـن ثَمَّ وقد علتـه بأيدينـا مشـهرَةٌ ذكـورَ**

كما سجَّل حسان ذلك أيضا فى قصيدة له[٢٠٥]

لقد كان جزاء كعب بن الأشرف من جنس عمله ، فقد استطار شره ، ولجأ الى سلاح حقير هو سلاح الشعر الذى شهر فيه بأعراض المسلمات وأخذ يبث سمومه هنا وهناك ، وينتقل بين مكة والمدينة يحرض الكفار والمشركين

---

( ٢٠٥ ) راجع هذه الواقعة فى سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٣٠ ط دار التحرير

على المسلمين . إنه جرثومة شر لابد من التخلص منها حتى لا تسرى عدواها وينتشر أذاها . ولم يكن هناك غير هذه الطريقة فى التخلص منه . . .

ثم إنه كان يقوم بهذا الأمر دون أن يظاهره قومه عليه ، ولو ظاهروه لأعلن المسلمون الحرب عليهم ، ولكنه كان وحده ، إلاّ أن الشر الناجم عنه وعن لسانه كبير فأصبح من اللازم أن توجد الطريقة التى تقطع هذا اللسان وتكفه إلى الأبد عن الأذى . . وكان فى التخلص منه عبرة لغيره ، ودرس يتعلم منه كل من تسول له نفسه النهش فى أعراض الناس وتشويه سمعتهم ، واذاعة الشر والباطل بين المسلمين فيكف كل فاسد نفسه عن الشر والأذى ، ويقف عند الحدود التى يجب أن لا يتجاوزها . .

## لا يغنى حذر من قدر

ولم تغن حيطة اليهود البالغة من أن يصيبهم قدرهم المحتوم . فقد تعود اليهود أن يقيموا من بيوتهم حصونا مانعة ، فى معزل عن بيوت غيرهم . . . . والمشاهد لأحوالهم فى المدن التى يقيمون فيها يرى أنهم يتجمعون دائما فى أحياء منعزلة خاصة بهم ، توارثوا ذلك منذ القدم . . وقد أخذ الوجود اليهودى داخل المجتمعات القديمة والوسيطة أشكالا متعددة ، فهم فى المدينة لهم أحياء خاصة بهم يضم كل حى منها قوما تربطهم قرابة قريبة ، فهؤلاء بنو قينقاع ، وهؤلاء بنو النضير ، وهؤلاء بنو قريظة . . وهكذا . .

وانتقل ذلك إلى أبنائهم عبر العصور ، فقد عرف فى مصر ، ما يسمى بحارة اليهود : وعرف فى اليمن ما يسمى بقاعة اليهود أو المسبتة ـ نسبة ليوم السبت ـ وعرف فى المغرب حى خاص باليهود اسمه الملاح .

أما فى أوربا فمناطق الانعزال اليهودى تأخذ أسماء متعددة . . منها « الشتتل » أى المدينة الصغيرة التى تضم عددا خاصا من اليهود يتراوح بين ألف وعشرين ألفا .

و« القاهال » وهى تعنى حشد طائفة كبيرة من اليهود فى مكان واحد فى احدى المدن ، لها حكم ذاتى فيما بينها

و« الجيتو » وهو أشهر الأشكال الانعزالية اليهودية ، وهو عبارة عن حى أو شارع يخصص لإقامتهم فى المدينة التى يوجدون فيها .

يقول أحدهم وهو إسرائيل ابراهامز : قبل أن تصبح السكنى فى مكان محدد أو فى « الجيتو » أمرا إجباريا كان اليهود أينما وجدوا يتجمعون فى أماكن منعزلة بالمدن التى يعيشون فيها .

إن وراء انعزالهم شعورا باطنيا بالخوف والقلق والريبة والحذر ، وفى الوقت نفسه يوجد فى داخلهم شعور بالتعالى وأنهم من طبقة مختارة مفضلة على غيرها ، فلا ينبغى لهم أن يختلطوا بغيرهم من البشر . . إنهم يقولون عن أنفسهم أنهم شعب الله المختار . . خلقهم الله أسياداً وخلق غيرهم عبيداً لهم . فكيف يختلط السادة بالعبيد ؟

كأن الله خلقهم من طينة خاصة ، أو كأنهم يعبدون ربا وإلها غير الذى يعبده غيرهم .

وهذه قمة الشرك . . وما أوصاهم موسى ولا هارون بذلك ، ولكنه اختراع اخترعوه ، ورجس ارتكبوه .

وبالرغم من أن الدين اليهودى دين سماوى يحتوى فى أصله الذى لم يحرف على التعاليم السماوية التى تحض على الخير وتنبذ الشر إلا أن المحاولات التى تمت على يد حاخامات اليهود بعد أن تم تدوين التراث الشفهى اليهودى ( التلمود ) أدخلت إلى الدين اليهودى مجموعة من الأفكار المحورية البعيدة عن الدين ، خلقت عند اليهود استعدادا للانعزال عن الآخرين وعمقت بعض العقائد لدى اليهود مثل عقيدة : شعب الله المختار ، والشعب المقدس ، وغيرها من العقائد التى أكدت مع مرور الأجيال انفصالية اليهود وإحساسهم بالتميز والتفرد . . » (٢٠٦)

وقد رأينا فى قصة كعب بن الأشرف كيف كان يقيم فى حصن بعيد ، وسط حصون يهودية أخرى ، وكذلك كان الشأن فى بقية أقوام اليهود فى ذلك الزمان . .

وما برحت هذه الانعزالية شأنهم حتى يومنا هذا . . وماأغنت عنهم انعزاليتهم التى مبعثها الحذر شيئاً فى القديم ، ولن تغنى عنهم ـ إن شاء الله شيئاً فى تلك العصور تصديقاً لوعد الله يقول سبحانه وتعالى :

---

( ٢٠٦ ) الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية د / رشاد عبد الله الشامى ص ٢١ ـ عالم المعرفة

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (٢٠٧)

ووعد الآخرة هو المشار إليه فى أول سورة الاسراء بقوله تعالى :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ (٢٠٨)

## قصة أبى ياسر اليهودى

حدث ابن هشام قال :

مر أبو ياسر بن أخطب على النبى - ﷺ - فسمعه يتلو قوله - تعالى -

« الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »(٢٠٩)

فأتى أخاه حُيىّ بن أخطب فى رجال من يهود فقال : تعلموا والله قد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه « الم ذلك الكتاب » فقالوا : أنت سمعته ؟ قال : نعم -

فمشى حيى بن أخطب فى أولئك النفر من يهود إلى رسول الله - ﷺ - فقالوا : يامحمد ، لقد ذُكِرَ لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك « الم ذلك الكتاب »

---

(٢٠٧) الاسراء ١٠٤
(٢٠٨) الاسراء ٧
(٢٠٩) البقرة ١ ، ٢

فقال رسول الله - ﷺ - : نعم

قالوا : أجاءك بها جبريل من عند الله ؟

فقال : نعم .

قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، وما نعلم أنه بين لنبى منهم مدة ملكه وأجل أمته غيرك .

ثم قال حيى بن أخطب - وقد أقبل على من معه « الم » : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهى إحدى وسبعون سنة - أفتدخلون فى دين إنما مدة ملكه وأجل أمته احدى وسبعون سنة ؟

ثم أقبل على رسول الله - ﷺ - فقال : يامحمد ، هل مع هذا غيره ؟

فقال : رسول الله - ﷺ - نعم

قال : ماذا ؟

قال : ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ ﴾ (٢١٠)

قال حيى : والله هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، هل مع هذا يامحمد غيره ؟

قال : نعم

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾ (٢١١)

---

( ٢١٠ ) أول الاعراف

( ٢١١ ) أول يونس

قال : هذه والله أثقل وأطوال ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان . هل مع هذا غيره يامحمد ؟
قال : نعم

﴿ الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ (٢١٢)

قال حيى : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتان سنة .

ثم قال : التبس علينا أمرك يامحمد حتى ما ندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا ، ثم قاموا عنه ـ

فقال أبو ياسر لأخيه حيى بن أخطب ولمن معه من الأحبار : ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد ، احدى وسبعون ، واحدى وستون ومائة واحدى وثلاثون ومائتان ، واحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة ، فقالوا : قد تشابه علينا أمره .

فنزل قوله ـ تعالى

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ ﴾ (٢١٣)

---

(٢١٢) أول الرعد (٢١٣) آل عمران ٧

## آراء بعض العلماء فى أوائل السور

رأينا كيف فسر حيى بن أخطب الحروف الواردة فى أوائل سور القرآن تفسيرا عدديا حسب زعمه وهواه . .

وقد كثر القول فى تفسير فواتح السور ، واختلف العلماء حول مدلولها . ومن الأقوال فى ذلك ، أنها كلمات سيقت على سبيل التحدى للكفار ، وأن الله ـ سبحانه ـ وتعالى أراد أن يقول للعرب البلغاء : هذا الكلام الذى أعجزكم أن تأتوا بآية من مثله إنما هو من قبيل الحروف التى يتألف منها بيانكم وهى الألف واللام والميم والصاد وغيرها من الحروف .

والذى يؤيد ذلك أنه عقب كل حروف ترد فى أول سورة من السور التى بدئت بذلك يأتى حديث عن القرآن الكريم يشهد بفضله وعظمته وأنه من عند الله . .

فأول البقرة جاء بعد « الم » قوله ـ تعالى ـ

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »(٢١٤)

وأول آل عمران جاء بعد « الم » قوله ـ تعالى ـ

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾(٢١٥)

---

(٢١٤) البقرة ٢

(٢١٥) آل عمران ٣

وأول الأعراف جاء بعد « المص » قوله تعالى

﴿ المص ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾ (٢١٦)

وفى أول يونس جاء بعد « الر » قوله تعالى

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢ ﴾ (٢١٧)

وأول هود جاء بعد « الر » قوله ـ تعالى ـ

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ (٢١٨)

وأول يوسف جاء بعد « الر » قوله ـ تعالى ـ

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ (٢١٩)

وأول الرعد جاء بعد « المر » قوله تعالى

---

(٢١٦) الأعراف ٢
(٢١٧) يونس ١ ، ٢
(٢١٨) هود ١ (٢١٩) يوسف ١ ، ٢

﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ (٢٢٠)

وأول ابراهيم جاء بعد « الر » قوله تعالى

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ (٢٢١)

وأول الحجر جاء بعد « الر » قوله تعالى

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾ (٢٢٢)

وأول الشعراء جاء بعد « طسم » قوله - تعالى -

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿١﴾ ﴾ (٢٢٣)

وهكذا فى كل السور التى بدئت بحروف مقطعة . . . . فهى إذن إشارة أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هى التى منها بناء كلامهم ، ليكون عجزهم تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هى التى منها بناء كلامهم ، ليكون عجزهم عنه أبلغ فى الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم وحروفهم التى يستخدمونها فى تأليف كلامهم . . هذا رأى بعض العلماء .

---

( ٢٢٠ ) الرعد ١

( ٢٢١ ) ابراهيم ١

( ٢٢٢ ) الحجر ١

( ٢٢٣ ) الشعراء ٢

وهناك رأى آخر ذكره القرطبى قال : روى أن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة وقالوا

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (٢٢٤)

نزلت هذه الحروف ليستغربوها ، فيفتحون لها أسماعهم فيسمعون القرآن فتجب عليهم الحجة .

وهناك رأى يقول : إنها حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها ، فالألف من الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد - ﷺ - . .

وقيل : إنها مفاتيح أسماء الله تعالى .

وقال ابن عباس فى بعض ما يروى عنه « الم » أى قال : أنا الله أعلم ، و« الر » : أنا الله أرى ، و« المص » أنا الله أفصل . . وهكذا . .

واستشهد على ذلك بأن العرب تكلمت بالحروف المقطعة نظما لها ووضعا بدل الكلمات التى تلك الحروف منها كقول الشاعر :

فقلت لها قفى فقالت قاف

أراد : قالت وقفت

وقال زهير :

بالخير خيرات وإن شراً فا ولا أريد الشر إلا أن تا

أراد : إن شراً فشر ، وإلا أن تشاء

وهذا رأى لبعض العلماء .

---

( ٢٢٤ ) فصلت ٢٦

## من كلام السيوطى فى الإتقان

قال السيوطى : من المتشابه فى القرآن أوائل السور ، والمختار فيها أيضاً أنها من الأسرار التى لا يعلمها إلا الله - تعالى - وأيده ابن المنذر وغيره ، وعن الشعبى أنه سئل عن فواتح السور فقال : إن لكل كتاب سراً ، وإن سر هذا القرآن فى فواتح السور . وهذا كلام سديد .

وقد استطرد السيوطى فى بيان ما قاله العلماء القدامى حول ذلك . ومن بين ما ذكره ما أورده القرطبى وذكرناه آنفاً .

وذكر الشيخ عبد ربه بن سليمان بن محمد بن سليمان القليوبى فى كتابه فيض الوهاب رأياً فى معانى بعض هذه الحروف فقال :

ورد فى أول سورة مريم قوله - تعالى - « كهيعص » وفى أول سورة الشورى « حمعسق » وهذه الحروف رموز لآيات أو بعض آيات وردت فى القرآن الكريم . تذكر بأحوال الدنيا وتقلباتها وبأحوال الآخرة وموقف الناس منها .. وهذه الآيات يبدأ أول حرف فيها بحرف من حروف « كهيعص » وينتهى بحرف من حروف « حمعسق » .

وهى على الترتيب كما يأتى :

قال تعالى :

« كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح » فأول هذا الجزء من الآية « ك » وآخره « ح » .

وقـــال :

« هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم »

فأول هذه الآية هاء وآخرها م .

وحال الناس يوم القيامة يمثله قوله ـ تعالى ـ

« يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع »

فأول هذا الجزء ياء وآخره ع . . . وكل نفس فى ذلك تعاين موقفها وهذا ما يمثله قوله ـ تعالى ـ

« علمت نفس ما أحضرت . فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس »

فأول الآيات ع ، وآخرها س .

ولقد كفر المشركون بكل ذلك ولا يصدقون هذا المصير . وهذا ما يمثله قوله ـ تعالى ـ

« ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق »

فأول الآيات ص ، وآخرها ق .

وهو تفسير اجتهادى لا نصى .

حساب الجمل . .

حاول البعض أن يفسر هذه الحروف كما فسرها اليهود فى الخبر الذى أوردناه فى صدر حديثنا عنها . من أن هذه الحروف تحمل دلالات رقمية ، وهى فى جملتها تشير إلى عدد السنوات التى تعيشها هذه الأمة . وقد سبق أن قلنا إن حيى بن أخطب أوجد جملة ما تشير إليه هذه الحروف بإسقاط الحرف المكرر فبلغت سبعمائة وأربعاً وأربعين سنة .

وقد ثبت فعلاً سقوط هذا الرأى لأن الأمة ـ والحمد لله ـ قد تعدت ضعف هذا العدد ، ونرجو الله أن يمد فى عمرها أضعافاً مضاعفة حتى تنطوى صفحة الحياة على الأرض مع رجاء إمدادها بالقوة والشباب والعزة والرفعة .

وقد حسبها بعضهم حساباً آخر فبلغ مجموع الحروف ثلاثة آلاف وثلثمائة وخمساً وثمانين سنة .

وهى اجتهادات فى التفسير والتأويل على أى حال .

وحساب الجمل قد يصدق فى بعض الأحوال ، ولكنه لا ينبغى تطبيقه على أوائل السور .

قال الألوسى فى روح المعانى : روى العز بن عبد السلام أن عليا ـ رضى الله عنه ـ استخرج وقعة معاوية بحساب الأرقام من قوله ـ تعالى ـ « حمعسق » قال : وقوله هذا يبيح لنا استعمال هذا الحساب وتطبيقه على عدد

الآيات ، فإذا انطبق كان من روائع القرآن وبدائعه .

واستخرج أبو الحكم فى تفسيره ـ فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣ من قوله ـ تعالى ـ « الم غلبت الروم » .

ويرى البعض أن وجود هذه الحروف فى أوائل بعض السور يُشير إلى كثرة دوران هذه الحروف فى السورة ، وقد قام بعضهم بعمل إحصاءات حول حروف الألف واللام والميم فى سورة البقرة فوجد أنها أكثر من غيرها من الحروف ، وكذلك الشأن فى بقية السور التى يوجد فى أولها حروف مقطعة .

## القول الذى نرى الأخذ به فى هذا الأمر

هذا وكل ما قاله العلماء حول هذه الحروف إنما هو اجتهادات خاصة منهم ، لأنه لم يرد نص صريح من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبين معانيها . ولذلك فأجمل القول فى ذلك قول من قال : إنها سر الله فى القرآن ، ولله فى كل كتاب من كتبه سر ، فهى من المتشابه الذى انفرد الله بعلمه ولايجب أن نتكلف القول فيها ونحملها ما لا تحتمله من المعانى والتأويلات ، ولكن نؤمن بها ونقر بها كما جاءت . وقد روى هذا القول عن أبى بكر الصديق وعن علىٍّ رضى الله عنهما . ولسنا فى الإيمان أو العلم مثلهما . فإذا كانا قد رأيا ذلك ، وأحدهما صديق رسول الله ﷺ والثانى باب مدينة العلم ، فالأولى بنا نحن أن نسكت كما سكتوا ونسلم الأمر فى هذا إلى علم الله كما سلموا ، والله وحده ولى التوفيق .

# اليهود والمنافقون

- مفهوم النفاق .
- لماذا لم يأمر الرسول بقتل المنافقين ؟
- المعروفون بالنفاق فى المدينة .
- عبد الله بن أبى بن سلول رأس النفاق .
- التواطؤ بين اليهود و المنافقين .
- طرد المنافقين من مسجد الرسول .
- سخرية اليهود و المنافقين من الأذان .
- المنافقون يرفضون التحاكم إلى رسول الله .
- النفاق داء وبيل .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## المنافقون

ظهرت هذه الطائفة فى المدينة مع انتشار الاسلام بها ، وقد تميزت هذه الطائفة بصفات معينة لقى المسلمون منها شراً مستطيراً . وهذه الصفات لم يكن لها وجود فى المجتمع المكى الذى كان يتسم بالصراحة المطلقة ، فالمشرك معروف بشركه أمام الناس ، يعلن عن نفسه صراحة ويجابه المسلمين بالقوة والإيذاء علانية مفتخراً بما يقوم به من عمل . .

أما فى المدينة فقد ظهر قوم تظاهروا بالاسلام وأخفوا شركهم وكفرهم . وهذا الوصف يسمى النفاق . . ومن توفرت فيهم هذه الصفات سموا بالمنافقين .

## المفهوم اللغوى للنفاق

قال القرطبى فى تفسيره : قال علماء اللغة : إنما سمى المنافق منافقاً لإظهاره غير ما يضمر تشبيهاً له باليربوع الذى يتخذ له جحراً ، يقال له : النافقاء ، وآخر يقال له : القاصعاء ، وذلك أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض أرقّ التراب ، فإذا رابه ريب دفع ذلك التراب برأسه فخرج ، فظاهر جحره تراب ، وباطنه حفر ، وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر .

قال ابن منظور : والنفاق بمعنى إظهار الاسلام وإبطان الكفر تسمية إسلامية ، لم تكن قبل ذلك ، وهذا مشتق من نافقاء اليربوع ـ التى أشار إليها القرطبى فيما سبق .

وهو من المعانى التى أدخلها الاسلام الى اللغة فاكتسبت مدلولات جديدة غير ماكانت عليه ، كالصلاة والزكاة والايمان والكفر . .

وقد ورد ذكر النفاق فى القرآن الكريم والحديث الشريف فى مواضع متفرقة ففى القرآن الكريم جاء قوله تعالى :

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (٢٢٥)

وجاء قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (٢٢٦)

وقوله تعالى

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ (٢٢٧)

---

( ٢٢٥ ) آل عمران ١٦٧

( ٢٢٦ ) الحشر ١١

( ٢٢٧ ) التوبة ١٠١

وغير ذلك من الآيات . .

لقد وردت كلمة النفاق بمشتقاتها فى القرآن الكريم سبعا وثلاثين مرة . . ونزلت سورة بأكملها باسم المنافقين تتحدث عن أخلاقهم وسلوكهم وتصرفاتهم ، وتفضح خفايا نفوسهم ، ودقائق نفاقهم وصفاتهم السيئة . .

وقد استعرضت الآيات المتعددة التى وردت فى القرآن قضية النفاق وأحوال المنافقين ، وما كانوا يفعلونه مع المسلمين ، وقد ظهر ذلك واضحا فى موقفهم من مختلف الغزوات التى خاضها المسلمون ضد المشركين ، واليهود . .

على أن القرآن قد أورد آيات أخرى تتحدث عن المنافقين دون ان يرد فيها ذكر كلمة النفاق ، والسياق يقضى بانصراف هذه الآيات إلى هؤلاء القوم المعروفين بهذه الصفة ـ ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ فى أول سورة البقرة :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ
﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا
كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا
نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ
﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ

أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ
﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ
﴿١٦﴾ (٢٢٨)

وهذه الآيات الكريمة تصور حالة المنافقين أدق تصوير .

وتشير فى إيجاز الى بعض صفات وأحوال هؤلاء :

● فقد قالوا آمنا بأفواهم ولكن ماق قلوبهم مخالف لما تتلفظ به ألسنتهم من قول .... وكأنهم عصموا بالنطق بالشهادتين أنفسهم من القتل ، لأن النبى - ﷺ - قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لااله إلا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله » .

وقولهم هذا لايعتبر إيمانا ، لأن الايمان ماوقر فى القلب وصدقه العمل .. إنه معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان .

● المؤمن الحق لايخادع ، بل ظاهره كباطنه وباطنه كظاهره ، وهؤلاء

---

( ٢٢٨ ) البقرة ٨ : ١٦

مخادعون يظهرون خلاف مايبطنون ، وهذا هو الخداع . وقد نهى النبى - ﷺ - عن الخداع فقال : فيما يرويه القرطبى فى تفسيره - « لاتخادع الله ، فانه من يخادع الله يخدعه الله ، ونفسه يخدع لو يشعر » قالوا : يارسول الله وكيف يخادع الانسان الله ؟

قال : تعمل بما أمرك الله به وتطلب به غيره .

وخداع الله للمخادعين هو عقابهم ومجازاتهم على خداعهم ، وقد جاء الرد عليهم بنفس الوصف الذى اتصفوا به .. فقد سمى جزاء الخداع خداعا ، كما سمى جزاء المكر مكرا فى قوله

﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٢٢٩)

● والنفاق مرض خطير ، ومظهر ضعف وجبن - لأن الشجاع لاينافق وسماه القرآن مرضا لأنه داء وبيل ، يفسد القلوب والضمائر وينشر الشر والفساد فى المجتمع ويهلك المتصف به ...

ومعنى المرض فى اللغة كل ماخرج بالانسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير فى أمر من الامور ..

لقد تمادى المنافقون فى نفاقهم ، وحاولوا تخريب المجتمع الاسلامى بسوء فعلهم ، وازداد نفاقهم فزادهم الله مرضا . أى شكا ونفاقا وفسادا ليزدادوا عقابا ..

---

( ٢٢٩ ) آل عمران ٥٤

قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (٢٣٠)

● لماذا لم يأمر النبى بقتل المنافقين ؟

على الرغم من شدة فساد المنافقين ، وخطورتهم على الجبهة الداخلية فان النبى - ﷺ - أمسك عن قتالهم لأسباب أوضحها العلماء منها :

أن هؤلاء المنافقين كان لا يعلم حالهم أحد سوى النبى - ﷺ - فى بداية نفاقهم،فهم فى ظاهر الأمر مسلمون ، والعقوبات الدنيوية فى الاسلام مبنية على الظاهر ، أما العقاب الأخروى فأساسه الباطن قبل الظاهر ، لأن الذى يتولاه هو من يعلم السر وأخفى . . . والرسول - ﷺ - كان يشرع لأمته . ولهذا أحجم عن قتال المنافقين أخذا بظاهر حالهم . .

ومنها : أن عدم قتلهم كان فيه مصلحة عامة فى ذلك الوقت ، وهى تأليف القلوب عليه - ﷺ - حتى لا تنفر القلوب عنه ، وقد أشار الى ذلك النبى - ﷺ - حين هم عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول بقتل أبيه لنفاقه ، فقال له النبى - ﷺ - لا ، ولكن نحسن صحبته ماعاش .

وأراد عمر بن الخطاب ان يقتل منافقا أساء للنبى - ﷺ - بالقول ، فقال

---

( ٢٣٠ ) التوبة ١٢٥

له النبى - ﷺ - : معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه . . . كما كان - ﷺ - يأمل أن تتغير أحوال هؤلاء أو بعضهم بمرور الأيام ، فيقتنعوا بعدالة الإسلام وحسن معاملته فيثوبوا الى رشدهم . . .

ولذلك أعطى النبى المؤلفة قلوبهم عطاء كثيرا ، وجعل الاسلام لهم جزءا من الصدقات ، مع علمه بنفاق بعضهم . . .

ومنها أن الله - سبحانه وتعالى - كان قد حفظ قلوب أصحاب النبى - ﷺ - من فتنة المنافقين ، فلم يؤثروا فى أحد من الصادقين على الرغم من محاولاتهم المتكررة لإضعاف جبهة المسلمين ، فلم يكن فى إبقائهم ضرر ، حتى يتوبوا أو يبعدهم الله من طريق المسلمين . . . اما اذا كشف النفاق عن وجهه وأصبح خطرا يهدد المجتمع الاسلامى ويهدد كيان الأمة ، فان مواجهته حينئذ تصبح أمرا لا مفر منه .

﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾ (٢٣١)

## هل يسكت على النفاق اليوم ؟

أما السكوت على المنافقين اليوم فليس من المصلحة ، لما فيه من إضعاف شوكة المسلمين ، والنفاق هو الزندقة اليوم ، وهو الالحاد ، وله صور

---

( ٢٣١ ) الأحزاب ٦٠ ، ٦١

متعددة ظهرت فى العصر الحديث من بينها العلمانية والوجودية وغيرهما من المسميات التى تطعن فى الدين ، وتوهن من شوكة المسلمين وتفرق كلمتهم . .

لابد من مجابهة هذه الموجات بالحجة القاطعة والكلمة النافذة ، وواجب السلطان الضرب على أيدى مفرقى الجماعة ومشتتى شمل الأمة .

**المعروفون بالنفاق فى المدينة**

وقد اشتهر قوم بالنفاق فى أيام النبى - ﷺ - وكان المسلمون يعرفونهم بالاسم . وقد عرفوا لما كان يظهر على ألسنتهم من قول ينم عن خبث سرائرهم ويبرز ماخفى من ضمائرهم ، والكلمة رسول القلب كما يقول الحكماء ، وما أسر انسان سريرة إلا أظهرها الله على فلتات لسانه . . وربما ظهر فى عينى الانسان حقيقة ما يخفيه فى قلبه كما قال الشاعر :

**عيناك قد دلتا عينى منك على أشياء لولاهما ماكنت تبديها**

فهؤلاء المنافقون كانت تظهر على ألسنتهم رغما عنهم كلمات كانت تنم عن مكنون ضمائرهم . حدث الزبير بن العوام قال : والله لكأنى أسمع قول مُعَتِّب بن قشير - وكان أحد المنافقين الذين بنوا مسجدا لضرار - وإن النعاس ليغشانى ، ما أسمعها إلا كالحلم وهو يقول « لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها ههنا »[٢٣٢]

كما ظهر نفاقهم فى تصرفاتهم حين كان المسلمون يهمون بغزوة من الغزوات ، ففى غزوة أحد تخلف بعضهم ، وخرج بعضهم مكرهين ،

---

( ٢٣٢ ) اسد الغابة جـ٥ ص٣٢٥

وكان لاهم لهم إلا أنفسهم كما تحدث بذلك القرآن الكريم بقوله

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ
وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ
لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ
ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ
وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (٢٣٣)

وفى غزوة الأحزاب حاولوا تثبيط همم المؤمنين وتوهين عزمهم ، وتعللوا بعلل واهية فى عدم المشاركة فى رد العدوان ، وقد فضحهم الله بقوله

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ
إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ
وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن
يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ
لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ
لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن

---

(٢٣٣) آل عمران ١٥٤

فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى
يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ
ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ
فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ
ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى
ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا
﴿٢٠﴾ (٢٣٤)

وفى غزوة تبوك كان لهم موقف شائن أشارت إليه سورة التوبة ، وفى غزوة بنى المصطلق فضح الله نفاقهم فى سورة كاملة هى سورة المنافقون . .

وهناك مواقف أخرى غير الغزوات ظهر فيها المنافقون بأقوال أو أفعال فضحها القرآن ، وأظهر عوارها ، وألبس المنافقين عارها وفسادها .

هذه الأقوال أو الأفعال جعلت المنافقين يكادون يكونون معروفين بالاسم ، وقد ذكر ابن هشام فى سيرته أسماء بعضهم .

---

( ٢٣٤ ) الأحزاب من ١٢ : ٢٠

فمن هؤلاء الجلاس بن سويد بن الصامت ، وهو أخو الحارث بن الصامت الذى قتله النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قودا لقتله المجذر بن زياد . .

وكان الجلاس قد تخلف عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزوة تبوك ، وقال عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لئن كان هذا الرجل صادقا فنحن شر من الحمر .

وقد سمعه عمير بن سعد ـ زوج أمه ، فقال له :
والله يا جلاس ، إنك لأحب الناس إلىّ ولكنك قلت كلمة لئن رفعتها عليك لأفضحنك ، ولئن سكتُ عليها ليهلكن دينى ، وَلإحداهما أيسر على من الأخرى ـ يعنى أن فضيحته أيسر من هلاك دينه ـ

فمشى عمير بن سعد إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر له ما سمعه من جلاس .

فحلف جلاس بالله لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما قال شيئا . وان عميرا كاذب فيما رفعه عنه . فنزل قوله تعالى :

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا

أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ (٢٣٥)

لقد فتحت هذه الاية طريق التوبة لمن يريد من المنافقين .

وفعلا تاب الجلاس ، واعترف بذنبه ، وحسنت توبته ، ولم ينزع عن خير كان يصنعه إلى عمير ، فكان ذلك مما عرفت به توبته(٢٣٦)

### نبتل بن الحارث

ومن المنافقين نبتل بن الحارث وهو من بنى عمرو بن عوف ، وقد شبهه النبى - صلى الله عبليه وسلم - بالشيطان أو شبه الشيطان به فقد قال عنه : من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث . .

كان رجلا جسيما ثائر الشعر ، أحمر العينين ، أسفع الخدين(٢٣٧) .
وكان يأتى إلى مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويتحدث إليه فيسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين .

وكان يقول : إن محمدا أُذن ، وفيه نزل قوله تعالى

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ (٢٣٨)

( ٢٣٥ ) التوبة ٧٤
( ٢٣٦ ) أسد الغابة جـ١ ص٣٤٦ . معنى لم ينزع من خير . . أى لم يتقاعس عن خير .
( ٢٣٧ ) السفعة بالضم سواد مشرب الحمرة
( ٢٣٨ ) التوبة ٦١

وقيل إن الذى نزلت فيه هذه الآية عتاب بن قشير وهو منافق أيضا ـ ولعله معتب بن قشير الذى سبق ذكره . .

وقد حذر جبريل ـ عليه السلام ـ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نبتل ابن الحارث ، قال له : إنه يجلس إليك رجل ثائر شعر الرأس أسفع الخدين أحمر العينين ، كبده أغلظ من كبد الحمار ، ينقل حديثك إلى المنافقين فاحذره(٢٣٩)

ابن سلول

وكان رأس المنافقين فى المدينة عبد الله بن أبى بن سلول ، ولاشتهاره بالنفاق لم يُعَدّ فى الصحابة ، ولذلك أغفلته الكتب المعنية بأخبار أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وكان من أشراف المدينة قبل دخول الإسلام إليها وكان أهلها قبل مجىء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليها قد صنعوا له تاجا ليتوجوه ملكا عليهم . . ، فلما جاءهم الله ـ تعالى ـ برسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انصرف عنه قومه إلى الاسلام ، فضغن وأضمر العداوة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه نظر إليه على أنه قد سلب ملكه ، وحين رأى قومه قد دخلوا الإسلام طائعين مختارين ، دخله هو كارها مصرا على النفاق ، وفيه نزل قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا

(٢٣٩) سيرة ابن هشام جـ٢ ص٢٥٩

مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (٢٤٠)

وقيل فى سبب نزول هاتين الآيتين ان عبد الله بن أبى وأصحابه خرجوا ذات يوم ، فاستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهم أبو بكر وعمر وعلى ـ رضى الله عنهم ـ فقال عبد الله بن أبى : انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم ، فأخذ بيد أبى بكر فقال : مرحبا بالصِّدِّيق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام ، وثانى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الغار ، الباذل نفسه وماله لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ثم أخذ بيد عمر فقال : مرحبا بسيد بنى عدى ، الفاروق ، القوى فى دين الله ، الباذل نفسه وماله لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ثم أخذ بيد علىّ فقال : مرحبا بابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول اله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ثم افترقوا ، فقال له على : اتقّ الله يا عبد الله ولا تنافق ، فإن المنافقين شر خلق الله تعالى .

فقال عبد الله : مهلا يا أبا الحسن ، ألِى تقول هذا ؟ والله إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم . فتركه على وانصرف . .

---

( ٢٤٠ ) البقرة ١٤ ، ١٥

فقال عبد الله لأصحابه : كيف رأيتمونى فعلت ؟ فأثنوا عليه خيرا فنزلت الآيات .

إنه رأس المنافقين لأنه يرسم لهم الخطط ويضع لهم المنهج الذى يسيرون عليه فى معاملة المسلمين .

ولعبد الله بن أبى مواقف متعددة تظهر عناده للإسلام ، وتنم عن سريرته الحاقدة ونفسيته المريضة .

انظر إلى سوء استقباله للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين مر به ـ عليه الصلاة والسلام ـ يوما وهو جالس مع جماعة من أصحابه ، وأراد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعظهم ويرشدهم ويعلمهم ـ فقال له ـ ابن أبىّ إن كان ما تقول حقا فلا تؤذنا به فى مجالسنا ، ارجع إلى رحلك ، فمن جاءك فاقصص عليه . وغطى وجهه ، أو قبض على أنفه لئلا يصيبه الغبار المتطاير من تحت حوافر الحمار الذى كان يركبه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ولكن الغيورين من المسلمين لم يعجبهم قول ابن أُبىّ . ومنهم عبد الله ابن رواحة الذى قال فى إيمان وصدق : نعم يا رسول الله ، فاغشنا فى مجالسنا فانا نحب ذلك .

فاشتبك المشركون الذين كانوا حول ابن أُبىّ مع المسلمين ـ فما زال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهم يسكنهم حتى سكنوا .

ثم دخل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على سعد بن عبادة يعوده ـ وكان

مريضا : فقال له : ألم تسمع ما قال ابن أبيٍّ بن سلول وقص عليه ما جرى .

فقال سعد لرسول الله : اعف عنه واصفح يارسول الله ، فوالذى أنزل عليك الكتاب ، لقد جاءك الله بالحق الذى نزل عليك ، فى الوقت الذى اتفق فيه أهل المدينة ـ على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة ، فلما رد الله ذلك بالحق الذى أعطاكه الله شرق به ، فذلك فعل به ما رأيت .

فعفا عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونزل قوله تعالى :

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (٢٤١)

وكان لعبد الله بن أُبيٍّ هذا جاريتان إحداهما اسمها معاذة ، والأخرى اسمها مُسَيْكَة ، وكان يكرههما على الزنى ، ويضربهما عليه ابتغاء الأجر والكسب ، وقد شكت الجاريتان الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم

---

(٢٤١) آل عمران ١٨٦

مِن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٢٤٢)

لقد كان كسب ابن أبي من هذا الطريق كسبا خبيثاً لايلجأ إليه إلا منافق ، لأن المؤمن الصادق عفيف شريف لايلجأ إلى الطرق الخسيسة لاكتساب المال . أما المنافق فلا يبالي بذلك لأن النفاق نفسه خسة ودناءة ، ومن يلتمس في نفسه العزة والكرامة لاينافق ولا يداهن .

ولقد زعم ابن أبيّ أنه عزيز في قومه ، وهو زعم باطل لا يدعمه تصرفه وعمله . فليس من العزة أن يكذب المرء أو ينافق أو يداهن ، وقد حدث في غزوة بني المصطلق أو غزوة تبوك - أن قال عبدالله بن أبي يُعرِّض بالنبي - صلى الله عليه وسلم - والمهاجرين . .

لقد زاحمونا في بلادنا ، والله ما مثلنا ومثل جلاليب قريش هذه الا كما قال القائل : سمِّن كلبك يأكلك ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

ثم أقبل على من عنده من قومه يقول لهم : هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها .

---

(٢٤٢) النور ٣٣

لقد زعم ابن أُبيٍّ أنه هو ومن معه الأعز،وأن المهاجرين هم الأذل ، وهذا زعم على غير أساس . فالعزة لاتكتسب بالمال والسلطان وكثرة الأتباع ، ولكنها ميراث إلهى من التقوى والعمل الصالح

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

ويلغت الكلمة التى قالها عبد الله بن أبى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله مر عباد بن بشر ـ فليضرب عنقه . فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فكيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمدا يقتل أصحابه ؟

ثم انظر إلى ذلك الذى يدعى العزة كيف تبدل موقفه إلى النقيض ، حين بلغه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عرف ما قال ، لقد أسرع إليه يعتذر ويحلف أنه لم يقل حرفا واحدا مما بلغه . ولكن الله ـ تعالى ـ أنزل قرآنا يفضح ذلك المنافق ويكذبه . فنزل قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ

لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ (٢٤٣)

لو كان هذا الرجل عزيزا كما يزعم لتصرف تصرف العزيز الشريف ، ولما قال ذلك القول الذى أسرع الى التملص منه والاعتذار عنه . والحكمة تقول : إياك وما يعتذر منه .

إنها تحذر من الفعل الذى يلجىء صاحبه الى الاعتذار ، لأن الاعتذار لايكون إلا من خطأ ، والشريف يحرص على أن يكون فعله ومنطقه صوابا بعيدا عن الخطأ والانحراف .

وكان لعبد الله بن أبى ـ ابن ـ على النقيض من أبيه ، وكان اسمه عبد الله أيضا ، كان آية فى الصدق والإيمان والاخلاص ، هاله ما حدث من أبيه ، وبلغه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد قتله اتقاء الفتنة التى يضل بها غيره . فجاء عبد الله إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول له : يا رسول الله ـ بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى ـ بسبب ما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرنى أنا به ، فأحمل لك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله . فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس ، فأقتله ، فأَقْتُل مؤمنا بكافر ، فأدخل النار ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لانقتله

---

( ٢٤٣ ) المنافقون ٥ :٨

بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا ،

وحين قفل[٢٤٤] الناس إلى المدينة ، أسرع عبد الله بن عبد الله بن أبي ـ فوقف على باب المدينة واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي ـ وأراد أن يدخل ، منعه ابنه عبد الله ، وقال له : وراءك .

فقال له أبوه : مالك ؟ ويلك .

فقال : والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه العزيز وأنت الذليل .

فلما جاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان من عادته أن يأتي خلف أصحابه ـ حرصا عليهم وتفقدا لهم ـ شكا اليه عبد الله الأب عبد الله الإبن .

فقال عبد الله الابن : والله يا رسول الله لايدخلها حتى تأذن له .

فأذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ له . فقال الابن : أما إذ أذن لك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فادخل[٢٤٥]

## ومن اليهود منافقون

لم يقتصر النفاق على بعض رجال الأوس والخزرج الذين كانوا يقيمون في المدينة ولكن كان من الأعراب أيضا منافقون ، وقد ذكر ذلك القرآن الكريم

---

( ٢٤٤ ) ـ قفل ـ أي رجع

( ٢٤٥ ) تفسير ابن كثير جـ٨ ص١٥٨

في قوله تعالى

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ (٢٤٦)

قال القرطبي : كان من مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع ـ قوم منافقون لجوا في النفاق وأبَوْا غيره .

وقد توعدهم الله بالعذاب مرتين قبل دخولهم النار ـ العذاب الأول الفضيحة أو مصائب الدنيا لما ورد : مرض المؤمن كفارة ومرض الكافر عقوبة . والعذاب الثاني عذاب القبر . .

ثم يردون بعد ذلك الى عذاب جهنم والعياذ بالله :

ومن اليهود منافقون أيضا ، ذلك أن النفاق أساسه الخوف من المواجهة ، قال ابن إسحاق ـ فيما يرويه ابن هشام في سيرته . . وكان ممن تعوذ بالاسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق أسعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان بن أوفى بن عمرو ، وعثمان بن أوفى وهم من بني قينقاع .

وزيد بن اللصيت هو الذي قاتل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بسوق قينقاع ، وقال ـ حين ضلت ناقة رسول الله ـ صلى الله عليه

---

(٢٤٦) التوبة ١٠١

وسلم ـ : يزعم محمد أنه يأتيه الخبر من السماء وهو لايدرى أين ناقته .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين جاءه الخبر بما قال عدو الله ـ وقد دله الله ـ تبارك وتعالى ـ على الناقة ـ : إن قائلا قال : يزعم محمد أنه يأتيه الخبر من السماء وهو لايدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله ، وقد دلنى الله عليها ، وهى فى مكان كذا ، قد حبستها شجرة بزمامها .

فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكما وصف .

ومن هؤلاء المنافقين رافع بن حريملة . الذى قال فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم مات : قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين .

ومنهم رفاعة بن زيد بن التابوت ـ أخبر رسول الله ـ ﷺ ـ بموته فى يوم اشتدت فيه الريح وخاف منها المسلمون . فطمأنهم رسول الله ـ ﷺ ـ وبشرهم بموت رفاعة . . ومن المنافقين أيضا . سلسلة بن برهام ، وكنانة بن صوريا

لقد تهدمت أعمدة من صروح الكفر تزلزلت لها الشياطين التى خشيت على نفوذها أن يضيع .

**التواطؤ بين اليهود والمنافقين**

وليس غريبا أن يكون هناك تواطؤ بين اليهود والمنافقين وقد أشار إليه

القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا
لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ
الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ
مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا
إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ
جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ
الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّا
رِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢٤٧)

وهذه الآيات الكريمة تلقى الضوء على العلاقة المريبة التى تربط بين عبد الله بن أبى سلول ورفاقه وبين يهود بنى النضير الذين كتب الله عليهم

---

(٢٤٧) الحشر ١١ : ١٧

الجلاء لنقضهم عهد رسول الله - ﷺ - الذى عاهدهم فيه على ألا يؤذوا المسلمين ، ولا يعتدوا على أحد منهم ، ولا يظاهروا عليهم عدوا .

فتآمروا على رسول الله - ﷺ - . وحاولوا قتله ، وذلك بالقاء حجر ضخم عليه بينما كان يجلس إلى جوار جدار لمنزل أحدهم . .

ولكن جبريل أخبر النبى - ﷺ - فقام مسرعا ، وأفسد الله عليهم خطتهم . . وعزم النبى - ﷺ - بعد ذلك على حربهم وإجلائهم من المدينة عقابا لهم ، وإغلاقا لباب الفتنة .

وكان يحالف اليهود جماعة من الخزرج على رأسهم عبد الله بن أبى سلول رأس المنافقين . فكتبوا إلى اليهود يحثونهم على الوقوف فى وجه الرسول والمسلمين - قائلين لهم : لاترضخوا لما يريده محمد منكم ، واثبتوا ونحن معكم ، لانسلمكم لشىء أبدا ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم . .

وانتظر اليهود أن يفى هؤلاء القوم بما قالوه لهم ، ولكنهم لم يفعلوا ، وقذف الله الرعب فى قلوب هؤلاء وهؤلاء جميعا .

واستسلم اليهود للأمر الواقع ، واستجابوا لشروط النبى - ﷺ - التى فرضها عليهم ، وتركوا بيوتهم وحصونهم التى خربوها بأيديهم ، وخرج بعضهم إلى أذرعات وبعضهم إلى خيبر ، وأراح الله المدينة من شرهم . .

لقد صورت الآيات الكريمة موقف المنافقين الذين دأبوا على الفتنة وبث

العصيان والكيد للمسلمين ، كما صورت حالة اليهود الذين دأبوا على الغدر والخيانة وعدم الوفاء .

كما تحدثت عن جبنهم الشديد الملازم لهم ، حتى إنهم لايستطيعون مواجهة خصومهم ، فهم لا يقاتلون إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر . .

## إخراج المنافقين من المسجد

كان المنافقون ـ كما هو معروف ـ يتظاهرون بالاسلام ، ويحرصون على التواجد فى المسجد إمعانا فى التمويه . ولم يكن ذهابهم إلى المسجد محافظة على أداء الشعائر ، ولكنه لمتابعة أخبار المسلمين ، ولمحاولة بث الفتنة ماأمكنهم ذلك ، وللسخرية والاستهزاء من المسلمين .

وكانوا إذا جاءوا إلى المسجد تجاوروا وتلاصقوا وتهامسوا فيما بينهم ، حتى إذا سمعوا النداء بالأذان قاموا الى الصلاة فى تكاسل كما يقول القرآن الكريم فى ذلك : ـ

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ (٢٤٨)

فهذا هو القرآن قد وصف صلاتهم بأنها رياء وتكاسل وتثاقل ، فهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا ، فوجودهم فى المسجد إذن عبء لا هدف من ورائه إلا الفتنة .

---

( ٢٤٨ ) النساء ١٤٢ ، ١٤٣

وكانوا لايذهبون إلى المسجد فى صلاة العتمة . أى العشاء ـ وصلاة الصبح ـ إلا وهم كارهون ، وقد صدق النبى ـ ﷺ ـ فى قوله : « إن أثقل صلاة على المنافقين العتمة والصبح » فان العتمة تأتى وقد أتعبهم عمل النهار فيثقل عليهم القيام لها ، وصلاة الصبح تأتى والنوم أحب إليهم من أى شىء . . وبعد أن كشفهم الله للمسلمين ونزل فيهم مانزل من القرآن ، كان لابد من طردهم من المسجد حتى لا يبثوا الفتنة بين المسلمين . . اجتمع يوما فى المسجد قوم ممن اشتهروا بالنفاق ، فرآهم رسول الله ـ ﷺ ـ وقد اقترنت رءوسهم بعضها ببعض وهم يتهامسون فيما بينهم لا تكاد تسمع أصواتهم ، فأمر بهم رسول الله ـ ﷺ ـ فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا ، أمر كل رجل من أصحابه أن يأخذ بيد واحد من المنافقين فيخرجه . فقام أبو أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ فأخذ عمرو بن قيس ـ أحد بنى غنم بن مالك بن النجار . . كان صاحب آلهتهم فى الجاهلية ، فسحبه إلى خارج المسجد . فكان عمرو يقول له : أتخرجنى ياأبا أيوب من مربد بنى ثعلبة ؟ لم يقل من مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ ولا من بيت الله ، ولكنه تذكر المكان الأول الذى كان قبل إقامة المسجد فيه . وفى هذا دلالة على أن الاسلام لم يغير من نفسه شيئا . . لقد كان إسلاما فى الظاهر فقط . .

ثم أقبل أبو أيوب أيضا إلى رافع بن وديعة أحد بنى النجار فلبَّبَهُ بردائه ثم دفعه دفعاً شديداً ، ولطم وجهه ، وأخرجه من المسجد وهو يقول له :

أف لك . أخرج يا منافق من مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ . . . وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ـ وكان رجلا طويل اللحية ، فأخذ بلحيته فقاده

بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد .

ثم وكزه عمارة فى صدره ، وهو يصرخ قائلا : لقد أوجعتنى ياعمارة ، ولكن عمارة يرد عليه قائلا : أبعدك الله يا منافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد وأعظم من ذلك . فلا تقربن مسجد رسول الله - ﷺ -

وقام أبو محمد مسعود بن أوس من بنى النجار . إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شابا فتيا ، وكان لايوجد فى المنافقين شاب مثله ، فأخذ يدفعه فى قفاه حتى أخرجه من المسجد .

وقام عبد الله بن الحارث من جماعة أبي سعيد الخدرى وهو خزرجى إلى رجل منافق اسمه الحارث بن عمرو ، فأخذ بمجامع شعر رأسه وسحبه سحبا عنيفا ، وأخرجه من المسجد ، والمنافق يقول له : لقد أغلظت يابن الحارث .

فقال له : إنك أهل لذلك ياعدو الله ، لما أنزل الله فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله - ﷺ - فإنك نجس .

وقام رجل آخر من المسلمين الصادقين من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه وكان منافقا ، فأخرجه من المسجد إخراجا عنيفا .

•

إن بيوت الله جعلت لذكر الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونشر العلم والفضيلة ، ولم تجعل للتآمر والدس والفتنة ، ولذلك أمر النبى - ﷺ - بإخراج هؤلاء المنافقين الدساسين من المسجد . ومن أجل ذلك أمر الله نبيه - ﷺ - بهدم مسجد الضرار الذى بناه المنافقون . . .

سخرية اليهود والمنافقين من الأذان :

كان اليهود والمنافقون يسخرون من أذان المسلمين للصلاة . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨ ﴾ (٢٤٩)

قال القرطبي فى تفسيره : كانوا إذا أذن المؤذن وقام المسلمون إلى الصلاة قالت اليهود : قد قاموا لاقاموا . وكانوا يضحكون إذا ركع المسلمون وسجدوا ، وقالوا فى حق الأذان : لقد ابتدع محمد شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم ، ويقولون : إنه صياح مثل صياح العير ؟ فما أقبحه من صوت ، وماأسمجه من أمر .

وقيل : إنهم كانوا إذا أذن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون ، سخرية من الصلاة وتنفيرا للناس عنها وعن الداعى إليها .

وقيل : إنهم كانوا يرون المنادى إليها بمنزلة اللاعب الهازىء جهلا منهم بمنزلتها فنزلت الآية السابقة نافية عنهم صفة العقل فهم إذن كالبهائم التى لاتعى ولاتفقه . . كما عظم الله قول من يدعو إلى الله ويعمل صالحا . فقال تعال :

---

(٢٤٩) المائدة ٥٨

﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ (٢٥٠)

روى أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : نزلت هذه الآية فى المؤذنين . وروى هذا القول أيضا عن عكرمة ، وقيس بن أبى حازم ، ومجاهد .

وقيل : إن هذه الآية نزلت فى حق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نقل القرطبى ذلك عن ابن سيرين والسُّدى وابن زيد والحسن . قالوا : هذا استفهام بمعنى النفى موجه للذين تواصوا باللغو فى القرآن حين قالوا : لاتسمعوا لهذا القرآن والْغَوا فيه لعلكم تغلبون،وذلك لتوبيخهم . . . ومعنى الآية الكريمة . . إنه لاكلام على الاطلاق أحسن من القرآن ، ولاأحد أحسن قولا من الداعى الى الله ـ تعالى ـ وهو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولعل هذا القول هو الأرجح لأن الآية مكية ، والأذان شرع بالمدينة بعد الهجرة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

متى شرع الأذان ؟

ومادمنا قد عرضنا لسخرية اليهود والمنافقين من الأذان فقد لزم أن نتحدث عنه وعن شرعيته وحكمه . فنقول . . . ماعليه جمهور الفقهاء أن الاذان شرع بالمدينة . ولم يكن بمكة أذان قبل الهجرة ، كانوا ينادون قائلين : الصلاة جامعة .

---

( ٢٥٠ ) فصلت ٣٣

لقد كان المسلمون مغلوبين على أمرهم ، وكانوا يعذبون على أيدى الكفار . ومن أجل ذلك أذن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم بالهجرة من مكة الى المدينة ، وكانت لهم هجرة سابقة عليها الى الحبشة فرارا بدينهم .

ولم يشرع الأذان فى المدينة فور انتقال المسلمين اليها ، بل كان ذلك بعد تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة . وبقيت عبارة « الصلاة جامعة » شعارا للدعوة الى الصلاة ، وللأمر الذى يستدعى حشد الناس واجتماعهم .

وقصة الأذان كما يرويها الثقات يقولون :

كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أهمه أمر إعلام الناس بالصلاة وجمعهم لها . .

وتشاور النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أصحابه فى أمر جمع الناس للصلاة ، فقال بعضهم : نرفع راية عند حضور وقت الصلاة ، فاذا رآها الناس اجتمعوا . . .

ولكن هذا الرأى استبعد ، لأنه لايتسنى إعلام الناس جميعا بهذه الصورة . والأمر يحتاج الى ماهو أوقع وأسرع . فقال بعضهم : نتخذ بُوقا ، ينفخ فيه فيجتمع الناس لسماعه . فكرهه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما فيه من التشبه باليهود .

فعرض بعضهم فكرة اتخاذ الناقوس الذى يتخذه النصارى لصلاتهم ، فكرهه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضا لما فيه من التشبه بالنصارى .

فاستبعدت هذه الفكرة أيضا كما استبعدت الفكرتان السابقتان .
فقال بعضهم : نُشعل نارا عند حضور الوقت للصلاة ، فاذا رآها الناس اجتمعوا اليها . .

وكره النبى ـ صلى الله عبليه وسلم ـ ذلك أيضا لما فى ذلك من تشبه بالمجوس .

فاقترح عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن ينادى رجل بالصلاة فيقول : الصلاة جامعة .

وقد ذكر الرواة أنهم كانوا يفعلون ذلك . . فكان بلال إذا حضر الوقت رفع صوته بذلك فيجتمع الناس ويصلون . . وظلوا على ذلك بعض الوقت . .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

رؤيا عبد الله بن زيد :
ولكن عبد الله بن زيد رأى فى منامه أن رجلا يلقنه صيغة الأذان ـ كما هى عليه الآن . . يقول عبد الله :

فطاف بى وأنا نائم رجل . وفى رواية ـ وأنا بين نائم ويقظان . أى أنه كان قبل أن يستغرق فى النوم ، وعلى الرجل ثوبان أخضران وهو يحمل

ناقوسا فى يده ، فقلت : ياعبد الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟

قال : وماتصنع به ؟

قلت : ندعو به الناس إلى الصلاة .

قال : أفلا أدلك على ماهو خير لك من ذلك ؟

فقلت : بلى .

قال : تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا اله إلا الله ، أشهد أن لاإله الا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لااله الا الله .

قال : عبد الله : ثم استأخر عني غير بعيد ، ثم قال : وتقول اذا قمت إلى الصلاة :

الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لاإله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر ، الله أكبر ، لاإله إلا الله .

قال عبد الله : فلما أصبحت أتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته بما رأيت . فقال : هذه رؤيا حق ، فقم مع بلال فإنه أندى صوتا منك ، فألق عليه ماقيل لك ، وليناد بذلك .

قال : فلما سمع عمر بن الخطاب نداء بلال بالصلاة خرج الى رسول

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يجر رداءه ويقول : يارسول الله والذى بعثك بالحق لقد رأيت فى منامى مثل الذى قال ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فلله الحمد ، فذاك أثبت(٢٥١)

وقوله : أندى منك صوتا أى أمد منك صوتا وأعلى وأرفع ، وقيل : أحسن وأعذب . .

وكان بلال أول مؤذن للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له الرسول : قم مع عبد الله ، فما أمرك به فافعله . فجعل عبد الله يلقنه وهو يردد وراءه ، حتى انتهى . وكان ذلك فى صلاة الصبح . .

من عبد الله بن زيد ؟

هو عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن زيد الأنصارى من بنى جشم بن الحارث ابن الخزرج ، يكنى أبا محمد .

أسلم مبكرا ، فهو ممن شهدوا العقبة وبدرا ، والمشاهد كلها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وكان عبد الله محبا للخير يكثر من الصدقة ، حتى لقد جاء بماله كله الذى يملكه ويقتات منه هو وأسرته فدفعه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاء أبوه الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله ، إن ابنى عبد الله تصدق بماله وهو الذى كنا نعيش منه ، فدعا رسول الله ـ صلى الله

---

(٢٥١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة

عليه وسلم ـ عبد الله بن زيد فقال له : إن الله قد قبل صدقتك ، وردُها ميراثا على أبويك . وقال ابنه بشير : فتوارثناها[٢٥٢]

وفى هذا حسن توجيه من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه فى أن يكون لرب الأسرة نظرة يرى بها حق أسرته عليه . وفيه بيان لعظمة الاسلام وحسن تشريعه فى أنه جعل ماينفق على الأسرة من مال حلال هو من أنواع البر التى يثاب صاحبها ، بل ويجزل الله المثوبة عليها .

وقد ورد : ان من الذنوب ذنوبا لايكفرها إلا الهم بالعيال » وهذه هى منزلة الاسلام العظيمة وتعاليمه القويمة ، وحكمته التى تقضى بأن يعمل الانسان لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لأخراه كأنه يموت غدا . وهذا هو مايلتقى مع قوله ـ تعالى :

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[٢٥٣]

وقوله تعالى :[٢٥٤]

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾

---

( ٢٥٢ ) أسد الغابة جـ٣ ص٢٤٦ ، جـ٢ص٢٧٩
( ٢٥٣ ) القصص ٧٧
( ٢٥٤ ) الإسراء ٢٦

## حكم الأذان :

وقد اختلف الفقهاء في حكم الأذان والإقامة فقال الإمام مالك وأصحابه ؛ إن الأذان واجب في المساجد للجماعات حيث يجتمع الناس وقد نص الإمام مالك على ذلك في الموطأ ـ ذكر ذلك القرطبي في تفسيره[٢٥٥] . . وهناك قول آخر للامام مالك أن الأذان والاقامة سنتان . .

واختلف أصحابه من بعده فمنهم من جعله سنة مؤكدة واجبة على الكفاية في المصر ، وبعضهم جعله فرض كفاية . .

أما الشافعية فقالوا : الأذان سنة كفاية للجماعة . وسنة عين للمنفرد إذا لم يسمع أذان غيره ، فإن سمع أذان الجماعة أجزأه .

وقال الأحناف : الأذان سنة مؤكدة على الكفاية لأهل الحي الواحد ، وهي كالواجب في لحوق الاثم لتاركها ، ولايكره ترك الأذان لمن يصلي في بيته منفردا ،لأن أذان الحي يكفيه.

وقال الحنابلة : الأذان فرض كفاية في القرى والأمصار للصلوات الخمس الحاضرة على الرجال في الحضر دون السفر .

## كيفية الأذان :

وقد اتفق الفقهاء على أن الاذان مثنى ، والاقامة مرة . إلا التكبير الأول

---

( ٢٥٥ ) تفسير سورة المائدة ص٢٢٢٢ ط دار الشعب

فان الامام أبا حنيفة والامام الشافعى والامام أحمد يقولون بالتربيع فيه .

ويرى الإمام مالك أنه مثنى

ويزاد فى أذان الصبح عقب قوله : حى على الفلاح مرتين : الصلاة خير من النوم . يقولها مرتين .

التثويب :

جاء فى لسان العرب : ثَوَّبَ الداعى تثويبا اذا عاد مرة بعد أخرى ، ومنه تثويب المؤذن اذا نادى بالأذان للناس الى الصلاة ، ثم نادى بعد التأذين فقال : الصلاة ـ رحمكم الله ـ

والتثويب هو الدعاء بالصلاة وغيرها .

وقيل : إنما سمى الدعاء تثويبا من ثاب يثوب إذا رجع ، فإن المؤذن إذا قال : حى على الصلاة فقد دعاهم إليها ، فاذا قال بعد ذلك : الصلاة خير من النوم فقد رجع الى كلام معناه المبادرة اليها . وفى حديث بلال ـ رضى الله عنه ـ : « أمرنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا أثوب فى شىء من الصلاة إلا فى صلاة الفجر ، وهو قوله : الصلاة خير من النوم . مرتين . .

وعلى كل فالتثويب يفهم منه الرجوع بالدعاء الى الصلاة . . كما فهم منه بعضهم الصلاة بعد الفريضة ، وفهم منه بعضهم الإقامة إلى الصلاة(٢٥٦)

---

(٢٥٦) لسان العرب جـ١ص٥٢٠ مادة ثوب

وقد ورد فى القرآن الكريم مايشير الى الدعوة إلى الصلاة ، ولكن الأذان بألفاظه لم يذكر فى القرآن الكريم . .

وقد وردت كلمة أذّن بمعنى نادى فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ★

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢٥٧)

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (٢٥٨)

أما الدعاء للصلاة فقد جاء بلفظ النداء فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٢٥٩)

---

★ الأعراف ٤٤

(٢٥٧) الحج ٢٧

(٢٥٨) يوسف ٧٠

(٢٥٩) المائدة ٥٨

وفى قوله - تعالى - :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ (٢٦٠)

**مؤذنو الرسول :**

أول مؤذن للرسول - صلى الله عليه وسلم - بلال ، وإن كان - عبد الله ابن زيد أول من نطق به

وبلال بن رباح - وكنيته أبو عبد الكريم ، وقيل : أبو عبد الله ، وقيل : أبو عمرو - كان مولى لأبى بكر الصديق - رضى الله عنه - اشتراه بخمس أواق ، وأعتقه لله - عز وجل - وهو من الذين عذبهم الكفار عذابا شديداً بسبب إسلامه . كانت الحجارة توضع فوق صدره وكان أبو جهل يبطحه على وجهه فى الشمس ويضع الرحا عليه ويتركه يقاسى لهيب الرمال فى بطحاء مكة الشديدة الحرارة ويقول له : اكفر برب محمد ، فيقول : أحد أحد . . مر عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يعذب ، ولسانه يردد : أحد أحد . . فأشفق عليه وعرض على أبى بكر شراءه ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه فأصبح حرا من ذلك الوقت . .

---

(٢٦٠) الجمعة ٩ ، ١٠

كان يؤذن لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته

ولما توفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أراد أن يخرج إلى الشام ، فقال له أبو بكر : بل تكون عندى . فقال بلال : إن كنت أعتقتنى لنفسك فاحبسنى ، وإن كنت أعتقتنى لله فذرنى أذهب إلى الله ـ عز وجل ـ فقال له : اذهب حيث تريد .

وقيل : إنه أذن لأبى بكر ـ بعد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذهب إلى الشام فى خلافة عمر ـ رضى الله عنه ـ وقد ذكر أن بلالا بعد إقامته فى الشام مدة من الزمن رأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى منامه يقول له : ماهذه الجفوة يابلال ؟ أما آن لك أن تزورنا ؟

فانتبه بلال حزينا ، فركب إلى المدينة فأتى قبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجعل يبكى عنده فأقبل الحسن والحسين ـ فجعل يقبلهما ويضمهما ، فقالا له : نشتهى أن تؤذن فى السحر ، فصعد بلال الى سطح المسجد ، وأخذ يؤذن فلما قال : الله أكبر الله أكبر ـ ارتجت المدينة . فلما قال : أشهد أن لااله الا الله . . . زادت رجتها ، فلما قال : أشهد أن محمدا رسول الله . خرج الناس من بيوتهن فما رئى يوم أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم .

وتوفى بلال بالشام فى العام السابع أو الثامن عشر(٢٦١) ـ رضى الله عنه ـ ومن المؤذنين ـ أبو محذورة ـ وقد اختلف فى اسمه ، فقيل : سَمُرَة بن

---

(٢٦١) راجع ترجمته فى أسد الغابة جـ١ ص٢٤٣ والطبقات الكبرى لابن سعد

معير ، وقيل: أوس بن مِغير بن لوذان بن ربيعةالقرشى الجمحى . وقد غلبت عليه كنيته

كان مؤذنا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة بعد الفتح .

قال ابن محيريز : رأيت أبا محذورة صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وله شعر طويل ، قلت : ياعم ، الاتأخذ من شعرك ؟

فقال : ماكنت لآخذ شعرا مسح عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وقد تلقن أبو محذورة الأذان عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يروى ذلك بنفسه فيقول :

قفل رسول الله ـ ﷺ ـ من حُنين ، فلبث فى بعض الطريق ، فأذن مؤذن رسول الله ـ ﷺ ـ فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون عن الطريق المستقيم . . فصرنا نحكيه ونستهزىء به ، فسمع النبى ـ ﷺ ـ فأرسل إلينا فوقفنا بين يديه .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أيكم الذى سمعت صوته قد ارتفع ؟
فأشار القوم كلهم إلىَّ فحبسنى ـ أى أبقانى عنده ـ وأرسلهم .
وقال : قم فأذِّن .

قال أبو محذورة : فقمت . ولا شيء أكره إلىَّ من النبى ـ ﷺ ـ ولامما يأمرنى به . .

فقمت بين يدى رسول الله ـ ﷺ ـ فألقى علىَّ الأذان هو بنفسه فجهرت

به وكنت ذا صوت حسن ، ثم دعاني حين قضيت التأذين ، فأعطاني صرة فيها شيء من فضة ، ثم وضع يده على ناصيتي ومر بها على وجهي ثم بين يدي ، ثم على موضع كبدي ثم قال :

بارك الله فيك وبارك عليك .

فقلت : يارسول الله ، مرني بالتأذين بمكة .

فقال - ﷺ - : قد أمرتك به .

قال أبو محذورة : وذهب كل شيء كان لرسول الله - ﷺ - .

فقدمت على - عتاب بن أسيد - رضي الله تعالى عنه ، عامل رسول الله - ﷺ - على مكة ، فأذنت بالصلاة عن أمر رسول الله - ﷺ -(٢٦٢)

وعاش أبو محذورة سنين طويلة بعد وفاة رسول الله - ﷺ - وكان مقيما بمكة :

وتوفي بمكة سنة تسع وخمسين ، وقيل تسع وسبعين .

وكان أبو محذورة ذا صوت حسن يرفع صوته بالأذان ، سمعه عمر يوماً يؤذن فأثنى عليه . وأعجب بأذانه .

وورث الأذان عنه ابن عمه ابن محيريز ، ثم ولد ابن محيريز ، ثم صار الأذان إلى ولد ربيعة بن سعد بن جُمَح .(٢٦٣)

**عبد الله بن أم مكتوم**

ومن المؤذنين عبد الله بن أم مكتوم . .

واسمه : عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم ، من بني عامر بن لؤي القرشي . وهو ابن أم مكتوم الأعمى . وأمه أم مكتوم اسمها عاتكة بنت

---

(٢٦٢) السيرة الحلبية جـ٢ص٢٧٩

(٢٦٣) أسد الغابة جـ٦ ص٢٧٩

عبد الله . وهو ابن خال خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ وهو الذى نزل فى شأنه قوله ـ تعالى ـ

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ
ٱلذِّكْرَىٰٓ ④ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ⑤ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ⑦ وَأَمَّا
مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ⑧ وَهُوَ يَخْشَىٰ ⑨ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ⑩ ﴾ (٢٦٤)

كان من السابقين الى الاسلام ومن السابقين الى الهجرة ، فقد قدم المدينة بعد قدوم مصعب بن عمير ، وان كان بعضهم يقول إنه قدم إليها بعد بدر .

وكان النبى ـ ﷺ ـ كثيراً مايستخلفه على المدينة فى أثناء غزواته . وبالرغم من أنه كان مكفوف البصر والحرج مرفوع عنه فى الغزو ، فقد اشترك فى غزوة القادسية ومات فيها شهيداً ، وقيل مات بعد رجوعه منها .

ومن المؤذنين سعد بن عائذ

ويعرف بسعد بن عائذ المؤذن .

وقد أثنى عليه الرسول ـ ﷺ ـ وجعله مؤذن مسجد قباء ، وخليفة بلال إذا غاب .

ثم استخلفه بلال على الأذان بمسجد رسول الله ـ ﷺ ـ أيام أبى بكر وعمر لما سار الى الشام ، فلم يزل الأذان فى عقبه .

وعاش سعد إلى أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك .(٢٦٥)

---

( ٢٦٤ ) عبس ١ : ١٠

( ٢٦٥ ) أسد الغابة جـ٢ ص٣٥٥

## آداب الأذان

وللأذان آداب منها أن يكون المؤذن طاهراً ، وأن يكون حسن الصوت مرتفعه ، وأن يؤذن من مكان عال ، وقد نابت الآن مكبرات الصوت عن هذا الشرط . وأن يؤذن قائماً لا جالساً ، وأن يكون مستقبل القبلة ، ويلتفت إلى اليمين واليسار عند قوله : حى على الصلاة ، حى على الفلاح . وأن يقف على رأس كل جملة ، إلا التكبير فإنه يقف عند كل تكبيرتين .

وعلى سامع الأذان أن يجيب المؤذن . لقوله - ﷺ - إذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول المؤذن ثم صلوا علىّ .

والإجابة تكون بتكرار مايقول المؤذن إلا عند قوله : حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، فيقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ويدعو فى نهاية ذلك بقوله : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه اللهم مقاما محمودا الذى وعدته .

وقد رأى بعض العلماء أنه لا بأس بأن يتبع المؤذن أذانه بالصلاة على النبى - ﷺ - وحجتهم فى ذلك أنه إذا كان النبى قد أمر بها السامع فهى للمؤذن أولى . وجهر المؤذن بها يكون سببا فى صلاة كل مصل على حضرة النبى - ﷺ - فيؤجر بأجر المصلين عليه .

قال الشيخ عبد ربه بن سليمان فى كتابه « فيض الوهاب » : الصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ - عقب الأذان من بيانه الشريف ، والعمل بها

من سنة الأقوال التي يعمل بها . وهذا هو حكمها عند الشافعية والحنابلة . امتثالا لقوله - ﷺ - : صلوا عليّ .

وعلل بعض الشافعية استحبابها لما فيها من تذكير السامعين بالصلاة والسلام عليه - ﷺ - .

وعند الحنفية والمالكية بدعة حسنة ، لأنها لم تفعل بهذه الصفة فى زمنه - ﷺ - وقولهم حسنة : لأن أصلها من الدين .

**إباء المنافقين التحاكم إلى رسول الله .**

ونعود بعد هذا الاستطراد فى بيان صفة الأذان وحكمه إلى استكمال الحديث عن أحوال المنافقين وصفاتهم .

فمن مساوىء المنافقين أنهم كانوا يرفضون التحاكم إلى رسول الله - ﷺ -

ذكر أن يهوديا تنازع مع منافق فى أمر من الأمور ، فدعا اليهودى المنافق للتحاكم إلى النبى - ﷺ - لأنه يعرف أنه لايقبل الرشوة ولايحكم الا بالعدل . ودعا المنافق اليهودى للتحاكم إلى حكام اليهود . لأنه يعرف أنهم يأخذون الرشوة فى أحكامهم . . فلما اختلفا فى ذلك . اتفقا على أن يحكما بينهما كاهنا من جهينة . فأنزل الله تعالى قوله :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ

وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟
إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ
وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ
فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا
﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ (٢٦٦)

وفى هذه الآيات أقوال ذكرها العلماء . .

قال القرطبى - فيما يرويه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - : كان بين رجل من المنافقين يقال له بشر ، وبين يهودى خصومة ، فقال اليهودى : انطلق بنا إلى محمد .

وقال المنافق : بل إلى كعب بن الأشرف - فأبى اليهودى أن يتحاكما إلا إلى رسول الله - ﷺ -

(٢٦٦) النساء ٦٠ : ٦٥

فلما رأى المنافق إصراره أتى معه إلى رسول الله - ﷺ - فلما عرضت القضية على رسول الله - ﷺ - قضى لليهودى . لأنه رأى أن الحق له . فلما خرجا قال المنافق : لا أرضى ، انطلق بنا إلى أبى بكر . فانطلقا إليه ، فحكم أبو بكر لليهودى . فلم يرض المنافق أيضا وقال : انطلق بنا الى عمر ، فأقبلا إليه .

فقال اليهودى : إنا صرنا إلى رسول الله - ﷺ - ثم إلى أبى بكر فلم يرض هذا بحكمهما . . .

فقال عمر للمنافق : أحدث هذا ؟

قال المنافق : نعم .

قال عمر : رويدكما حتى أخرج اليكما فدخل فأحضر السيف ثم ضرب به المنافق . وقال عمر : هكذا أقضى على من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله .

وخرج اليهودى . . ونزلت الآية .

ومن القضايا التى أشار إليها القرآن الكريم أيضا ، وكان للمنافقين دور بارزفيها هذه القضية التى أشارت اليها الآيات الكريمة التالية :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ (٢٦٧)

وقصة ذلك يرويها العلماء فيقولون :

كان بالمدينة أهل بيت يقال لهم : بنو أبيرق ، ومنهم ثلاثة إخوة هم - بشير وبشر ، والثالث مبشر ، وكان لهم ابن عم اسمه أسير بن عروة .

وكان بشير رجلا منافقا يقول الشعر فى هجاء أصحاب النبى - ﷺ - ثم ينحله بعض العرب ، فاذا سمع أصحاب رسول الله - ﷺ - هذا الشعر قالوا : والله مايقول ذلك الشعر إلا هذا الخبيث .

وكان بنو الأبيرق أهل حاجة وفاقه فى الجاهلية والاسلام ، ولنفاقهم لم يهذبهم الاسلام ولم يتورعوا عن السرقة والاستقلال .

وكان رفاعة بن زيد رجلا مسلما صادق الايمان ، وقدمت عير من الشام فابتاع منها دقيقا وضعه فى غرفة له وكان فيها سلاح ، فجاء بنو الأبيرق فنقبوا الغرفة وسرقوا الدقيق والسلاح .

وقيل إن السارق كان بشيرا وحده وكنيته أبو طعمه ، سرق درعا وكان الدرع فى جراب من الدقيق ، فجعل الدقيق يتناثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى داره فدل ذلك على أنه السارق . .

وذهب قتادة بن النعمان - وهو ابن أخ لرفاعة - إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - يشكو إليه بنى الأبيرق ويتهمهم بالسرقة .

ولكن أسير بن عروة بن أبيرق ، وهو ابن عم الثلاثة أخذ يدافع عنهم أمام النبى - صلى الله عليه وسلم - ويقول : يارسول الله إن هؤلاء - أى

---

(٢٦٧) سورة النساء ١٠٥ - ١٠٧

قتادة ورفاعة ـ عمدوا إلى أهل بيت هم أهل صلاح ودين فاتهموهم بالسرقة ورموهم بها على غير بينة ، وجعل يجادل عن بني الابيرق ويحاول صرف التهمة عنهم ، وإلقاءها على رجل من الأنصار ـ اسمه ـ لبيد بن سهل .

ولكن الله العالم بخافية الأمور أنزل قرآنا يظهر فيه الحق ويقول :

**« ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم »**

كما نزل قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ «٢٦٨»

فلما نزل مانزل من القرآن ، وبرأ الله ساحة قتادة بن النعمان وعمه رفاعة من تهمة التزوير ، وساحة لبيد بن سهل ـ من تهمة السرقة ، وظهر الأمر على حقيقته وانكشف أمر السارق هرب السارق إلى مكة ، ونزل عند امرأة اسمها سلافة بنت سعد بن شهيد ـ فقال حسان بن ثابت ـ وهو شاعر الإسلام المدافع عنه ـ شعرا يعرض فيه بسلافة هذه ـ وجاء فيه :

**وما سارق الدرعين إذ كنت ذاكرا ... بذى كرم بين الرجال أواداعه**

فلما بلغها شعر حسان خافت وأخرجت السارق من بيتها ، وأخذت رحله فطرحته خارج الدار . .

فهرب إلى خيبر وارتد . . ثم إنه فى ليلة ثقب جدار أحد البيوت ليسرق فسقط الجدار عليه فمات سارقاً مرتداً شريداً . .

**النفاق داء وبيل :**

لقد عانى المسلمون من المنافقين فى المدينة مثل ماعانوا من المشركين فى

---

( ٢٦٨ ) النساء ١١٢

مكة - أو أكثر - ذلك أن الشرك فى مكة كان صريحاً واضحا فى مواجهة الإسلام ، وكان أعداء الإسلام واضحين ظاهرين ، أما المنافق فأمره غامض ، وهو عدو غير معروف ، وهو كما يقول الشاعر فى وصفه :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

لقد كان هؤلاء المنافقون يختلطون بالمسلمين فى مساجدهم وأسواقهم ويتعاملون معهم ، ولكنهم يخفون فى داخلهم شركهم وكفرهم ، ويذهبون بأخبار المسلمين إلى أعدائهم من اليهود والمشركين ومن المتعذر الاحتراس منهم . ولكن الله كان يكشف أمرهم بما ينزل من القرآن ، حتى كانوا يخشون ماينزل من آيات . . .

قال تعالى :

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ «٢٦٩»

والنفاق لايكون إلا فى إبطان الشر واظهار الخير ، بمعنى أن يتظاهر الرجل بالصلاح ويخفى فى داخله الفساد . سريرته سيئة وعلانيته حسنة . أما إذا أسر الرجل الحسنة فليس بمنافق ، وقد كان كثير من المسلمين فى مكة يخفون إسلامهم ولا يظهرونه خوفا من الأذى . .

والنفاق مرض وبيل وداء خلقى وخيم ، إذا تمكن فى النفس قضى على كل خلال الخير فيها فتصبح مقفرة مجدبة ، وما أشبه النفاق بالظلام الدامس يحجب معالم الهدى والفضيلة .

إنه ضرب من الكذب والخيانة ، بل الكذب من علاماته . قال - صلى الله عليه وسلم -: آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا

---

( ٢٦٩ ) التوبة ٦٤

اؤتمن خان » وأضيف إلى هذه الخصال ـ الثلاث خصلة رابعة فى رواية أخرى فى بعض الأحاديث وهى : وإذا خاصم فجر .

وقد قُضِى على هؤلاء المنافقين بأنهم فى الدرك الأسفل من النار ، فهم أحط قدرا وأشد عذابا من المشركين .

والنفاق فى المجتمع كالسوس ينخر فى جسمه فيقوض أركانه . . وإذا أحاط المنافقون بالحكام والرؤساء ومن بيدهم الأمر زينوا لهم الباطل وأضلوهم عن الصواب ، وقد يمتدحون الأساليب الخاطئة والتصرفات السيئة لكى يستمر أصحابها فيها ويسوقون غيرهم إليها فى طريق وعر الى غايات وخيمة . .

لقد كان الله ـ تعالى ـ مع نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينبئه عن أخبار المنافقين ، فلم يكن لهم خطر مع وجود التنزيل الذى يكشف خبثهم أولا بأول ، أما بعد عهد النبوة فإن كشفهم يحتاج الى إلهام صادق وفطنة قوية ، ووعى كامل ، ومنهج سديد ، يستطيع المسلمون تلمسه من كتابهم الكريم وسنة نبيهم الرشيدة ، وسيرة سلفهم الصالح .

**معاملة الإسلام للمنافق :**

وعلى الرغم مما فعله المنافقون فقد أفسح الإسلام صدره لهم ، وفتح أمامهم باب التوبة فى كثير من الأحوال ، ولم يشأ أن يعاملهم بالقسوة أو العنف .

وأمامنا فى ذلك أمثلة كثيرة منها :

أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عامل عبد الله بن أبى بن سلول ـ معاملة المسلم فلم يخفر ذمته ، ولم يعامله معاملة المشرك ، مع أن النبى ـ

صلى الله عليه وسلم ـ كانت له مندوحة فى قتله لو أراد ، فقد علم الملأ جميعاً أنه منافق ، وأن كراهيته للإسلام مشهورة وإن كان يخفيها .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حكيما فى تصرفه ذلك ، فقد أراد أن يعلمنا أن حكمنا على الناس يجب أن يكون بناء على الظاهر ـ كما قال : أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

إن الأحكام الإسلامية لها جانبان ، جانب يطبق فى الدنيا ويكلف المسلمون بتطبيقه ويشرف الخليفة أو الحاكم على ذلك .

وجانب آخر يتعلق بالعقيدة وأمر وذلك موكول إلى الله .

فإذا ماقامت الأدلة الملموسة على مخالفة الإنسان لأمر يتعلق بالجانب الأول وجب تطبيق الحكم القضائى الذى حدده الشرع لتلك المخالفة .

أما الجانب الآخر فهو يقوم على ما استقر فى الوجدان والضمير ، وهذا أمر يعلمه الله ، وقد يطلع الله تعالى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليه . وقد ورد أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يعلم أسماء جميع المنافقين ، وأنه أخبر بذلك بعض أصحابه .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ إذا مات ميت يسأل : هل ذهب حذيفة للصلاة عليه ، فإذا قيل له : نعم ، ذهب عمر وصلى عليه ، وإذا قيل له : لا ـ لم يذهب ويقول لهم : صلوا على صاحبكم .

إن جانب العقيدة يقوم على ما استقر فى القلوب ، ومرد القضاء فيه إلى الله ـ تعالى ـ فهو العالم بخفايا القلوب وأسرارها . . ولبيان هذه القاعدة يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخارى عن عمر ـ رضى الله عنه ـ: « إنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم » ويقول فيما رواه

الشيخان « إنكم تختصمون إلىَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع ـ فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئا فإنما هو قطعة من النار »

والحكمة فى مشروعية هذه القاعدة أن تظل العدالة بين الناس فى مأمن من التلاعب بها والنيل منها ، إذ ربما اتخذ الحكام من الأدلة الوجدانية والاستنتاجية وحدها ذريعة إلى الإضرار ببعض الناس بدون حق .

وتطبيقاً لهذه القاعدة الشرعية كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرغم من اطلاعه على كثير من أحوال المنافقين وما تسره أفئدتهم من شر وعدواة يعاملهم معاملة المسلمين فى الأحكام الشرعية العامة «٢٧٠»

والآن بعد هذا العرض الشامل لطوائف المجتمع الذى ضمنته المدينة بين جوانحها من مهاجرين وأنصار ويهود ومنافقين ، ورؤيتنا جوانب متعددة من هذا التناقض العجيب بين الإيمان فى مثاليته النادرة ممثلا فى جانب المهاجرين والأنصار ، وبين الكفر الصريح ممثلا فى موقف المشركين الذين لم يسلموا ، وفى موقف اليهود الذين لم يؤمنوا بما جاء فى كتابهم من تبشير بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومطالبة بالإيمان به ، وبين الكفر الخفى ـ ممثلا فى موقف المنافقين الذين لقى المسلمون منهم عنتا وإرهاقاً .

بعد هذا كله نبدأ صفحة جديدة فى المواجهة القوية للكفر والتصدى له . . فنتحدث عن الجهاد ومشروعيته فى الإسلام وعن الغزوات الإسلامية التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم . . إن شاء الله . . .

---

( ٢٧٠ ) انظر فقة السيرة د / محمد سعيد رمضان البوطى ص١٨٢

# فهرس القصص القرآنى

فهـرس المجـلد العاشـر — رقم الصفحة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نهاية المجلد العاشر